روايات الهلال

المستهترون

ألبرتو مورافيا



روايات الهلال

REWAYAT AL - HILAL

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال »

العدد ٣٩٢ ـ اغسطس ١٩٨١ ـ شوال ١٤٠١
No. 392 — August 1981

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ـ ١٢ عددا ـ فى جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادى ، وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى . وفى سائر أنحاء العالم ستة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . بحوالة بريدية غير حكومية وباقى بلاد العالم بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

أسعار البيع للجمهور فى البلاد العربية للاعداد العادية من « روايات الهلال » الشهرية اعتبارا من شهر يناير عام ١٩٧٩ :

بسعر ٢٠ قرشا للقارىء فى مصر

سوريا : ٣٠٠ ق . س . ثلاثمائة قرش سورى »

لبنان : ٢٥٠ ق . ل « مائتان وخمسون قرشا لبنانيا »

الاردن : ٢٥٠ فلسا « مائتان وخمسون فلسا اردنيا

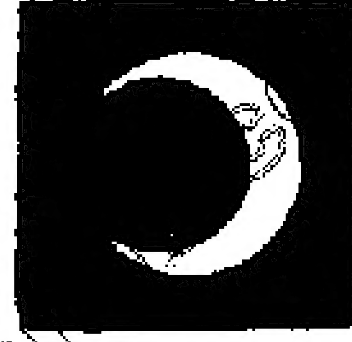
الكويت : ٣٥٠ فلسا «ثلاثمائة وخمسون فلسا كويتيا»

العراق : ٤٠٠ فلس « اربعمائة فلس عراقى »

السعودية : ٤٫٥ ريال « اربعة ريالات ونصف ريال »

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط .



روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

الغلاف بريشة الفنانة
ســـميحة حســـنين

المستهترون

بقلم

البرتو مورافيا

ترجمة

محمد عبد المنعم جلال

دار الهلال

المؤلف

ولد البرتو مورافيا فى روما فى الثامن والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٠٨ ، وكان أبوه مهندسا معماريا . وقد أصيب الكاتب بسل العظام فى صباه وقضى حداثته متنقلا بين المصحات . وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمره نشر أولى رواياته « اللامبالون » وهى تلك التى نقدمها للقراء اليوم . وقد كتبها باللغة الفرنسية التى يجيدها اجادته للغة الأصلية ، كما يجيد الانجليزية والألمانية . وقد صادفت تلك الرواية نجاحا كبيرا على الفور وكانت سببا فى شهرته ، وهى تتسم بالواقعية والتشاؤم وهما عنصران تتسم بهما كل رواياته .

ومورافيا يهوى الرسم والترحال فهو يتنقل بين لندن وباريس وبكين وزار مصر أخيرا وقضى فترة فى القاهرة ، ويعتبر حاليا واحدا من أشهر المؤلفين فى أوروبا .

وقد أخرجت السينما العديد من رواياته ونخص بالذكر منها امرأة من روما والاحتقار وامرأتان .

الفصل الأول

دخلت كارلا . كانت ترتدى قميصا من الصوف البنى وجونلة كانت من القصر بحيث ان الحركة الصغيرة التى اتت بها وهى تغلق الباب كانت من الكفاية بحيث رفعتها ما يقرب من شبر فوق الركبة ، وكشفت عن ثنية الجورب . ولكن لم يبد عليها انها لاحظت ذلك ، وتقدمت بحذر وتردد فى نفس الوقت وهى تحدق امامها فى غموض . وكان ضوء المصباح الوحيد الذى ينير الغرفة يقع على ركبتى ليو ، الجالس فوق الاريكة . اما باقى الصالون فكان غارقا فى عتمة خفيفة .

وقالت : سوف تهبط أمى ... انها تستبدل ثيابها .

قال الرجل وهو ينحنى الى الأمام : سوف ننتظرها معا . تعالى يا كارلا واجلس هنا .

ولكن كارلا أصمت أذنيها وراحت تحدق فى دائرة الضوء ، تحت الاباجورة ، حيث بدت بعض التحف وتغلبت على غيرها من الأشياء الجامدة ، غير المحدودة ، المتناثرة فى الظلام ، وراحت تحرك بطرف اصبعها رأسا متحركة لتحفة من الخزف الصينى تمثل حمارا يجلس فوقه ، بين سلتين ، بوذى بدين ملتف فى رداء مطبوع بالورود . وكان الحمار يهز رأسه فى حركات ايقاعية . وانهمكت كارلا فى عملها هذا وهى مطرقة العينين ، مطبقة الشفتين ، متوردة الوجنتين .

وقالت أخيرا من غير أن تتحرك : هل تتناول العشاء معنا ؟

أجاب ليو وهو يشعل سيجارة : طبعا ... هل يضايقك هذا ؟

كان جالسا فوق الاريكة ، محنى الظهر ، يتأمل الفتاة فى لهفة واهتمام ، ويحدق فى ساقيها الملفوفتين وبطنها المنبسطة وصدرها البارز ورأسها المستديرة فوق جيدها الرقيق ، ويقول محدثا نفسه : يا للفتاة الجميلة !

وهاجت مشاعره بعد أن هدأت بضع ساعات ، وارتفع الدم الى

صدغيه وود لو أن يصرخ لكي يعبر عن شهوته .
وحركت الفتاة رأس الحمار باصبعها مرة أخرى وقالت : هل لاحظت مدى انفعال أمي اليوم ، أثناء تناول الشاى ؟ .. لقد لحظ الجميع ذلك .
قال ليو : هذا أمر يعنيها هي .
وانحنى أكثر عن ذى قبل ، وبحركة عادية رفع طرف الجونلة وقال : هل تعرفين ان لك ساقين جميلتين يا كارلا ؟
وأدار نحوها وجها غبيا محتوما لم تستطع ابتسامة مرحة أن تجد سبيلها اليه . وخفضت كارلا جونلتها فى حركة جافة من غير أن تنطق ومن غير أن يحمر وجهها ، ثم قالت وهى تنظر اليه :
ــ ان أمى تغار عليك ، وهذا هو السبب فى انها تجعل حياتنا جحيما .
أتى ليو بحركة كأنه يقول : وهل لى حيلة فى ذلك ؟ .. ثم اضطجع الى الخلف فوق الاريكة ، وعقد ساقيه وقال فى برود :
ــ افعلى مثلى ... عندما ارى الزوبعة على وشك الهبوب أطبق فمى ، فيمر الأمر عندئذ وينتهى كل شىء .
قالت فى صوت خافت ، كما لو ان كلمات الرجل قد أيقظت فيها غضبا قديما أعمى : ينتهى كل شىء بالنسبة لك أنت ... أما بالنسبة لنا نحن ... بالنسبة لى ...
واختلجت شفتاها ، واتسعت عيناها لفرط الغضب ، ومست صدرها باصبعها وهى تستطرد قائلة : بالنسبة لى ، أنا التى أعيش معها ، لا ينتهى الأمر ابدا .
وساد صمت قصير ثم أردفت تقول فى ذلك الصوت المكتوم ، حيث يضفى الحقد على كل كلمة سمة غريبة : لو تدرى كم هى عيشة بغيضة ، كريهة ، منفرة .. أن تشهد كل يوم .. كل يوم ...
وفاض قلبها بالحقد وهى تنظر حولها ، وبقيت متسعة العينين ، مبهورة الانفاس ، صامتة تحت وطاة موجة الحقد التى طفت عليها .
وتبادلا النظر ، وقال ليو يحدث نفسه ازاء هذا العنف : يا للشيطان ! .. انها تجد ولا تهزل .
وقال فى بساطة وهو يبسط لها علبة سجائره : سيجارة ؟

قبلت كارلا السيجارة ، وتقدمت خطوة نحو الاريكة ، وقال وهو يتأملها من اخمص قدميها حتى أعلا رأسها : انك لا تحتملين هذه المعيشة اذن ؟

ورآها تومىء برأسها بالايجاب ، وبدا عليها الارتباك وهي تراه يتكلم بتلك اللهجة ، كما لو كان يتبادل معها سرا . وعاد هو يقول :

ــ حسنا ... هل تعرفين ماذا يفعل المرء عندما لا يحتمل المعيشة فى مكان ما ؟ .. انه يغير المكان .

ــ سوف ينتهى بى الامر الى أن افعل هذا .

كان فى كلماتها هذه شيء مسرحي ، على انها نطقتها كما لو كانت تشعر بأنها تقوم بدور كاذب سخيف . هذا هو الان الرجل الذى يدفعها مسار غضبها وحنقها اليه شيئا فشيئا ! .. ونظرت اليه .. انه ليس بأفضل ولا بأسوأ من غيره ، بل انه افضل من الآخرين بلا شك ، يميزه عنهم قدر مواطىء تركه ينضج طوال عشر سنوات ، فقد عرف كيف ينتظر ، وها هو الليلة ، وفى هذه الغرفة ينصب شراكه .

ــ غيرى حياتك اذن ... تعالى واقيمى معى .

هزت راسها قائلة ، انت مجنون !

ــ صدقينى .

ومد ذراعه وامسكها من جونلتها واردف يقول : سوف نمنح أمك اجازة ، ونبعث بها الى الشيطان ... وسيكون لك كل ما تريدين يا كارلا .

وراح يشد الجونلة ونظرته المتوقدة تجرى من وجهها المذعور المتردد الى ركبتها العارية التى تظهر فوق الجورب ويقول لنفسه :

ــ ان اصطحبها الى بيتى واحتويها بين ذراعى !

ــ كل ما تريدين .. ثياب .. أكداس من الثياب .. ورحلات .. سنسافر معا .. انه لإثم حقيقى أن تضحى فتاة جميلة مثلك بنفسها كما تفعلين . تعالى واقيمى معى يا كارلا .

قالت وهى تحاول أن تخلص نفسها منه : ولكن هذا محال ... هنالك امى .. هذا محال .

عاد ليو يقول وهو يطوقها من خصرها : سنعطيها اجازتها ... سنبعث بها الى آخر الدنيا ، فقد آن لكل هذا ان ينتهى ، وستاتين للاقامة فى بيتى ، اليس كذلك ؟ .. فى بيتى ، اننى صديقك

الوحيد .. الوحيد الذى يفهمك ، والذى يعرف ما تريدين .

كانت خائفة . وراح يشدها اليه ، تدور بذهنه أفكار سريعة تؤجج شهوته : « فى بيتى .. كل ما تريد » .. سألبى لها كل رغباتها .. ولكن نظرته التقت بنظرتها المضطربة ، وادرك انه يجب أن ينطق بنظرتها المضطربة ، وادرك انه يجب أن ينطق بكلمات رقيقة ... كيفما تكون ، لكى يبعث الى قلبها الاطمئنان ، فقال :

– حبيبتى كارلا ...

واتت بحركة اخرى لكى تدفعه عنها ، ولكنها كانت ضعيفة الحول ، مغلوبة على امرها بنوع من الارادة المستسلمة . لماذا تصد ليو عنها ؟ .. ان هذا الجهد للحفاظ على عفتها انما سيدفع بها الى الملل والتقزز من العادات القديمة . ثم انه بدا لها فى شىء من القدرية ان هذه المغامرة التى تكاد تكون عائلية هى النهاية الوحيدة التى تتفق مع حياتها السابقة . ومهما يكن فان كل شىء سيكون جديدا . ونظرت الى وجه الرجل المشدود اليها وقالت تحدث نفسها : « فلأفرغ » . وراحت راسها تدور كما لو كانت ستلقى بنفسها من عل .

ولكنها ، على العكس ، توسلت اليه قائلة : دعنى .

وحاولت للمرة الثالثة أن تتخلص من قبضته . كانت نيتها الغامضة أن تصد ليو فى بادىء الأمر ثم تستسلم له بعد ذلك ، وربما لكى تجد الوقت لتقيس أبعاد المغامرة التى ستقدم عليها وربما بحركة من الدلال ، وراحت تقاوم عبثا ، فى صوت ضعيف حافل بالقلق واليأس وهى تتمتم فى رجاء لا جدوى منه « لنبق صديقين يا ليو » صديقين حميمين كذى قبل .. ولكن كان فى مسلكها وفى مقاومتها الضعيفة ومحاولتها فى أن تشد على جونلتها لكى تغطى ساقيها . كان فى كل ذلك شىء من العار والاضطراب لا يمحوه مجرد الافلات من ليو ومن عناقه .

وقال ليو فى لهجة تنم عن شىء من المرح : صديقان ... بل اننا اكثر من صديقين ... (وراح يلوى الجونلة بيده) صديقان يا كارلا ... صديقان .

وشد على اسنانه وقد هاجت كل مشاعره بملامسة هذا الجسد الذى يشتهيه ، وتكوم فى آخر الاريكة لكى يفسح لها مكانا وهو يقول لنفسه « اخيرا ... انك لى » وما لبثت ان احنت راسها

تحت المصباح عندما تناهى الى اذنيها صوت باب يفتح فى آخر الغرفة المظلمة ، وأدرك كل منهما أن شخصا دخل .

كانت الأم هى التى دخلت . وأحدث قدومها تغييرا فى مسالك ليو ، فقد اضطجع الى الوراء فجأة وعقد ساقيه ، ونظر الى كارلا فى غير اكتراث ، بل انه كان ممثلا قديرا فقد قال فى شيء من الاهتمام كما لو كان ينهى حديثا بدأ بينهما :

ـ صدقينى يا صغيرتى انه ليس هناك ما يمكن عمله .

وتقدمت الأم ، ولم تكن قد استبدلت ثيابها وانما مشطت شعرها وتجملت ، وأفرطت فى استعمال المساحيق والأصباغ ، وسارت نحوهما مترددة ، وبدا وجهها فى العتمة ، بجموده وقسماته الغامضة أشبه بقناع من الغباء والحزن .

ـ هل تأخرت كثيرا ؟ .. فيم كنتما تتحدثان ؟

أتى ليو بحركة كبيرة من يده وأشار الى كارلو التى وقفت وسط الغرفة وقال : كنت أقول لابنتك انه ليس هناك ما يمكن عمله الليلة ، واننا سنبقى فى البيت .

أبدت الأم موافقتها فى قوة مهيبة وهى تجلس فى مقعد أمام عشيقها وقالت : هذا صحيح ، فقد ذهبنا الى السينما بعد ظهر اليوم . وأما عروض المسرح فقد شاهدناها كلها . كان يروق لى أن أستمع الى فرقة بيرانديللو فى مسرحية « ستة أشخاص تبحث عن مؤلف ، ولكنك لن تقبل حقا ، فهى حفلة شعبية .

قال ليو : ثم اننى أؤكد لك انك لن تخسرى شيئا .

احتجت الأم وقالت فى فتــور : انت جائر ، فان لبيرانديللو مسرحيات جيدة .. ما رسم تلك المسرحية التى سبق ان رأيناها له .. انتظر .. آه .. الوجه والقناع ... انها أطربتنى كثيرا .

قال ليو وهو يضطجع فى مقعده الى الخلف : هذا جائز .. أما أنا فقد تملكنى الضجر الى حد الموت .

وراح ينقــل عينيه بين المرأتين وقــد دس ابهــاميه فى جيبى صديريته .

وكانت كارلا تقف خلف مقعد أمها . وتلقت صدفة نظرته الجامدة الثقيلة فتحطم ذهولها كما يتحطم الزجاج ، ولأول مرة ، أدركت ان المنظر الذى يدور تحت عينيها منظر قديم عادى لم يتغير ، منظر أمها وعشيقها وقــد جلس كل منهما أمام الآخر وراحا يتبــادلان

الحديث ... هذان الوجهان الجامدان الغبيان ، وهى ، كارلا ، مضطجعة فى مقعدها تسمع وترد ، وحدثت نفسها قائلة : « نفس الشىء دائما » ولكى لا تصرخ خفضت يديها حتى بطنها وراحت تلويهما الى حد أنها آلمت رسغيها بالذات .

واستطردت الأم تقول : ثم اننا نستطيع البقاء بالبيت ، خاصة واننا سنقضى كل سهراتنا الأسبوع القادم فى الخارج ... فهناك غدا ، حفلة الشاى الراقصة للطفولة المهجورة ، وبعد غد حفلة الرقص المقنعة بالفندق الكبير ، وهناك دعوات كثيرة ستأتينا من هنا ومن هنا .. ثم .. أوه يا كارلا .. هل تعرفين من رأيت اليوم ؟.. مدام ريتشى .. لقد تقدمت بها السن بصورة غريبة .. وقد تأملتها فى اهتمام .. ان بها خطين عميقين من الغضون يبدآن من عينيها حتى فمها .. وشعرها .. اننى لم أستطع أن أتبين لونه ... ان منظرها بشع .

قالت كارلا وهى تجلس بجوار ليو : انها ليست بشعة الى هذا الحد .

وتملكها جزع راح يؤلمها كما لو كانت قد أصيبت بشكة دبوس ، فقد كانت تتوقع ان أمها سوف تنتهى ، بأساليبها الملتوية ، كما هى عادتها ، الى اثارة المشاحنات بسبب الغيرة .. ولكن متى ، ولأى سبب ؟ .. لم تكن تدرى . غير انها كانت واثقة من ان ذلك سوف يقع وثوقها من تعاقب الليل والنهار . وسبب لها هذا التوقع احساسا من الخوف ، ولم يكن هناك أى علاج لذلك . فقد كان ذلك دائم الحدوث يحتمه قدر حقير .

واستطردت الأم تقول : حدثتنى حديثا لا آخر له . قالت لى انهم باعوا سيارتهم القديمة واشتروا سيارة جديدة غيرها ، من طراز فيات ، وقالت : هل تعرفين ان زوجى أصبح الآن اليد اليمنى لباجليونى فى البنك الاهلى ؟ .. ان باجليونى لا يستطيع الاستغناء عنه ، ويعتبره منذ الآن كما لو كان شريكا له ... باجليونى هنا ... وباجليونى هناك .. شىء مقزز .

سألها ليو : ولماذا ؟ .. لا أدرى أى تقزز فى هذا .

قالت وهى ترميه بنظرة حادة كما لو لتدفعه لكى يزن كلماته : أظنك لا تجهل أبدا ان باجليونى عشيقها ؟

قال ليو : ان الجميع يعرفون ذلك .

واستقرت نظرته الجامدة على كارلا وهو ينطق بهذه العبارة .

وعادت ماري جريس تقول في وضوح تام : ولعلك لم تنس أن آل ريتشي كانوا لا يملكون مليما قبل أن يتعرفوا على باجليوني ، وانهم أصبحوا الآن من الأثرياء .

ــ آه ... وأى ضرر في هذا ؟ انهم يدبرون أمورهم بقدر ما يستطيعون .

وبدا كأنه صب الزيت على النار ، فقد اتسعت عينا الأم دهشة مشوبة بالسخرية وقالت :

ــ آه .. اذن فأنت تبرر سلوك هذه المراة الوقحة ؟ ... انها ليست جميلة وانما هى كتلة من العظام ، تستغل صديقها بدون أى وازع من ضمير ، فهو يشترى لها الثياب والسيارات ، وتحمله على أن يدفع زوجها الى الأمام . ولا ندرى ان كان زوجها هذا غبيا أم دساسا . هذه هى مبادئك اذن ! .. اوه .. حسنا .. حسنا جدا . لم يعد لدى ما أقول ، فاننى افهمك جيدا . ان مثل هؤلاء النسوة يرقن لك طبعا .

ضحك ليو وقال : كلا . كلا . ان هؤلاء النسوة لا يرقن لى صراحة .

والقى نظرة سريعة جشعة الى الفتاة الواقفة بجواره .. الى صدرها الناهد ووجنتها المتوردتين .. الى الفتاة الشابة .. هذا هو نوع النساء الذى يروق له .

ولكن الأم راحت تقول فى اصرار : انك تزعم ذلك وتتنكر لها الآن ، ولكن من يحتقر يشترى .. وفى اليوم الماضى ، وأنت معها ، عند آل سيدونى أمطرتها بالمجاملات ، ورويت لها الف هذر .. كلا ، كلا . لا تحاول الانكار . اننى اعرفك جيدا ... هل تعرف نفسك ؟ .. انت كذاب !

وقالت كارلا تحدث نفسها : ها هى قد بدات !

ورات ان هذا الشجار سيطول ، وادركت ان حياتها اليومية ستبقى كما هى لا تتغير ، وكان فى هذا ما يكفى فنهضت وقالت :

ــ سأذهب لكى أرتدى بلوفر ثم أعود .

وخرجت دون ان تلتفت لأنها احست بعينى ليو ملتصقتان بظهرها لا تتحولان عنه .

والتقت بميشيل في الطرقة فسألها هل ليو موجود . ولما اجابته

بالايجاب قال : انني قادم الآن من مدير اعماله .. وقد عرفت منه أشياء جميلة كثيرة .. أولها اننا أفلسنا .

نظرت اليه مذهولة وقالت : ما هذا الذى تقول ؟

أجابها في هدوء : أقول انه يجب ان نتنازل عن الفيللا لليو سدادا لتلك الرهنية ، وأن نتركها ونمضى الى مكان آخر لكى نشنق انفسنا فيه .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة مغتصبة فقالت كارلا : لماذا تبتسم ؟ .. ايدعو هذا الأمر الى الابتسام ؟

— لماذا ابتسم ؟ .. لأن كل سيان .. بل انه لأمر يسرنى .

— ليس هذا صحيحا .

— بل انه صحيح تماما .

ومن غير ان ينطق بكلمة أخرى ترك كارلو مكانها ، حمقاء ، مذعورة تقريبا ودلف الى الصالون .

كانت أمه لا تزال تتناقش مع ليو فى غير كلفة ، ولكنها ما كادت ترى ابنها حتى تظاهرت بأنهـا تتبادل هى وعشيقها حديثا عاديا فابتسم الشاب فى رثاء وتقزز وقال لهـا دون أن يحيى ليو ومن غير أن يلقى اليه نظرة واحدة :

— اظن أنه قد حان الوقت لتناول العشاء .

وصاح ليو يقول فى ابتسامته العـادية : ولـكن من ارى ؟ .. عزيزنا ميشيل ! .. تعال هنا يا ميشيل . لقد مضى وقت طويل لم أرك فيه .

— لم يمر اكثر من يومين .

وحدق ميشيل فى ليو وهو يحاول ان يتكلف البرود ، ويود لو ان يقول له « قلما التقينا كان ذلك أفضل » فى حين عاد ليو يقول :

— أتظن ان يومين شيء قليل ؟ .. ان فى مقدور المرء ان يضفى الكثير فى يومين .

وانحنى ، وظهر وجهه البشوش وسط الضوء وقال : ولكن .. هذه بذلة جميلة .. من الذى حاكها لك ؟

كانت بذلة زرقاء جيدة الصنع ، ولكنها كانت مستهلكة جدا ، وكان ليو قد رآها عليه أكثر من مائة مرة ، ولكن ميشيل ، وقد مست هذه اللمسة المباشرة غروره ، نسى على الفور كل نواياه من الحقد والجفاء ، وقال وهو لا يفلح فى اخفاء ابتسامة راضية :

ـ أهذا صحيح ؟ .. انها بذلة قديمة ، وأنا ألبسها منذ وقت طويل ، وتيتو هو الذى حاكها لى .

وبحركة غريزية استدار نصف دورة وعرض عليه ظهره وهو يشد طرفى الجاكيت لكى تلتصق بخصره . ورأى نفسه فى المرآة التى أمامه . لم يكن هناك شك فى ان البذلة كانت جيدة التفصيل ، ولكن بدا له شكله مضحكا وسخيفا ، أشبه بتلك التماثيل المعروضة فى الفترينات والاسعار ملصقة على صدرها ، وخامره احساس خفيف من القلق ، وانحنى ليو الى الأمام وراح يجس القماش ثم اعتدل وهو يقول :

ـ انها جميلة جدا ، ومن نوع جيد .

ثم أردف يقول وهو يربت على ذراع الشاب : ان عزيزنا ميشيل شاب مدهش ، لا غبار عليه دائما .. لا هم له الا اللهو والمرح .. وهو لا يفكر أبدا فى أى شىء .

ولم يلبث ميشيل ان أدرك من لهجة ليو ومن ابتسامته ان مجاملته لم تكن تهدف الا الى هذه السخرية . أين اذن السخط والحقد اللذين تصور أنه يشعر بهما نحو عدوه ؟ .. لقد تلاشيا فى أحشاء نواياه . وتملكه الارتباك بصورة فظيعة ، ولم يدر كيف يغادر الغرفة ، وراح ينظر الى أمه .

وقالت له هذه الأخيرة : انك أخطأت بعدم بقائك معنا اليوم ، فقد شاهدنا فيلما رائعا .

قال الشاب : آه ... حقا ؟

ثم تحول الى الرجل وبدأ يقول بلهجة شـديدة قاسية بقـدر ما استطاع : ليو .. اننى ذهبت اليوم الى مدير اعمالك .

ولكن الرجل أتى باشارة من يده قاطعه بها وقال : ليس الآن ... اننى فهمت .. سنتكلم فى هذا فيما بعد ... بعد العشاء ... كل شىء فى حينه .

أجاب ميشيل فى هدوء غريزى : كما تشاء .

ولكنه لم يلبث ان ادرك ان الرجل فرض عليه نفسه مرة أخرى وقال يحدث نفسه . كان يجب أن أقول الآن حالا ، وان ابدأ الحديث وأتكلم بصوت مرتفع . لم يكن هناك حل آخر غير هذا . وتملكه الغيظ فان ليو فى بضع دقائق ، وجد الوسيلة لأن يوقعه مرتين فى أخاديد الغرور وعدم الاكتراث .

ونهضت أمه هى وليو ، وقال هذا الآخير : اننى جائع ... جائع جدا .

وضحكت المرأة ، وتبعها ميشيل وهو يحاول أن يذكى غضبه قائلا فى نفسه : بعد العشاء ... لن تتخلص منى بهذه السهولة .

وتوقف الثلاثة أمام الباب . وافسح ليو الطريق أمام مارى جريس قائلا : تفضلى .

وبقى الرجل والشاب وجها لوجه . وقال ليو فى لهجة رقيقة وهو يضع يده على كتفه : تفضل ... تفضل ... فأنت رب البيت .

وباشارة أبوية وابتسامة ودية بحيث بدت كأنها ساخرة دفع ميشيل فى رفق . وقال هذا الاخير يحدث نفسه فى غير غضب : « رب البيت ! .. هذه نكتة جميلة ! .. أن رب البيت انما هو أنت » . ولكنه لم ينطق ، ودخل خلف أمه الى الطرقة .

الفصل الثانى

كانت الثريا ذات الأدوار الثلاثة ترسل نورها على سطح المائدة الابيض فتلألأت الأطباق والاكواب الزجاجية بحيث بدت المائدة كقطعة من الرخام خدشها أزميل النحات ... كانت هناك بقع ، فقد كان النبيذ أحمر اللون والخبز أسمر والدخان يتصاعد من أطباق الحساء الأخضر . وكانت كارلا جالسة تنتظر فى فروغ صبر .

وكانت الأم اول من دخل ، وأدارت راسها نحو ليو ، وكان يمشى خلفها ، وقالت فى لهجة ساخرة مؤثرة :

ــ ان المرء لا يعيش لكى يأكل وانما يأكل لكى يعيش ، ولكنك تعكس الأمر ... وهذا خير لك .

اجابها ليو وهو يدخل خلفها : كلا ، كلا . انك أسأت فهمى ، فانني قلت : عندما يفعل المرء شيئا لا ينبغى أن يفكر فى شيء آخر ، فأنا مثلا ، عندما اشتغل لا افكر الا فى عملى . وعندما آكل لا افكر الا فى الأكل ، وهكذا دواليك ... وبهذا يكون كل شيء على ما يرام .

وكان ميشيل يمشى فى المؤخرة ، وقد ود لو أن يسأله : « وعندما تسرق الناس ؟ » ولكنه لم يكن جديرا بأن يكره ذلك الرجل وانما كان يغبطه ، وقال يحدث وهو يجلس : « الواقع انه على حق .. انني أفكر اكثر من اللازم » .

وعادت الأم تقول متهكمة : هذا خير لك . اما انا فان الامور تجرى معى على أسوأ ما يكون .

وجلست . وتكلفت وقارا كئيبا واطرقت ، وراحت تقلب الحساء بملعقتها لكى يبرد .

ــ الأمور تجرى معك على اسوا ما يكون ؟ .. وكيف ذلك ؟ لو انني مكانك لما فكرت فى الشكوى ، فان لك ابنة فاتنة .. وابنا ذكيا يفتح المستقبل له ذراعيه ... وبيتا جميلا ... ماذا تشتهين اكثر من ذلك ؟

قــالت الأم وهى تتنهد تنهيدة مكتومة : أوه ... انك تفهمنى بالاشارة .

وكان قد فرغ من الحساء فألقى ملعقته وأردف يقول : ثم انكم جميعا غير راضين . لا تحسبى انك وحدك أيتها السيدة العزيزة ... هل تريدين أن نقوم بتجربة ؟ .. انت مثلا يا كارلا ؟ .. هل أنت راضية بمصيرك ؟ .. أجيبى بصراحة .

رفعت الفتاة عينيها اليه .. هذه الروح البشوشة ، وهذه الطيبة الزائفة ... كان كل ذلك يثير أعصابها . كان يدور على المائدة التى تجلس اليها نفس الحديث كل ليلة ، والأمور العادية المألوفة هى فى الواقع أقوى من الزمن ، وخصوصا النور العادى . ذلك الذى لا وهم فيه ولا أمل ... النور اليومى المستهلك استهلاك قماش ثوب قديم لا يفارق جسد صاحبه بحيث انه اذا أنير فجأة يخيل لهـــا أنها ترى وجوها أربعة تظهر امامها ... وجوه أمها وأخيها وليو ووجها هى نفسها .. معلقة فى هذه الهالة الحزينة .. كان كل هذا سبب مللها ، وكان لابد لليوان يثير غيظها فى هذه النقطة الحساسة بالذات . ولكنها عرفت كيف تتمالك نفسها ، وقالت موافقة :

ــ الواقع ان الأمور لن تجرى أحسن ...

وأطرقت برأسها من جديد ، فصاح ليو منتصرا : أليس كذلك ؟ .. لقد كنت واثقا من انك ستقولين هذا .. وليس هذا كل شيء .. انى مقتنع بأن ميشيل هو الآخر .. ما رأيك يا ميشيل ؟ .. أراهن ان لا شيء يروق لك ...

نظر ميشيل اليه ولسان حاله يقول : هذه هى اللحظة المناسبة لكى تفضى اليه بالحقيقة ، لكى تهينه وتخاصمه وتفرغ منه الى الأبد .. ولكن قلبه لم يطاوعه واكتفى بأن قال فى هدوء :

ــ ألا تفزع من هذه اللعبة الصغيرة ؟ ... انك تعرف كيف تسير الامور خيرا منى .

صاح ليو يقول : آه .. أيها الماكر .. أيها المخادع . انك تراوغ ولا تريد أن تجيب ، ولكن من الواضح وضوح الشمس انك غير راض أنت أيضا ، والا ما رأينا هذا الوجه الشاحب .

وقدمت له الخادم طبقا فأمسك عن الكلام لكى يأخذ منه نصيبه ثم عاد يقول :

ــ أما أنا سيداتى ، سادتى ، فاننى على العكس ، أصر على القول

بأنه فيما يتعلق بى فان الأمور تسير على ما يرام .. بل أزيد فأقول أننى راض جدا واننى ، اذا كان ولابد أن أولد من جديد لاخترت أن أولد كما أنا الآن بلحمى ودمى وباسم ليو ميروميسى .

صاح ميشيل متهكما : يا لك من رجل سعيد ! يمكنك على الاقل أن تلقننا طريقتك .

راح الآخر يقول وفمه مملوء بالطعام : طريقتى ! .. حسنا . ما عليك الا أن تنظر الى . ولكن هل تريدون أن تعرفوا أنتم أيضا لماذا لاتشبهوننى ؟

ــ نعم .. لماذا ؟

ــ لأنكم تشغلون أنفسكم بأمور تافهة .

وأمسك لكى يشرب . وسادت لحظة صمت . وأحس الثلاثة الآخرون بأنهم أصيبوا فى كبريائهم . وقال ميشيل يحدث نفسه : « بودى أن أراك مكانى » وأخذت كارلا تفكر فى حياتها المليئة بالفخاخ والمكائد مع ذلك الرجل . وكانت هناك أسباب وجيهة تجعلها تعيسة شقية . ولكن الأم كانت أول من تكلم ، مدفوعة بعصبيتها وثرثرتها ، فقد حز فى نفسها وساءها أن توضع فى مستوى واحد هى وابنها بحجة ميل مزعوم للسخط والاستياء ، وبدا لها كأن فى هذا الأمر خيانة ، وقالت فى مرارة :

ــ كما تشاء . اما أنا يا عزيزى فان هناك ما يدعو الى استيائى حقا ، فاننى لست طفلة ككارلا .. اننى امرأة حنكتها التجارب وعرفت الألم .. آه ، نعم ، عرفت الألم . (وازدادت انفعالا وهى تتكلم) وقد اجتزت كثيرا من الصعاب وتألمت . ولكننى على الرغم من كل ذلك عرفت كيف أحتفظ بكرامتى ، وكيف أكون فوق الجميع . نعم يا عزيزى ميروميس .. فوق الجميع ، حتى أنت .

بدا ليو يقول : لم يخطر لى أبدا ...

وأدرك الجميع الآن ان غيرة مارى جريس قد وجدت طريقا وأنها ستسير فيه حتى النهاية . وتوقع الجميع فى تقزز وملل العاصفة الحقيرة التى راحت تتجمع تحت ضوء المصباح .

واستطردت الأم تقول وهى تحدق فى عشيقها بعينها الشاردتين : أما أنت يا عزيزى فقد تكلمت الآن دون أى تفكير ... ولا ريب انك اعتبرتنى واحدة من صديقاتك الانيقات اللاتى لا يعرفن معنى للشرف او الضمير ولا يفكرن الا فى اللهو والمرح وقتل الوقت ، يوما مع فلان

وآخر مع علان ... ولكنك أخطأت يا صديقى لأننى أعتقد ...

ــ ولكننى لم ابد أية اشارة ...

استطردت ماری جريس تقول فی انفعال بالغ : اننی امرأة تستطيع أن تعلمك كيف تعيش أنت وغيرك ممن هم على غرارك . ولكننى من الرقة أو السخافة بحيث أدفع بنفسى الى الصف الاول أو بحيث أكثر الحديث عن نفسى ، الأمر الذى يجعل الجميع يسيئون فهمى ولا يقدروننى .. ولكن ليس هذا سببا (وارتفع صوتها عندئذ وأصبح أكثر حدة وهياجا) ليس هذا سببا لأننى امرأة طيبة جدا وكتومة جدا وسخية جدا ، وأعود فأقول ان هذا ليس سببا لكى أتحمل الاهانات فى كل وقت .

وبعد أن ألقت نظرة أخيرة صاعقة على ليو راحت تنقل فى حركات آلية كل الأشياء التى فى متناول يديها فوق المائدة .

وارتسم الوجوم الشديد على وجـوه الجميع ، وقال ليو فى هدوء : لم يخطر لى أبدا أن أهينك ، وانما قلت أننى الوحيد بينكم الذى لا يشكو ولا يتذمر .

أجابت الام فى تلميح خبيث : طبعا ، طبعا . اننا نعرف طبعا انه ليس هناك ما تشكو أو تتذمر منه .

تدخلت كارلا عندئذ فقالت : ولكنه لم يقل شيئا يشتم منه أية اهانة يا أمى .

وأحست باليأس يعصف بها وأخذت تحدث نفسها وتقول « لابد أن ينتهى كل هذا » . وهى تنظر الى أمهـــــا .. تلك الأم التافهة والناضجة والتى تجتر غيرتهـا وهى مطرقة الراس . « لابد ان ننتهى من كل هذا ، وان نغير الأمور بكل طريقة » . ومرت براسها قرارات سـخيفة « أن تترك البيت وان تختفى وتضيع فى خضم الحياة ويمتصها الهواء » . وتذكرت كلمات ليو « انت بحاجة الى رجل » هذه هى النهاية .. هو .. او اى رجل غيره .. آخر صبرها .. وانتقلت عيناها الحزينتان من أمها الى ليو ، وقالت مارى جريس عندئذ :

ــ اما أنت فاسكتى ... انك لا تستطيعين ان تفهمى .

احتج ليو قائلا : ولكننى لا افهم أنا الآخر يا عزيزتى .

قالت الأم وهى تضغط على كل كلمة من كلماتها : بل تفهم تماما .

قال ليو وهو يهز كتفيه مسلما : ربما .

ــ اسكت .. اسكت .. من الأفضل أن لا تنطق بشيء . لو انني مكانك لحاولت ان أنسى نفسي وأن أتوارى .

وساد صمت ، ودخلت خادمة ورفعت الصحاف . وقال ميشيل يحدث نفسه وهو يرى وجه أمه الغاضب تنبسط أساريره شيئا فشيئا : آه .. لقد مرت العاصفة وبدأ الجو يصفو ويروق . وقال في غير مرح :

ــ انني أطلب الكلمة .. هل انتهى الأمر ؟

أجاب ليو في توكيد : انتهى تماما . لقد تصالحنا ، أنا وأمك .

وتحول الى ماري جريس وقال : أليس كذلك يا سيدتي ؟

ارتسمت ابتسامة حزينة مترددة على وجه المرأة المصبوغ ، فقد عرفت هذا الصوت وهذه اللهجة المخادعة التي طالما سمعتها في أوقات سعيدة ماضية عندما كانت لا تزال شابة وعندما كان عشيقها وفيا لها . وراحت تفحص يديها في خبث وقالت :

ــ هل تظن ياميروميس ان من السهل أن نصفح ؟

وهكذا انقلب الأمر الى العاطفة ، واستشاطت كارلا غضبا ، وابتسم ميشيل في احتقار وقال يحدث نفسه : حسنا ، ها نحن قد عدنا ... تعانقا ولينته الأمر .

وقال ليو في جد مضحك : ان الصفح واجب كل مسيحي طيب . ولكنه كان يحدث نفسه ويقول في الوقت ذاته : فلنذهب الى الجحيم . لحسن الحظ ان هناك الابنة لكي تعوضني عن الأم .

ونظر الى الفتاة بطرف عينه من غير ان يحرك رأسه ... انها شبقة أكثر من أمها ، على أهبة الاستسلام طبعا .. سوف ينتهز فرصته بعد العشاء وسوف يطرق الحديد وهو ساخن ولن يؤجل الأمر الى الغد .

وقالت ماري جريس وقد استردت كامل هدوئها : فلنكن طيبين ، وليصفح كل منا عن الآخر .

وانبسطت الابتسامة التي كانت تتردد على وجهها وكشفت عن صفين من الأسنان الباهتة ، واختلج جسدها كله بالرضا والسرور ، وأردفت تقول في حماسة أمومة :

ــ وبهذه المناسبة ، لا تنس ان غدا عيد ميلاد عزيزتنا كارلا .

ــ ولكن لم يعد هناك من يحتفل بأعياد الميلاد يا أمي .

قالت الام فى عظمة : اما نحن فسوف نحتفل بعيد ميلادك . وأنت ياميروميس ، اعتبر نفسك مدعوا ظهر الغد .

انحنى ليو انحناءة كبيرة فوق المائدة وقال : لى الشرف ، وأشكرك يا سيدتى العزيزة .

ثم تحول الى كارلا يسألها : كم عمرك ؟

وتبادلا النظر ، ورفعت الأم اصبعين وأشارت بشفتيها كلمة « عشرون » . وفهمت كارلا وترددت . ولكن ريحا من القسوة اجتاح روحها وفكرت تقول : انها تريد ان تصغر سنى لكى لا تبدو هى مسنة أمامه . وقالت دون أية مراعاة لرجاء أمها الصامت :

ــ أربع وعشرون سنة .

وأطبقت سحابة من خيبة الأمل على وجه مارى جريس فى حين تمتم ليو يقول فى دهشة وسخرية :

ــ اكبيرة فى السن الى هذا الحد ؟

كررت كارلا : نعم ... كبيرة فى السن .

ونهرتها الأم قائلة : ما كان يجب أن تطلعيه على حقيقة عمرك .

وضاعفت البرتقالة اللاذعة من حدة صوتها وهى تقول : ان الانسان انما يبدو بمظهره ، ومظهر لا أنت يدل على انك لا تزيدين عن ... تسعةعشر عاما .

وازدردت الفص الأخير من البرتقالة . وفرغوا من تناول العشاء .

وأخرج ليو علبة سجائره وبسطها للآخرين . وارتفعت سحابات من الدخان فوق المائدة فى غير انتظام . وبقى الأربعة لحظة لا يتحركون وهم يتبادلون النظر ، ثم نهضت الأم قائلة :

ــ فلنمض الى غرفة الصالون .

وخرج الأربعة ، الواحد خلف الآخر ، من غرفة الطعام .

الفصل الثالث

بضع خطوات فى الممر ، وهو ممر صغير ولكنه مشحون بجو من التوتر والقلق ، وراحت كارلا تنظر الى الارض وهى تفكر فى غموض فى أن العبور اليومى لا ريب قد استهلك نسيج السجادة القديمة التى تغطى البلاط وان المرايا البيضاوية المعلقة لصق الجدران لابد قد احتفظت بأثر صورهم التى تعكسها مرارا كثيرة كل يوم طوال اعوام أو .. مجرد لحظة كل مرة لها ولأمها ريثما تتحقق كل منهما من أن أحمر الشفاه على ما يرام ، ولميشيل ريثما يفحص عقدة رباط عنقه . كان السأم والملل يكمنان فى هذا الممر ، وكان كل منهم يحس بهما كل الاحســـــاس وهو يمر به ... كان كل شيء ثابتـــا لا يتغير : السجادة والنور والمرايا والباب الزجاجى الذى يفضى الى الدهليز على اليسار وبير السلم المظلم على اليمين . وكان كل شيء يكرر نفسه . كان ميشيل يتوقف ويشعل سيجارته وينفخ فى عود الثقاب . أما الأم فكانت تسأل عشيقها فى رقة : ان وجهى يبدو متعبا الليلة ، أليس كذلك ؟ وكان ليو يرد عليها فى غير اكتراث والسيجارة بين شفتيه : أبدا .. أبدا .. لم أرك أبدا أجمل من اليوم .. رتابة محزنة .

ودخلوا الصالون ، وهو عبـــــارة عن غرفة مستطيلة ، مظلمة وباردة ، يشطرها قوس الى قسمين متساويين . ومضوا فجلسوا فى الزاوية المواجهة للباب . وكانت هناك ستائر من المخمل الداكن تخفى النوافذ المغلقة . ولم يكن بالغــــرفة أية ثريا وانمـــا بضعة مصابيح جدارية ، ثلاثة منها كانت مضاءة ترسل نورا ضعيفا باهتا فى منتصف الصالون الصغير ، أما النصف الآخر فقد بقى غارقا فى ظلام أسود لا يميز فيه المرء انعكاس المرايا وشكل المعزف الا بصعوبة كبيرة .

ولم يفتح أحدهم فمه لمدة وجيزة . كان ليو يدخن فى شيء من

الندم ، والأم تتأمل فى حزن اصابعها ذات الاظافر اللامعة . أما كارلا فقد جلست القرفصاء تقريبا وراحت تحاول اضاءة المصباح الذى فى الزاوية . وكان ميشيل ينظــــر الى ليو ، وأخــيرا أضيىء المصباح وجلست كارلا ، وبدأ ميشيل الحديث فقال :

ـ اننى ذهبت اليوم الى وكيل أعمال ليو ، وقد ألقى على محاضرات لا آخر لها . ويبدو أن أوضح ما فى الأمور . أن الرهينة على البيت سينتهى أجلها بعد أسبوع وانه لابد لنا عندئذ من اخلاء البيت لأنه لابد من بيعه لسداد ديننا لمسيو ميروميس .

اتسعت عينا الأم وقالت : ولكن ذلك الرجل لا يدرى ما يقول .. لا ريب انه يلقى القول على عواهنه ... طالما قلت لكم انه يضمر لنا شرا .

وساد صمت قطعه ليو اخيرا بأن قال دون أن يرفع عينيه : ان هذا الرجل يقول الحقيقة .

نظر الجميع اليه . وقالت مارى جريس متوسلة ، ضامة يديها : ولكنك لن تلقى بنا الى عرض الطريق بالتأكيد .. امنحنا مهلة .

ــ لقد منحتكما مهلتين قبل ذلك ، وفى هذا الكتاب ، خاصة وأن مهلة جديدة لن تفيد . كلما هناك أن البيع سيتأخر ، ولكن لابد منه .

سألته الأم : وكيف ذلك ؟

رفع ليو رأسه أخيرا وقال : ما لم تجمعى ثمانمائة الف ليرة فاننى لا أدرى كيف يمكنك أن تسددى دينك من غير أن تبيعى البيت .

أدركت الأم ، وتفتح أمام عينيها خوف كبير كالهاربة ، وشحب لونها ونظرت الى عشيقها ، ولكن ليو اكفى بأن راح يتأمل سيجاره ولم يبد اية محاولة لطمأنتها .

وقالت كارلا : وبمعنى آخر ، يجب أن نترك هذا البيت وأن نسكن فى شقة صغيرة .

أجاب ميشيل : هو هذا .

وساد صمت . واتخذ خــوف مارى جريس أبعــادا هائلة . لم تحادل أبدا أن تعرف شيئا عن الفقراء ، ولم تحاول أبدا أن تسمع شيئا عنهم ، وطالما رفضت التسليم بوجود أشخاص مضطرين الى عمل شاق وحياة تعسة ... الشعب ؟ .. كانت تكتفى بأن تقول انهم أسعد منا ، فاننا اكثر منهم حساسية واشد مضاء وذكاء . ومن ثم فاننا نتألم أكثر منهم .. وها هى الآن مضطرة فجأة الى الاختلاط

بهم وزيادة عددهم ؟ .. هذا الشعور بالتقزز والمهانة والخوف الذى أحست به ذات يوم وهى تمر ، فى سيارة صغيرة وسط شعب متوعد وقذر من المضربين ، عاد اليها يجتاحها الآن زد على هـذا المضايقات والحرمان الذى سيكون من نصيبها . وأفزعها الحزن الشديد الذى ستتعرض له . ماذا سيظنون بها ؟ وماذا سيقال عنها فى المجتمع الثرى الأنيق الذى تعيش فيه . رأت نفسها فقيرة .. فقيرة ووحيدة مع ولديها ، بدون أصدقاء وبدون علاقات لان الجميع سيتخلون عنها . لن تكن هناك حفلات ولا رقصات ولا أضواء وانما ظلام تام ... ظلام عار ...

وازداد شحوبا وفكرت تقول متعلقة بفكرة الاغواء والاغراء : يجب أن أتحدث اليه على حدة ، فى غياب كارلا وميشيل . سوف يفهم .. وتحولت الى عشيقها وقالت فى غموض :

ـ امنحنا مهلة أخرى يا ميروميس ، وسوف نجد المال بطريقة ما .

سألها الرجل وهو يبتسم نصف ابتسامة ساخرة : وكيف ذلك ؟

قالت : البنوك ...

انحنى لكى يحدق فيها وقاطعها قائلا : ان البنوك لا تقرض الاموال بدون ضمانات مؤكدة . ثم ان النقود اليوم نادرة بحيث لا تقدم البنوك قروضا لأحد ، واذا فرضنا جدلا بأنها وافقت على اقراضك فما هى الضمانات التى يمكنك أن تقدميها يا سيدتى ؟

قال ميشيل : هذا منطق سليم .

وود لو أن يتحمس ، فقد كانت مسألة حيوية بالنسبة للعائلة وقال يحدث نفسه « ان حياتنا فى خطر ، ومن لحظة لأخرى قد لا نجد الا الكفاف » . ولكن على الرغم مما بذل من جهد لكى يثور فقد بقى كالثلج لا يحفل بذلك الدمار ، وبدا كأنه يرى شخصا يغرق دون أن يفكر فى الاسراع الى نجدته .

أما الأم فقد اختلف الأمر معها وقالت فى اباء : امنحنا مهلة ، ويمكنك أن تتأكد من أن نقودك ستصلك يوم الاستحقاق .. الى آخر مليم .. ثق مما أقول .

ضحك ليو فى هدوء وقال : اننى لا أشك فى ذلك .. ولكن لماذا المهلة اذن ؟ .. لماذا لا تقولين الآن بما تريدين القيام به بعد شهر أو بعد سنة لكى تسددى دينك على الفور ؟

كان يتكلم فى هدوء وقد أمال راسه قليلا ، وكان قوله منطقيا

بحيث أحست ماری جریس بالخوف . وحولت بصرها الى ميشيل ثم الى كارلا .. ولديها الضعيفين اللذين سيعرفان الفقر ، وقالت وقد غلبها حبها الأموى :

ــ اسمع يا ميروميس .. أستطيع أن أقول لك كل شيء . ان الأمر لا يتعلق بى ، ولست أطلب هذه المهلة من أجلى ، فاننى مستعدة أن أذهب للاقامة فى غرفة على السطوح (ورفعت عينيها الى السماء) والله يعلم اننى لا أفكر فى نفسى وانما فى كارلا .. فانها فى سن الزواج ، وأنت تعرف الناس .. ففى نفس اليوم الذى نبرح فيه هذه الفيللا للاقامة فى شقة ضيقة سوف يدير الجميع لنا ظهورهم .. هكذا هى الدنيا .. وعلى هذا فلن يتقدم أحد للزواج من ابنتى .

قال ليو وهو يتصنع الجد : ان ابنتك جميلة ولن تفتقر الى طالبى الزواج .

ونظر الى كارلا ووجه اليها ايماءة ودية . ولكن الفتاة تملكتها موجة شديدة من الغضب وودت لو ان تصرخ بأمها : « وكيف تريدين ان أجد لى زوجا طالما هذا الرجل يعيش بيننا وصلته بنا هكذا ؟ » أحست بالمذلة والهوان من الوقاحة التى تتكلم بها أمها فهى لم تكن تحفل بها فى الوقت العادى ، ولكن ها هى الآن قد جعلت منها حجة مناسبة لأغراضها . لابد لها من أن تنتهى من هذا الأمر . سوف تستسلم لليو ، ولن يفكر أحد عندئذ فى أن يتقدم للزواج منها . وحدجت أمها وقالت فى صوت ثاقب :

ــ لا تهتمى بى يا أمى .. اننى خارج هذه المسألة تماما ، وأريد أن أبقى هكذا .

وفى هذه اللحظة صدرت ضحكة حادة زائفة من المكان الذى يجلس ميشيل فيه ، فتحولت الأم اليه . وقال الشاب وهو يحاول أن يكسب صوته رنة ساخرة :

ــ ولكن ، هل تعرفين من اول من سيدير لنا ظهره اذا نحن غادرنا الفيللا ؟ .. فمتى .

ــ يا الهى ... لا أدرى .

صاح فى انتصار وهو يشير باصبعه : انه ليو .. صاحبنا العزيز يا ليو .

اتى ليو باشارة احتجاج فى حين سألته الأم مترددة : آه ... أهذا صحيح يا ميروميس ؟

وحدقت فى عشيقها محاولة أن تقرأ فى وجهه هل هو جدير حقا بمثل هذه الخيانة ، ثم تملكها الغضب فجأة وقالت :

ــ ولكن هذا صحيح . نعم . طبعا ... وما أغبانى ! لم يخطر هذا ببالى . ان هذا صحيح يا كارلا ، وميشيل على حق . سيكون هو أول من يتنكر لنا ويتظاهر بأنه لا يعرفنا بعد أن يحصل على نقودنا . لا داعى للاحتجاج ، فالذنب ليس ذنبك ، فان كل الرجال سواء ، وانى أقسم على هذا . اذا اتفق ومر بى وبرفقته احدى صديقاته الجميلات الظريفات الانيقـــــات فسوف يدير رأسه الى الناحية الأخرى بمجرد أن يرانى . ولكن طبعا يا صديقى ، هذا ما سوف يحدث ، واننى لواثقة من ذلك .

ولزمت الصمت لحظة ثم أردفت تقول فى لهجة الضحية التى تخلى عنها كل نصير : أفلم يغدر بالمسيح أعز أصدقائه ؟

ألقى ليو سيجارة وقد راعته هذه الموجة من الاتهامات ، وقال مخاطبا ميشيل :

ــ أنت صبى ولهذا لا أقيم وزنا لما قلت . ولكن أن تظنى أنت يا سيدتى ان مجرد بيع بيت سبب كاف لكى أدير ظهرى الى أعز أصدقائى فهذا ما لم أكن أنتظره منك .. لم أكن أتوقع هذا منك أبدا .

وبعد أن فرغ من قوله هذا اخذ سيجارة . اما ميشيل فكان مسرورا وراح يقول فى نفسه : يا له من منافق ! أوه .. كم أود أن أهينه ، وأن أتسبب فى وقوع شجار بينى وبين أمى » . ولكنه لم يلبث أن أدرك أنه أضاع فى هذه الليلة فرصا عديدة مناسبة ، خصوصا عندما رفض ليو أن يمنحهم المهلة ... وقال وهو يضطجع فى مقعده الى الخلف عاقدا ساقيه :

ــ لم تكن تتوقع هذا ؟ .. أهذا صحيح ؟ .. يا لك من وغد !

تحول الجميع اليه .. الأم مشدوهة ، أما الرجل فقد سحب سيجارة من بين شفتيه فى بطء وقال : ماذا قلت ؟

قال ميشيل وهو يتشبث بيديه بمسندى مقعده دون أن يجد فى عدم اكتراثه الأسباب التى دفعته الى اهانة الرجل :

ــ أعنى .. أعنى أن ليو قد دمرنا ويتظاهر الآن بأنه صديقنا ، فى حين انه غير ذلك .

وساد صمت كله استهجان . وقال ليو أخيرا وهو يرمى الشاب

بنظرة جامدة : اسمع يا ميشيل . انك تريد أن تثير شجارا ، وقد أدركت ذلك منذ باديء الامر . انني آسف . ولكنني أحب أن أقول لك الآن فورا انه ليست هناك أية جدوى . لو انك كنت رجلا لعرفت كيف أرد عليك ، ولكنك لست سوى طفل طائش ، وأفضل شيء الآن هو أن تأوي الى فراشك وتنام .

وأمسك وأخذ سيجارة مرة أخرى ثم قال فجأة : وتقول لي هذا في نفس اللحظة التي كنت أنوي ان أعرض عليكم فيها الاقتراحات المناسبة .

وساد صمت آخر قطعته الأم قائلة : ان ميروميسي على حق ، ولست أفهمك يا ميشيل . انه لم يدمرنا .. لقد كان صديقنا دائما ، فلماذا تهينه بهذه الطريقة ؟

قال ميشيل يحدث نفسه وهو يتميز غضبا من نفسه ومن الآخرين: انك تساندينه الآن . لو تعرفين مدى احتقاري لأعمالكم » ....

وأثارته دهشة أمه واندهاش أخته ومكر ليو ... بدا له ان كل ذلك أمرا سخيفا ومرغوبا فيه أيضا ... نعم ... مرغوبا فيه لأن كل ذلك يثبت أنهم ينتمون هم الثلاثة الى حقائق هذه الدنيا ، وانهم يعتبرون كلمة « وغد » اهانة ، في حين ان الكلمات والحركات والمشاعر لم تكن بالنسبة له هو الا مجرد مجموعة من الأوهام .

ولكنه ، مع ذلك ، لم يشأ أن يتوقف في منتصف هذا الطريق الجميل ، ونطق يقول في غير اقتناع :

ـ انني انما قلت غير الحقيقة .

رفع ليو كتفيه في غضب ، ونفض رماد سيجارته ثم راح يقول : يسرني ... يسرني جدا أن ...

وكانت ماري جريس قد همت بمساندة عشيقها بأن تقول : ولكنك مخطيء تماما يا ميشيل ، عندما فتح باب الصالون وأطلت منه رأس شقراء قالت صاحبتها : هل يمكن أن أدخل ؟

تحول الجميع اليها وصاحت ماري جريس : أوه ، ليزا ... طبعا ، أدخلي .

وانفتح الباب تماما ودخلت ليزا ، كان يكسو جسدها البدين معطفا أزرقا يتدلى حتى قدميها الصغيرتين ، وتضع على رأسها قبعة مستديرة زرقاء وفضية بدت رأسها تحتها أصغر مما هي فوق كتفين قويين زادهما القماش السميك ضخامة . كان المعطف فضفاضا ،

ومع ذلك فقد انتفخ بصدر وخاصرتين كاشفا عما فيهم من فتنةوسحر . وعلى العكس من ذلك فقد كانت أطراف هذا الجسد الجميل تثير الدهشة بصغرها وضآلتها ، اذ كان المعطف يكشف عن ساقين رفيعتين جدا .

وقالت ليزا وهي تقترب منهم : ألا أزعجكم ؟ .. انني أعرف ان الوقت متأخر ، ولكنني تناولت عشائى على كثب من هنا ، ولم أستطع مقاومة الاغراء لزيارتكم وأنا أمر بالبيت .

قالت الأم : ما هذا الذى تقولين ؟

ونهضت ومضت للقائها : ألا تخلعين معطفك ؟

ــ كلا . سأبقى دقيقة ثم أنصرف .. ولكننى سأفتحه قليلا لكيلا أشعر بالحر .

وفكت الحزام فكشفت عن ثوب من الحرير الاسود ، لامع ، تزينه زهور زرقاء ، كبيرة ، ثم حيت الجميع قائلة :

ــ مساء الخير يا كارلا .. آه ، ميروميس ... محال أن لا تكون فى هذا البيت ... وأنت يا ميشيل ، كيف حالك ؟

وجلست فوق الأريكة ، بجوار مارى جريس ، وقالت هذه الاخيرة وهى تتحسس ثوب ليزا : ان ثوبك جميل جدا ... بماذا تأتينا من أخبار ؟

ــ لا بشىء ... ولكن مالى أراكم واجمين هكذا ؟ .. اننى واثقة اننى قطعت عليكم شجارا .

أجاب ليو وهو يرمى ليزا بنظرة ساخرة من خلال دخان سيجارة : أبدا .

وقالت الأم : كنا نتحدث عن أمور كثيرة .

وناولت صديقتها علبة من السجائر وهى تقول : هل تدخنين ؟

وتدخل ميشيل عندئذ فقال فى غير مناسبة وهو ينظر الى ليزا نظرة كلها تأمل : هذه هى عين الحقيقة ... اننا كنا نتخاصم ، وقد قطعت انت حبل الخصام .

ضحكت ليزا ضحكة مغتصبة كلها خبث وقالت دون أن تتحرك : أوه ... سوف أنصرف اذن ، فلست أريد أن أعكر اجتماعا عائليا .

احتجت الأم قائلة : وهل هذا كلام ؟ .. انك غبى يا ميشيل .

ــ غبى ؟ ... أنا ؟ ...

وفكر : نعم ، طبعا غبى .. غبى اذ أريد أن أحفل بما يفعلون

بكل طريقة . وطغى عليه شعور بالتفاهة والملل ، والقى نظرة عدائية حوله فى الغرفة . بدا له أن ليو ينظر اليه مستهزئا ، فقد كانت ترتسم على شفتيه المكتنزتين ابتسامة خفيفة تنطق بالاهانة ما كان ليتغاضى عنها رجل قوى عادى . ولكن ميشيل لم يكن يبالى بأى شيء ، ولم يكن يشعر بشيء الا بشعور محط لشأنه الى جانب شفقة مزرية ، ومع ذلك فقد رأى أن يمضى ضد طبيعته وان يقاومه ولهذا تحول اليه وقال فى برود :

ــ ليس هناك ما يضحك .

بدأ ليو يقول وهو يتظاهر بالدهشة الشديدة : أنا ... أقسم ...

ولكن ميشيل قاطعه قائلا وهو يبذل جهدا كبيرا : اسمع ...

كانت هذه هى الطريقة المثلى للمشاحنة ، فقد تذكر أنه شاهد مشاجرة فى احدى عربات الترام ، بين رجلين بدينين يبدو على كل منهما ان له شأنه . وبعد أن استشهد كل منهما بالاشخاص الحاضرين راح يتكلم عن نفسه وعن مركزه ومهنته ، وعن الجراح التى أصيب بها فى الحرب ، وعلى العموم كل الحجج التى من شأنها ان تحرك شعور الجمهور ، وانتهى بأن غطى صوته على صوت غريمه وبأن يصرخ بحيث بلغ درجة معينة من الغضب الحقيقى ، وما عليه هو الآن الا أن يحذو حذوه .

ــ اسمع .. لا أظن اننى لن أجرؤ على أن أكرر أمام ليزا ما قلت لك منذ لحظة ... حسنا ؟ .. لك ما تريد اذن .. اننى كرر وأقول لك انك وغد .

نظر الجميع اليه ، وصاحت مارى جريس ساخطة : ولكن ماذا دهاك ؟

ونظرت ليزا الى ميشيل فى فضول وقالت تسأل : ماذا حدث ؟

أما ليو فلم يتحرك . بدا ان الاهانة لم يكن لها أى تأثير عليه ، واكتفى بأن قهقه فى حدة وازدراء وقال :

ــ آه ... هذا جميل . لم يعد لنا الآن الحق فى الابتسام .

ولكنه لم يلبث ان اعتدل فى مقعده وهوى بقبضته على المائدة وصاح يقول : لقد طال المزاح ، وهذا يكفى . اما ان يعتذر ميشيل واما أن أنصرف .

أدرك الجميع ان الأمر قد أصبح جديا ، وان قهقهة ليو لم تكن الا البرق الخاطف الذى يسبق الرعد . وقالت الأم :

ـ ان ميروميس على حق .

كان وجهها صارما وصوتها حاسما ، وأحست . بسخط شديد نحو ابنها لأنها خشيت أن ينتهز عشيقها هـذه الفرصة ويقطـع ما بينهما من صلة :

ـ ان سلوكك شائن . وانى آمرك بأن تعتذر .

وقالت ليزا برغبتها الواضحة فى تعقيد الأمور : ولكننى لا أفهم لماذا تقول ان ميروميس وغد .

أما كارلا فكانت هى الوحيـدة التى لزمت الصمت وهى تشـعر بالتقزز . أحست فى نهاية ذلك اليوم بأن الموجة الطاغية للأحداث الحقيرة تكتسح صـدرها . وأطبقت عينيها وراحت تراقب ، بين أهدابها الوجوه الحمقاء الثائرة للأربعة الآخرين .

وقال ميشيل دون أن يتحرك :

ـ أوه .. أوه .. أنت تأمريننى ؟ .. واذا رفضت ؟

أجابت مارى جريس فى وقـار أشـبه بوقار ملـكة على خشبة المسرح : اذا رفضت فانك ستسبب حزنا شديدا لأمك .

نظر اليها لحظة قبل أن يرد . كان يحدث نفسه فيقول : ان ليو عشيقها على كل حال ، ولن تتردد لحظة فى أن تقوم بدورها كأم ، ولكن عبارتها هذه « ستسـبب حزنا شـديدا لأمك » عبارة كريهة مقززة » فحول عينيه عنها ونسى فجأة كل قراراته الجميلة للمقاومة الحازمة . ولماذا لا أعتذر واوفر عليها هذا الحزن الشديد ؟ .. وبدأ يقول :

ـ هل تحسبين اننى لست قادرا على الاعتذار لليو ؟ .. لو تعرفين الى أى حد لم أعد أبالى ؟

قاطعته مارى جريس تقول : جميل منك أن تقول هذا .

استطرد ميشيل يقول فى حماس : تماما يا أماه .. لا تخشى شيئا .. سأعتذر لليو .. هل ينبغى أن أقبل قدميه ؟

وكانت ليزا قد تابعت كل ما تقدم فى اهتمام كبير فتدخلت عندئذ قائلة : كلا ، لا تعتذر .

تحول الجميع اليها ، وقالت مارى جريس فى لهجة تمثيلية : اننى أشكرك يا ليزا .. اننى أشكرك حقا اذ تؤلبين ابنى على .

اجابتها ليزا فى هدوء : اننى لا أؤلب ابنك عليك ، ولكن يبدو لى ان الأمر لا يستحق كل هذا .

نظر ليو اليها فى استياء وقال فى لهفة قاسية : لا يروق لى أن أعامل هكذا من فتى ، وانني أريده أن يعتذر .

قالت كارلا : أليس من الافضل أن ننسى كل هذا وأن نتصالح ؟

قالت الأم : كلا . ان ميروديس على حق . يجب أن يعتذر ميشيل له .

نهض ميشيل وقال : سأعتذر له فلا تخافى ... ليو ، أرجو أن تغفر لى اساءتى لك « وأمسك لحظة وقد أدهشه ان جرت هـذه الكلمات المهينة على لسانه ، وأردف يقول فى صوت هادىء وبدون مبالاة » وأعدك أننى لن أعود الى ذلك .

قال ليو من غير ان ينظر اليه : لا بأس ... لا بأس ...

واذ رآه ميشيل واثقا من نفسه الى هذا الحد ود لو أن يصرخ فى وجهه ويقول : أيها الغبى ! « أيها الغبى ! » . ولكن أمه قالت فى لهجة رقيقة وهى فى منتهى الغبطة والسرور :

ـ ان ابنى ميشيل طيب ومطيع .

وقال ميشيل فجأة : الآن وقد أجبتكم الى ما طلبتم ، فاسمحوا لى أن امضى لكى أنام فاننى مرهق .

ودار على عقبيه وخرج دون أن يحيى أحدا .

ولكنه ، بينما كان يجتاز البهو ، رأى شخصا يتبعه ، فالتفت واذا به ليزا . وقالت وهى تلهث قليلا وفى عينيها نظرة غريبة :

ـ اننى جئت عن عمد لكى أخبرك بأننى أستطيع أن أقدمك ، اذا أردت ، الى قريبى الذى حدثتك عنه .. انه سيجد لك وظيفة حتما فى شركته أو فى أية شركة أخرى .

قال ميشيل : اننى اشكرك كثيرا .

ـ ولكن يجب أن تأتى الى بيتى لكى تلتقى به .

ـ حسنا ... متى ؟

وكانت ليزا كلما ازداد ارتباكها كلما ازداد الشاب هدوءا ومجاملة .

ـ غدا .. غدا صباحا .. تعال مبكرا . سيأتى هو نحو الظهر ، ولكن هذا لا يهمه ، فيمكننا أن نتحدث ، أنا وأنت .

ونظرت اليه فى صمت لحظة ثم تجرأت فجـأة وقالت : ولمـاذا اعتذرت الى ليو ؟ .. ما كان يجب أن تفعل .

سألها : ولماذا ؟

قالت ليزا فى تردد وغموض : سيطول بنا الحديث الآن ، وقد يظن

الآخرون بنا الظنون ، ولكن تعال غدا وسوف تعرف .
– حسن جدا . الى الغد .
وشد على يدها ومضى نحو الدرج .
وعادت ليزا الى غرفة الصالون ، حيث الثلاثة الآخرون ، وكانت ماري جريس تتحدث عن ميشيل ، وكانت تقول لعشيقها وهي متألقة الوجه :
– من الواضح ان الأمر كان شاقا عليه ، فانه ليس من الذين ينحنون بسهولة . انه متكبر .
وأردفت تقول في تحد : ان له روحا أبية ومستقيمة ، مثلي أنا .
قال ليو وهو يرفع حاجبيه ليلقي نظرة طويلة على كارلا .
– انني واثق من ذلك ، ولكنه في هذه المرة انحنى وكان على صواب .
وسكت ثلاثتهم فقد استهلك الموضوع ، واجتازت ليزا الصالون في خطوات صامتة وبدون اسراع ، وقالت :
– هل معك سيارتك ياميروميس ؟
هز ليو رأسه وقال : سيارتي ! .. طبعا .
– سأصحبك اذن ، اذا لم يكن لديك أي مانع .
–بكل سرور ، ولكن لابد من الانصراف اولا .
ونهض ، وزرر جاكتته . كان غاضبا لأن اموره ، من ناحية كلارا لم تتقدم ، ولأنه لابد له الآن من الانصراف .
ولكن غيرة ماري جريس العمياء العنيدة انقذته ، فمنذ سنوات عدة كان ليو وليزا صديقين حميمين ، بل كانا على وشك الزواج ، ولكن ماري جريس كانت قد غدت أرملة فتدخلت بينهما فجأة وخطفت من صديقتها العزيزة خطيبها ، وكانت هذه حكاية قديمة ولكنها خشيت مع زوجها أن تعاود صديقتها صلتها به ، فتحولت اليها وقالت :
– لا تتعجلي الانصراف ، فان لدي ما احدثك به .
قالت ليزا وهي تتظاهر بالارتباك : وددت ذلك ، ولكنني اخشى ان لا يستطيع ميروميس اصطحابي .
أسرع ليو يقول وهو في منتهى السرور : أوه ، لا تقلقي . أستطيع أن أنتظركما في البهو . خذا حريتكما كما يحلو لكما .. ستبقى كارلا بصحبتي .

نهضت «كارلا» فى تكاسل ، وتقدمت وهى تهز راسها وتقول لنفسها. « انتهينا . اذا ما ذهبت معه الى البهو فسوف ينتهى كل شىء » . ولمحت فى نظرة « ليو » شيئا من الخبث ، وبدا لها هذا التواطؤ المسبق بغيضا . ولكن ما الجدوى من المقاومة . واستولى عليها تلهف اليهم ، وراحت تقول : « لابد من وضع نهاية لهذا الأمر » وأحست بأنها تتهاوى فى استسلام مترددة كريشة فى بئر السلم ولهذا لم تبد اى اعتراض .

ولكن « مارى جريس » اعترضت قائلة : امض يامبروميس . انك لا تعرف كم من الوقت سنبقى . سوف نستدعى سيارة أجرة لكى تقلها .

صوت مخادع .. صوت الغيرة القلقة .. وكان ليو مجاملا وصلبا فى نفس الوقت ، اذ قال :

ـ أبدا .. سأنتظر .. دقيقة أكثر أو أقل .. أؤكد لك اننى سأنتظر طواعية .

أحست الأم بأنها خسرت القضية وانها لن تفلح فى التفريق بين ليزا وليو ، وفكرت وهى تنظر اليهما : انه يصر على انتظارها طبعا ، وسوف يمضيان الى بيته معا بعد ذلك . وبدت لها هذه الفكرة فظيعة وازداد شحوبها . وومضت الغيرة ، صريحة ، فى عينيها ، وقالت أخيرا :

ـ حسنا . امض وانتظرها فى البهو . سأعيدها اليك حالا ... لا تخف .

واتت باشارة من يدها ، متوعدة ، وارتجفت على شفتيها الحمراوين ضحكة مريرة ، ونظر ليو اليهما مليا ثم هز كتفيه من غير أن ينطق وخرج . وتبعته كارلا .

وفى البهو ، ومن غير ان يبدو عليه انه يدرى بما يفعل طوق خصرها بذراعه . وأدركت هى ذلك ولكنها قاومت فكرة الاغراء بالتحرر وحدثت نفسها تقول : « هذه هى النهاية .. نهاية حياتى القديمة » وعكست المرايا التى تلمع فى الظل صورة شخصين متعانقين ، وقالت فى صوت مسموع :

ـ أرأيت ؟ .. ان امى تفارق ليزا .

لم ينطق ولكنه جذبها اليه بذراعه . ودخلا البهو وهما متلاصقان بهذه الصورة . وأردفت تقول وهى تحس بتفاهة مهينة :

ـ ومن يدرى ؟ .. لعلها على حق فى غيرتها هذه .

توقف الرجل هذه المرة ، ومن غير أن يطلقها من يده حول وجهها اليه وقال وهو يبتسم ابتسامة حمقاء مثيرة :

ـ هل تعرفين من يجب أن تغادر على العكس ؟ .. منك انت ! .. نعم .. منك أنت يا صغيرتى .

فكرت : « ها نحن قد وصلنا » . وقالت فى وضوح : منى أنا ؟ .. عجبا ! ولماذا ؟

وتلاقت عيناهما ، وقال ليو فى لهجة أبوية تقريبا : هل ستأتين الى بيتى ؟

ورأى كارلا تطرق براسها دون أن تنطق بلا أو نعم . وفكر . « لقد أقبلت اللحظة الحاسمة » وجذبها اليه وهم بأن ينحنى لكى يقبلها عندما ارتفع صوت حديث فى الممر عرف منه أن ميرى جريس مقبلة . وكاد أن يختنق من الغضب ، فقد كانت هذه هى المرة الثانية التى تأتى فيها عشيقته فى هذا اليوم لتفسد كل شىء فى اللحظة الملائمة . وفكر « فلتذهب الى الجحيم » وأبطأت مارى جريس وليزا فى الظهور ولكن صوتهما كان مسموعا فى الممر . واستبد القلق بكارلا فأتت بحركة لكى تتخلص من ليو وهى تقول :

ـ دعنى .. ان أمى قادمة .

نظر ليو الى الباب فى غضب ، وردد البصر حوله دون أن يستقر منه العزم على اطلاق هذا الخصر اللدن . وفجأة وقعت عيناه على ستارة على يمين البهو تخفى بابا فمد ذراعه واطفأ النور وتمتم يقول فى الظلام وهو يحاول أن يجر كارلا الى ذلك المخبأ .

ـ تعالى .. تعالى هنا .. سندبر مقلبا لأمك .

وقاومته من غير أن تفهم ، ومضت عيناها فى الظلام ، وقالت : لماذا ؟ .. ولكن لماذا ؟ ..

ومع ذلك ، فقد انتهى بها الأمر الى الاستسلام ، واختفيا خلف الستارة : لصق الباب . وأمسكها ليو من خصرها من جديد وتمتم : « سوف ترين » ولكن كارلا لم تر شيئا ، بل وقفت معتدلة ، متوترة . واطبقت عينيها فى ذلك الليل الذى يطفو فيه ظل من الغبار ، وتركت يد ليو تتحسس عنقها ووجنتيها وهو يقول : « سوف ترين » . واهتزت الســــتارة من أسـفل الى أعلى ، واقتربت الاصوات

فاعتدل ليو وقال في الظلام « ها هى » ثم ضم كارلا اليه فى قوة حميمة وودية وفى ثقة كان قد افتقدها حتى هذه اللحظة .

وفتح الباب الزجاجى . وأزاحت كارلا الســتارة قليلا ونظرت من خلالها . رأت فى اطار الباب المضىء أمها وعلى وجهها امارات الدهشة وسمعتها تقول : ولكنهما ليسا هنا .

وأجابها صوت ليزا ، من الممر يقول : وأين ذهبا ؟

سؤال بقى بلا جواب . ومدت الأم رأسها ، كما لو لتفحص البهو . كان الظل يحفه قسماتها ويجعل من وجهها الرخو المصبوغ قناعا مذهولا فى تعبير التيه المثير للعواطف . كانت غضونها وفمها المفتوح وعيناها وكل وجهها ، كان كل ذلك يبدو كأنه يصرخ ويقول : ليو ليس هنا ... انه انصرف .. هجرنى » . ونظرت كارلا اليها فى فضول ورثاء ، وضمنت الخوف الذى يرتجف خلف هذا القناع ، وخامرها احساس بأنها ترى مسبقا وجها للأيام المقبلة ... وجه أمها عندما تعلم بخيانة عشيقها وابنتها ، واستمر هذا المشهد لحظة ثم اختفت الرأس .

وقال الصوت : لعلهما فى الصالون الصغير .

وابتعدت المرأتان ، وقال ليو : هل رأيت ؟

وانحنى ، وضم كارلا الى صدره من جديد . ومرة أخرى قالت . « هذه هى النهاية » وبسطت له فمها ، وراق لها هذا الظلام الذى يمنعها من رؤية الرجل ويترك لها كل أوهامها . وافترقا أخيرا ، وقالت وهى تزيح الستار :

– فلنخرج يا ليو .. لنخرج .. والا انكشف أمرنا .

واضطر الى الرضوخ على كره منه ، وخرجا من مخبئهما ، كل منهما وراء الآخر ، كما لو كانا لصين . وسطع النور .

وسألته كارلا : هل تشوش شعرى ؟ .. واذ هز رأسه نفيا أردفت تقول : والآن ماذا سنقول الامى ؟

اضاءت وجه الرجل الأحمر الهائج نظرة خبيثة ، وربت بيده على كتفها وهو يضحك ثم قال : هذا مقلب جميل وايم الحق . ولكن هذا صحيح .. ماذا سنقول لها .. سنقول اننا كنا هنا طبعا ، واننا لم نتحرك لحظة واحدة .

قالت كارلا بلهجة الشك وهى تعقد يديها فوق بطنها : كلا .. حقا ؟

ـ طبعا .. آه .. ها هما .

وانفتح الباب وظهرت الأم وصاحت تقول وهى تتحول الى ليزا : ولكنهما هنا .. اننا بحثنا عنكما فى كل مكان ... أين كنتما ؟

اتى ليو بحركة تدل على الدهشة وقال : اننا لم نتحرك من هنا .

نظرت مارى جريس اليه كالمجنونة وقالت : ما هذا السخف ! انتى أتيت منذ لحظة ، ولم يكن بالبهو أحد ، ثم انه كان مظلما .

قال الرجل فى برود وهو يتناول معطفه : انك واهمة بلا ريب . اننا لم نخرج من البهو ، أليس كذلك يا كارلا ؟

اجابت هذه الأخيرة بعد لحظة تردد : هذا صحيح .

وساد صمت كله وعيد . أحست الأم بأن الجميع يهزأون بها ، ولكنها لم تستطع أن تفهم لماذا . ودارت برأسها الشكوك وراحت تنظر الى وجوه الآخرين الثلاثة فاحصة وهى لا تدرى ماذا تفعل . وأخيرا قالت :

ـ انك مجنون . لم يكن بالبهو أى أحد منذ خمس دقائق ، وليزا تشهد على ذلك .

وقالت ليزا فى هدوء : الواقع انه لم يكن هناك أحد .

وساد صمت جديد . وقال ليو وهو يغمز بعينه غمزة لهـــا معناها : وكارلا تشهد بأننا كنا هنا . هذه هى الحقيقة ، أليس كذلك يا كارلا ؟

أجابت فى ارتباك : نعم .

قالت مارى جريس فى خشونة : كما تشاءان ... أنا مجنونة ، وليزا كذلك .

وما أن استردت نفسها حتى تحولت الى ابنتها وقالت : اذا شاء ليو ان يقوم بمثل هذه الدعابات فهذا شأنه . ولكن أنت ؟ .. يجب أن تخجلى من نفسك اذ تهزئين بأمك هكذا ... أهـذا هو الاحترام الذى يجب أن تكنيه لأمك ؟

احتجت كارلا قائلة : ولكنها الحقيقة يا أمى .

وآلمتها الدعابة ، وأحست انها شوكة انغرزت فى كيانها ، وددت لو أن تصرخ فى قسوة : نعم ، اننا كنا فى البهو ، وكنا مختبئين خلف الستار ، متعانقين » . وتصورت الشجار الذى سيقع عندئذ، ولكنه ، على الأقل سيكون الأخير .

وقالت ليزا عندئذ في ملل : حسنا يا ميروميس . هل ننصرف ؟

وكان الرجل قد تأهب للانصراف فبسط يده لماری جريس وهو لا يملك الا أن يقول مبتسما : فكرى فى هذا الأمر ... فكرى فيه طوال الليل .

ولكن الأم هزت كتفيها وقالت : اننى انما أنام طوال الليل .

ثم عانقت ليزا وهمست فى أذنها قائلة : تذكرى ما قلت لك .

وفتحت كارلا الباب ، وهبت فى البيت نسمة من الهواء البارد . وخرج ليو وليزا وابتلعهما الليل .

الفصل الرابع

صعدت الأم والابنة معا الى الطريق العلوى . ولم تفتح مارى جريس فمها فى السلم ، فقد ساءتها المزحة التى تعرضت لها . ولكنها سألت ابنتها وهما فى الطرقة عما تنوى أن تفعل فى اليوم التالى فأجابها كارلا :

— اننى سأذهب لكى العب التنس .

ثم مضت كل منهما الى غرفتها من غير ان تتبادلا العناق .

وكان المصباح مضاء فى غرفة كارلا ، فقد نسيت أن تطفئه . وفى النور الابيض بدا كأن قطع الاثاث والتحف تنتظر عودتها ، وما أن دخلت حتى وقفت فى حركة آلية أمام المرآة . لم يكن فى وجهها أى شىء غير عادى فيما عدا عينيها المتعبتين والمتألقتين بصورة غريبة . كانت هناك هالة زرقاء سوداء تحيط بهما . واقلقها بصرهما كما لو كانتا عينا شخص آخر ينظر اليها . وبقيت لحظة دون حراك ، وقد اعتمدت بيديها على المرآة ثم اطلقتهما ومضت فجلست فوق فراشها ونظرت حولها . كانت الغرفة تبدو كما لو كانت غرفة طفلة فى الثالثة أو الرابعة من عمرها ، فقد كانت قطع الأثاث بيضاء اللون ، منخفضة وصحية . والجدران بيضاء بديكور لازوردى ، وصف من الدمى ذات الأطراف المعوجة والعيون المضطربة مصفوفة فى اهمال فوق اريكة صغيرة أمام النافذة . كان الأثاث هو نفس اثاثها وهى طفلة ، فان أمها كانت خالية الوفاض ، ولم تستطع ابدا استبداله بغيره مما يتناسب مع سن ابنتها . ومهما يكن فى حاجتها الى غرفة جديدة ؟ .. انها ستتزوج وستغادر البيت . وهكذا كبرت كارلا وترعرعت فى النطاق الضيق لأبعد سنوات عمرها ، ومع ذلك فان الغرفة لم تعد كما كانت ، صبانية جرداء ، فان كل سنة من سنها تركت فيها أثرها من تحف وثياب بحيث ازدحمت بما يناسب وما لا يناسب ، فانك ترى فيها خصوصيات المراة ، فطاولة الزينة مثلا مشحونة بالعطور والمساحيق والمراهم والأصباغ الى جانب

ربطتى الساق المعلقتين بجوار المرآة ، كما ترى فيها خصوصيات فتاة صغيرة تتمثل فى فوضى خفيفة قوامها ثياب ملقاة فوق المقاعد وقوارير مفتوحة واحذية مبعثرة .

راحت كارلا تنظر الى هذه الاشياء فى ذهول هادىء دون أن يخطر بذهنها أى خاطر . كانت جالسة فوق فراشها ، فى غرفتها ، والمصباح مضاء ، وكل شىء مكانه كما هو فى كل ليلة .. وهذا كل شىء . وبدأت تنضو عنها ثيابها فخلعت حذاءيها وثوبها وجوربها فى حركات عادية لم تكن لتمنعها من أن تردد البصر حولها ، فتارة تنظر الى راس مشعثة لدمية . ومرة الى المشجب المشحون بالثياب ، وأخرى الى طاولة الزينة ثم الى المصباح ... وهذا النور الذى لا يشبه أى نور آخر .. هذا النور الهادىء المألوف ، كان يبدو كأنه جزء لا يتجزأ من اثاث الغرفة ، وكان يوصى ، بسبب النافذة المغلقة والستائر المسدلة باحساس من الأمان المريح وبالقلق بعض الشىء ... لم يكن هناك اى شك ممكن ... انها فى غرفتها حقا ... لم يكن هناك شك فى ان الليل مخيم خارج هذه الجدران ، ولكنها كانت معزولة عنه بحدود منطقة داخلية بحيث انه كان فى مقدورها أن تنساه وان تحلم بأنها وحيدة فى منجاة من العالم .

وفرغت من خلع ملابسها وهزت راسها وهى عارية تماما ، ثم نهضت ومضت الى الدولاب لكى تأخذ بيجامة جديدة . وقطعت هذه الخطوات القلائل فى رشاقة ، وعلى طرفى قدميها وفتحت درجا ولاحظت وهى تنحنى ان نهديها الكبيرين يتحركان بحركة خاصة ، تحت عينيها . واذ اعتدلت رات نفسها تماما ، وأدهشتها الهيئة الخرقاء والمخجلة لهذا الجسد العارى وعدم تناسب راسها الكبير مع كتفيها النحيفين . قد يكون ذلك بسبب شعرها . واخذت مرآة يدوية ووضعتها خلف قفاها ... نعم ، ان شعرها طويل ... « يجب أن أذهب الى الحلاق غدا » .

ونظرت الى نفسها مرة أخرى .. آه ! .. ان ساقيها معوجتان قليلا ... ولكنه اعوجاج تحت الركبة يكاد لا يلحظ ... والصدر ؟ منخفض أكثر مما يجب . ورفعته بيديها الاثنتين وهى تقول : « هكذا يكون أفضل » وأدارت راسها محاولة ان ترى ظهرها ، ولكن فيما هى تحاول أن تحتضن بعينيها هذه الصورة الاخرى من نفسها لمست التناقض بين تفاهة مثل هذه الحركات وجسامة الاحداث التى

وقعت فى هذا اليوم . فمنذ دقائق قبلها ليو ، واذ تذكرت ذلك القت بالمرآة وعادت الى فراشها .

جلست ، وبقيت لحظة جامدة تحدق بعينيها فى الارض . كان ذلك بداية حياة جديدة حقا . ورفعت رأسها ، وبدا لها ان هـذه الغرفة الهادئة ، الطاهرة ، البعيدة عن الريب والظنـون لا تكون مع كل هذه العادات الصغيرة الحمقاء الا شيء واحد حى ... شخص محدد المعالم ، تعد له دون أن تدرى ، وبتكتم ، مباغتة خيانة لا مثيل لها ، وقالت فى ابتهـاج مرير : لن ألبث أن أودع كل هـذا الى الأبد » ومن مكانها فوق الفراش ، كما لو كانت فوق سفينة توشك على الابحار ، حيث بيدها الأشياء التى تحيط بها ، ودار بذهنها أوهام مجنونة وحزينة . وبدت لها بعض الظروف يربطهـا رباط محتوم وقالت تحدث نفسها : « أليس غريبا اننى سأستسلم لليو غدا ، وأن غدا عيد ميلادى ؟ ... وفكرت عندئذ فى أمها فجأة وأردفت تقول : « وسوف أرحل مع رجلك يا أماه .. نعم ، مع رجلك أنت » .. راقت لها هذه المنافسة وهذه المصادفة المقززة . كل شيء نجس وقذر ... رغبة مبهمة فى الدمار تحل فى هذه المغامرة محل الود والحب . وفكرت . أن أخلق موقفا فاضحا ، موقفا حرجا جدا وأن أغوص فى أعماق الغضب والخزى » ورفعت رأسها فجأة ورأت نفسها فى مرآة الدولاب . وبدا جسدها يرتجف كله دون أن تدرى لماذا ... ودت لو أن تبكى وتصلى . خيل لهـا ان أفـكارها قد أضاعتها ، وراحت تكرر قائلة : أين أمضى ... اين أمضى ... وأين تمضى حياتى ؟

وأخيرا ، لم يعد لهذه الكلمات أى معنى ، ورأت انها لم تعد تفكر فى شيء وأنها عارية وجالسـة على حافة فراشها ، وأن المصباح مضاء ، وأن كل شيء فى مكانه المعتاد ، وانه لم يبق من تحمسـها القصير غير مرارة فارغة ، وأحست بأنها قد بلغت تقريبا بعد جهد كبير نقطة أساسية من مشكلة ما دامت قد غربت عن بالها بطريقة غامضة . وفكرت قائلة : « فليقع ما يقع » ثم أخذت بيجامتها وارتدتها فى تكاسل ، واندست تحت الغطـاء وأطفـأت المصباح واطبقت عينيها .

الفصل الخامس

لم يكن أحد من الخدم يرقد فى بيت ليزا ، فلم تكن تريد أن يبقى أحد منهم أثناء الليل . اما شئون المطبخ التى لابد منها ، والتنظيف، فكانت تعهد بها الى زوجة البواب ، وهى امرأة قصيرة القامة قوية الجسم .

وفى ذلك الصباح ، استيقظت فى وقت متأخر ، فمنذ أيام كثيرة كانت تعود بعد انتصاف الليل وتنام دون استمتاع وتصحو متعبة وأكثر عصبية من الامس . وقد أفاقت فى ذلك الصباح بصعوبة كبيرة وراحت تدور ببصرها حولها فى الغرفة . كانت هناك ظلمة خفيفة يتخللها الغبار وتخترقها آلاف من خيوط النور تملأ الغرفة . وفى تلك العتمة كانت العين تكاد تميز قطع الأثاث العتيقة الجامدة والميتة ، والمرايا الصامتة والثياب المعلقة والباب . كان الهواء ثقيلا تختلط فيه رائحة النعاس برائحة النهار ، وكانت النافذة مغلقة . ووثبت ليزا من الفراش وهى ترفع شعرها الذى تهدل فوق وجهها المبتل بالعرق ، ومضت الى النافذة وفتحتها . وغمر نور النهار الغرفة ، وأزاحت الستائر . كان زجاج النافذة يغشوه البخار، وكان الجو ينبىء بالبرودة . وخلال هذا الندى كانت تظهر الوان مبهمة بيضاء وخضراء كما لو كانت مذابة فى بحيرة من الماء . ومزقت بيدها هذا الستار السائل ، ورأت على الفور جزءا من سطح أحمر أدركت من منظره دون أن ترفع عينيها أن السماء ملبدة بالغيوم . وغادرت النافذة وتقدمت بضع خطوات فى الغرفة المزدحمة . كان الفراش يشغل أكبر مساحة من الغرفة ، وكان قائما بجوار النافذة بحيث أنها فى ليالى الشتاء كان يروق لها أن ترى على بعد متر وهى مستلقاة تحت الغطاء الدافىء مياه المطر وهى تهطل كالسيل فى الليل العاصف وترتطم بزجاج النافذة . وكان هناك غير الفراش دولابان كبيران بمرآتين صفراوين . وكانت الغرفة متوسطة الطول ، ولكن

بذلك الفراش وبالدولابين لم يكن هناك ما يكفى من المكان لكى يتحرك المرء كما يحلو له .

ومشت الى دولاب الملابس . لم تكن ترتدى غير قميص قصير شفاف جعلته مفاتن جسدها يبدو أقصر مما هو . كانت ساقاها مكشوفتين تماما حتى الثنية العميقة التى تفصل فخذيها البيضاوين عن استدارة ردفيها . وبدا جسدها غضا بضا كما لو كان جسد فتاة فى العشرين من عمرها . ورأت نفسها على هذه الصورة فى المرآة ، نصف عارية فارتدت قميص الحمام ومضت الى دورة المياه .

وعادت بعد ان اغتسلت وجففت نفسها فجلست امام طاولة الزينة . وكانت زينتها وجيزة . كانت لا تستخدم الاصباغ ولا المراهم ... فاكتفت بتمشيط شعرها وبقليل من العطر والمسحوق ثم ادارت راسها للمرآة وانحنت لكى تلبس جوربيها ، ولم يكن يدور براسها عندئذ غير خاطرين اثنين ، أولهما فطورها وثانيهما ميشيل. وكانت تحب الطعام الشهى مع القهوة فى الصباح : المربى الحلوة والفطائر والزبد والكعك . وكانت نهمة لا تغادر المائدة الا بعد أن تشبع ، ولكنها اليوم بالذات خشيت أن تبقى من غير طعام . « فقد يبكر ميشيل فى الحضور ومن الافضل الا يأتى وانا اتناول الطعام . حسنا ، سوف أعوض ذلك مرة اخرى » . ونهضت وارتدت قميصا وردى اللون ومن فوقه جاكيت ضيق وجونلة شدت صدرها كما لو كانت مشدا ، فقد شاء لها خيالها أن تتوهم فى ميشيل عاشقا شديد الوجد ، وشابا خجولا لا تجارب له ، تبذل له نفسها وهى ترتجف غبطة وفرحا ... حب طاهر اخيرا ... وفكرت تقول فى اقتناع : « ان فى هذا الحب خيرا كبيرا بعد الحياة التى قضيتها حتى الآن » ... ليال بلا رقاد وملذات مرهقة مجردة من المتعة الحقيقية ... سوف تنقشع هذه السحابةغير السليمة . سيأتيها ميشيل بالشمس وبالسماء الزرقاء والنضارة والحمية . سيحترمها وسيعاملها كما لو كانت معبودا ويضع راسه على ركبتيها . كانت تشعر برغبة عارمة فى ان يفعل ذلك وفى أن تنهل من شبابه المتدفق وأن تعود الى هذا الحب الجديد المتلجلج المحتشم الذى نسيته منذ عشرين سنة . سيكون ميشيل النقاء ذاته . ستبذل نفسها لهذا الفتى دون شبق أو احتدام ، ستمضى للقائه وهى تكاد ترقص فرحا

وستقول له « أنا لك » وسيكون هذا حبا مدهشا ... حبا لم يعد أحد يرى مثيلا له هذه الأيام .

وكانت قد فرغت من ارتداء ثيابها فخرجت من غرفتها وعبرت ممرا ضيقا مظلما ، ودخلت مخدعها الذى يسطع بالنور ، وهو عبارة عن غرفة بيضاء ووردية فالأثاث أبيض والسقف كذلك . أما السجادة والمفروشات والاريكة فكانت كلها وردية اللون ، ينساب نور النهار اليها من ثلاث نوافذ كبيرة . وكان كل شيء يبدو للوهلة الاولى نقيـــا وجديدا ، فهذه سلة للشغل ، وهذا دولاب كتب وهذه زهور فوق مناضد مزخرفة ، ولصق الجدران لوحات مرسومة بالمـاء . صفوة القول ، مجموعة من تفاهات تعطى للمرء صورة من مخدع فتاة ، ولكنه لا يلبث ، اذا ما أمعن النظر أن يدرك ان المخـدع ليس جديدا وانه كباقى الشقة ، فان الطلاء قد تقشـه وعلاه الاصفرار والسجادة حال لونها وبلى صوفها فى أكثر من موضع ، وفوق الاريكة والمساند مفارش بالية . ونظرة أخرى ويتبدد كل وهم فالستائر ممزقة واللوحات قذرة والكتب يعلوها الغبار والسقف به شقوق ، ولكى تتم الصورة نقول انه اذا ما ظهرت صاحبة البيت فى هذا المخدع فان وجه المرأة وحده يفسر كل ما فى المخدع من تلف وفساد .

جلست ليزا أمام مكتبها وانتظرت . كانت بها رغبة شديدة فى ان تتناول فطورها ولكن ما العمل ؟ وحدثت نفسها وهى تنظر الى ساعتها على مضض : « لو أعرف فقط فى اية ساعة سيأتى » . ولكنها استطاعت مع ذلك أن تسيطر على نفسـها ، واقصت هذه الرغبة عنهـا

وقطع عليها حبل تأملاتها صوت رنين الجرس فتسارعت دقات قلبها وابتسمت . والقت نظرة الى المرآة وخرجت الى البهو .

وأضاءت النور قبل أن تفتح . ودخل ميشيل . وقال وهو يعلق معطفه وقبعته : أظن اننى بكرت فى الحضور .

أسرعت تقول : أبدا .

ومضت الى المخدع ، وجلسا فوق الاريكة وسألته : كيف حالك ؟

وعرضت عليه سيجارة رفضها . وجلس ويداه فوق ركبتيه وقد بدا عليه القلق ، وقالت ليزا بعد صمت قصير :

اذا سمحت فسوف أستلقى .

ورفعت ساقيها وتمددت فوق الوسائد . ولمح ميشيل فخذين

بيضاوين فابتسم وقال يحدث نفسه « انها تحاول اثارتي بكل تأكيد » ولكنه بقي على هدوئه وبروده ، فان ليزا لم تكن تروق له على الأطلاق .

ونظرت الى الشاب وهي تتساءل ماذا تقول له ، واستولى عليها الارتباك . كانت راسها فارغة وقلبها في صخب . وكان أول شيء عاد الى ذهنها ذلك الشجار الذي وقع بالامس بين ليو وميشيل . وترددت في أن تطرق هذا الموضوع ولكن خطر لها أنها قد تستطيع الانتقام من عشيقها القديم اذا هي كشفت لميشيل عن علاقة ليو بأمها وهي تقول لنفسها انه ربما لا يعلم بها ، وبأنها قد تصل بذلك الى أغراضها المثيرة فقالت :

ـ أراهن انك متلهف لكي تعرف لماذا طلبت منك بالامس أن لا تعتذر لليو .

تحول اليها وهم بأن يقول : بل انت الذي تتلهفين لكي تقولي لي ذلك ، ولكنه قاوم نفسه وقال : هذا صحيح .

ـ أظن انه من حقي دون أي شخص آخر أن أفتح عينيك ؟

ـ لا شك عندي في ذلك .

ـ انني لم أقل شيئا منذ وقت طويل ، واتظاهر بأنني لا أرى شيئا . ولكن الكيل طفح ، وما رأيته أمس أحنقني جدا .

قال ميشيل : وهل أستطيع ان أعرف ما الذي أحنقك ؟

ـ اعتذارك لليو ، خاصة وأن أمك هي بالذات التي عرضتك لمثل هذه المهانة .

ارتسمت امارات السخرية على وجه الشاب وفكر : آه ... انها تريد أن تسوق لي ذلك النبأ الكبير وهو أن الأمي عشيقا .

وأحس بالتقزز من ليزا ومن نفسه وقال : ربما لم يكن في ذلك أية مهانة .

ـ كان أمرا مهينا على كل حال ... ومهينا جدا . وستفهم عندما تسمع ما سوف أقول لك .

ـ لحظة واحدة . لا أدري ما سوف تقولين ، ولكن اذا كان الأمر يبدو خطيرا فانني اريد أن اعرف أولا لماذا تقولينه لي .

وتبادلا النظر ، وعادت ليزا تقول وهي تخفض عينيها : لماذا ؟ .. ولكن الأنني أهتم بك كثيرا ، ولأنني احبك كثيرا ، ولان هناك ، كما سبق أن قلت لك أمورا كثيرة تثير حنقي .

ولم يكن يجهل العلاقة التى كانت تربط بين ليو وبين هذه المرأة وفكر « ان الذى يحنقك هو ان ليو قد طار من بين يديك » ولكنه هز رأسه فى جد وقال :

- انت على حق ... ما الذى أثار حنقك الى هذا الحد ؟

- لقد أقدمت أمك على حماقة كبيرة ، فقد تعرفت بميروميس منذ عشر سنوات و ...

قاطعها فى ذعر زائف قائلا : لعلك لا تريدين ان تقولى لى ان ليو عشيق أمى ؟

أجابت ليزا فى بساطة مؤلمة : اننى آسفة ، ولكن هذه هى الحقيقة ، ولعلك تفهم الآن حفيظتى عندما رأيت أمك تحملك على التذلل أمام هذا الرجل .

لم يأت بحركة ولم ينطق بكلمة . رأى بعين الخيال ليو وامه ، ورأى نفسه بالذات كطفل خجول مرتبك يعتذر ويطلب العفو . ولكن هذه الذكرى لم تقلقه ولم تثر فى نفسه اى احساس ، وود لو ان يكون الامر غير ذلك وأن يشعر بالسخط والحقد والغضب . وآلمه جدا وحز فى نفسه عدم اكتراثه الى هذا الحد .

ورأى ليزا تعتدل وتجلس الى جواره . والقت يدها على رأسه فى حركة خرقاء مواسية وقالت : تشجع . اننى أدرك ان هذه المحنة تثير شجنك . ان الواحد منا يعيش على ثقة من الآخرين وعلى احترامهم وتقديرهم ، ولكن لا يلبث أن ينهار كل شىء حوله ... ولكن لا تهتم ، فان فى هذا درسا لك .

هز رأسه وهو يجز على شفتيه لكى لا يضحك . وحسبت ليزا ، على العكس ، بأنه يحاول التغلب على حزنه ، وقالت فى لهجة رثاء معسولة دون أن تكف عن مداعبة شعره :

- رب ضارة نافعة . ان كل هذا يقرب ما بيننا . هل تريد أن أكون لك كما كانت عليه أمك حتى اليوم ... هل تريد أن أكون صديقة لك ؟

كانت مخلصة فى قولها هذا ، ولكنها تكلمت فى لهجة حادة زائفة بحيث ان ميشيل ود لو ان يطبق فمها بيده ، غير انه لم يفعل . رأى نفسه جالسا بجوار المرأة ، على حافة الاريكة ... كان منظرا مضحكا يثير السخرية الى حد انه لم يجد أمامه غير وسيلة واحدة

لكي لا يضحك ، وهى الجمود التام . وازدادت ليزا حماسا وراحت تقول :

— سوف تأتى لزيارتى من وقت لآخر .. وسوف نتبادل اطراف الحديث .. وسنحاول ان نعيد بناء حياتنا وان ننظمها .

نظر اليها من طرف عينه . كانت منحنية الى الامام وقد اصطبغ وجهها بالرغبة وفكر : « هذه اذن هى بداية البناء والتنظيم » . ثم تذكر ذلك القريب الذى يجب ان يأتى . لماذا لا يستفيد من هذه المغامرة ؟ .. ولماذا لا يظل على تصنعه وتظاهره ؟ .. وقال وهو يرفع رأسه كما لو كان قد أفلح من التغلب على حزنه :

— كانت ضربة قاسية ، ولكنك على حق .. يجب ان ابدا حياة جديدة .

أسرعت ليزا تقول فى حماس : طبعا .

خيم بعد ذلك صمت عميق . كان كل منهما يتصنع لاغراض مختلفة ، ويتكلف الحديث . وجلسا ، متجاورين ، واطرقا براسيهما الى الارض .

وأخيرا ، دس ميشيل ذراعه خلف ظهر المراة وطوق خصرها فقالت «كلا» فى صوت واضح دون أن تأتى بحركة الجمود واحدة كما لو كانت ترد على سؤال داخلى . وابتسم ميشيل على كره منه ، فقد أحس بشىء من الارتباك على الرغم من ذلك ، وجذب ليزا اليه وهو يزيد من ضغطه عليها . وعادت تقول : « لا .. لا ... » ولكن فى صوت ضعيف ثم استسلمت والقت المضطربة على كتف الشاب ، وبعد لحظة من الجمود العاطفى أمسك بذقنها . وعلى الرغم من احتجاج عينيها الصامت قبلها فى فمها . وابتسمت ليزا ابتسامة راضية وقالت : يا شقى ... نعم .. انت شقى ، وجرىء .

نهض ميشيل وهو يتغلب على مشاعره ، وراح يسير فى المخدع ويداه فى جيبيه ، ووقف أمام اللوحات المرسومة بالماء ، وأخذ يتأملها وهو فى شدة الاستياء ، وفجأة سمع صوت ليزا من خلفه تقول :

— هل تروق لك ؟

— انها أسوا ما رايت فى حياتى .

قالت مغمومة : حقا ... انها تروق لى .

وعادا الى الاريكة . كانت رأس الشاب تدور . واضطربت

وجنتاه ، وفكر فى تقزز : كل هـذا بغيض ، ومع ذلك فمـا كادا يجلسان حتى ألقى بليزا فوق الوسائد كما لو كان يريد امتلاكها . ورآها تطبق عينيهـا وتستسلم لنوع من النشوة بصورة مضحكة ومقززة . وكان الانطباع من القوة بحيث تلاشت رغبته فقبل فم المرأة فى برود ثم ألقى بوجهه فوق صدرها وهو يتنهد فى صوت مكتوم وفكر : « سأبقى هكذا حتى لحظـة الانصراف ، وبهذه الطريقة لا أراها ولا أقبلها » .

واحس بيدها تداعب شعره وسمع صوتها الزائف يقول : ماذا دهاك ؟

أجاب فى جد وهو مغمض عينيه : أظن انه يكفى ان نبذل جهدا بسيطا لكي نكون صريحين ولان نعترف ان كلا منا يكره نفسه لـكى يتبع طريقا مختلفا .

وتنهد وقد خيل له انه وصف نفسه وفكر : « لماذا أنا هنا ؟ ولماذا الكذب ؟ .. ليس أسهل من أن أذكر الحقيقة وأن انصرف .

قالت المرأة دون أن تكف عن مداعبة شعره : هو ذلك ... هذا صحيح . ولكن دعك الآن من أفكارك المحزنة ... انك لم تعـد بحاجة الى الآخرين ، فأنا هنا الآن ، وقد أصبحنا اثنين ، انا وأنت . وسوف نتجاهل الدنيا بأسرها ، (ونطقت بهذه الكلمات فى حماس جعل ميشيل يرتجف) سنعيش بعيدا عن الاشياء التى لا تروق ... بعيدا عن كل هذه المضـايقات .. وستروى لى حياتك وآلامك وأشجانك ، وسأمنحك انا كل الحب الذى لدى والذى أدخرته لك . سأكون رفيقتك ، فهل تريد ؟ .. رفيقتك الوفية المتواضعة .. رفيقة تستمع اليك فى صمت وتواسيك بمداعباتها ... هكذا .

وتوترت يداها فوق رأس ميشيل ، وانحنت فوقه وقبلت شعره وقفاه فى قوة وهى تتشبث بأصابعها المضطربة على كتفيه . وخفق قلبها وهى تقول : « أخـيرا .. أخيرا .. وجـدت من يحبنى وأحبه » .

ولكن ميشيل لم يتحرك ، فلم يسبق له ان رأى الانفعـال والسخرية والمهزلة والحقيقة مختلطة الى هذا الحد . وتملكه ارتباك شديد ، وراح يقول لنفسه : « ليتها تسكت على الاقل » وأحس برغبة جنونية فى أن يقول الحقيقة الجافة وان ينصرف ، ولكن منعه

من ذلك احساسه بالشفقة ، ثم ، الم يسهم هو فى هذا الموقف ويضاعف من أوهامها ؟ .. الم يبدأ بتقبيلها ؟

وعادت المرأة تقول : حبيبى .. حبيبى ، لا يمكن ان تتصور مدى حبى لك .

وود ميشيل أن يقولها لها : « انك تبالغين » . ولكن عينيه كانتا مملوءتين بالظلام . خيل له انه لم ير النور أبدا ، فان هذا الصوت وهذه المداعبات أعطته انطباعا بليل لا أمل فيه . ورفع رأسه ودعك عينيه وهو يقول :

ــ آن .. أن أنصرف .. ولكن قريبك ؟ .. متى يأتى ؟

ولم تكن ليزا تتوقع هذا السؤال فقالت : سأمضى واتصل به تليفونيا .

وخرجت . وبقى هو وحده . فنهض ومشى ثلاث خطوات ، ووقف فى شرود الى احدى اللوحات . واقترب من الباب ودار به . كان التليفون فى آخر الممر المظلم ، ولكن ليزا لم تكن هناك . كان خروجها مختلفا . لقد كذبت لكى تحمله على المجىء الى بيتها ، وليس هناك وجود لهذا القريب .

وأغلق الباب ، وعاد يتأمل الصور من جديد وقد خامره تقزز خفيف وأحس بضيق كذلك الذى يسبق التقيؤ . وفتح الباب بعد لحظة ودخلت ليزا وقالت :

ــ اننى آسفة . انه مشغول ولا يستطيع المجىء . ولكنه وعدنى أن يأتى غدا .. فهل تستطيع أن تأتى بعد ظهر غد ؟

أجاب ميشيل وقد ازداد ضيقا : كلا . لن آتى .

قالت المرأة فى اصرار وفى شىء من الوقاحة : ولكنه سيأتى ، واذا أتت لم ...

وضع ميشيل يده فوق كتفها وحدق فيها قائلا : كلا .. هذا مضحك .. انه لن يأتى .. لماذا لا تقولين الحقيقة ؟

رآها تضطرب ، وأسوأ ما فى الامر انه رآها تتحاشى نظرته وتبتسم ابتسامة فاجرة ... ابتسامة امرأة لا يهمها انها أخذت على غرة ، وقالت وهى لا تكف عن الابتسام :

ــ أية حقيقة ؟

أجاب ميشيل فى برود : اننى نظرت الى الممر ، فلم أرك تتكلمين فى التليفون ، ولا وجود لهذا القريب .

وساد صمت قطعته ليزا أخيرا بأن قالت فى هدوء وبساطة وهى تبتسم وتهز كتفيها : اذا كنت قد نظرت الى الممر فلماذا كل هذه الأسئلة ؟

نظر ميشيل اليها وهو يقول لنفسه : الا يمكن أن تفهم انه كان فى مقدورها أن تتصرف بطريقة أخرى ؟

واراد أن يبذل جهدا أخيرا فقال : كلا ، لا تتكلمى بهذه اللهجة .. ان الأمر هام . لماذا قمت بهذه المهزلة ؟ .. ولماذا لم تقولى لى بكل بساطة « تعال غدا لكى نتناول العشاء معا » .

أجابت بلهجة عادية دون أى اضطراب : أعلم انه كان يجب أن أقول ذلك ، ولكنك ستأتى على كل حال ، أليس كذلك ؟ .. ثم . لا تخف . اننى لم أتكلم مع قريبى بعد ، ولكننى سأتحدث اليه فى أقرب وقت ممكن .

قال ميشيل يحدث نفسه : آه . انها تظن اننى أصبت بخيبة أمل لأننى لى أر هذا القريب .

وقسمت قسماته وقال : كلا . لن آتى . ولا فائدة من أن تقولى أى شىء .

وأولاها ظهره وخرج الى الممر ، وقالت فى ذهول وتوسل وهى تناوله قبعته : أحقا لن أراك غدا ؟

نظر اليها . رأى ان محاولته لم تجد شيئا ، وأن تقززه ورثاءه لم يكن لهما اية فائدة ، فقد ظلت على خطتها .

وقال وقد زاد تقززه :

ــ وما الفائدة من العودة ؟

ــ ماذا تعنى ؟

ــ ان هذا لن يجدى (وهز رأسه) هكذا خلقت ولن تتغيرى .. لا فائدة .. انكن جميعا سواء .

عادت تقول وقد اصطبغ لونها رغما عنها : ماذا تعنى ؟

ود لو أن يقول لها : أنتن تافهات ، لا تفكرن فى شىء غير الحب والجنس . ولكن حز فى نفسه أن يقسو عليها وأن يقول لها هذا واكتفى بأن قال :

ــ حسنا . سوف آتى على كل حال . ولكن هناك شيئا أود أن أسألك اياه . ما دمت واثقة من اننى ... أحبك ، ومن اننى سأعود

فلماذا استخدمت هذه الحيلة بدلا من أن تتكلمى بصراحة ؟ .. يكن هناك داع لذلك .

قالت فى خضوع : نعم . انك على حق . ولكن من منا بلا خطيئة ثم أن قريبى هذا موجود حقا ، وهو ثرى جدا ... غاية ما في الامر اننى لم أره منذ مدة طويلة .

قال ميشيل : حسنا . هذا يكفى . الى الملتقى اذن .

وأخذ يدها . ولكنه رأى فجأة ان ليزا تنظر اليه بطريقة غريبة وانها تبتسم له فى استفزاز فأدرك ما تنتظره وقال : « آه . لا بأس » . وانحنى ، وأخذ المرأة بين ذراعيه وقبلها فى فمها ث أطلقها من بين ذراعيه وخرج . وعند الباب تحول لكى يحييها ، ورأ عندئذ انها اختبأت فى خوف خلف معطف وقد اعتراها الخجل ، ورأ لو كانت فتاة تقع فى الحب لأول مرة . ورفعت أناملها الى شفتيه وأرسلت اليه بقبلة أخيرة فقال فى نفسه : يا لها من مهزلة شائنة .

وأسرع يهبط درجات السلم دون ان يحاول رؤية المزيد .

الفصل السادس

في ذلك اليوم فرغت ماري جريس من ارتداء ثيابها في وقت متأخر جدا ، وكانت لا تزال جالسة أمام طاولة الزينة في الظهر ، تحاول أن تصبغ بالفرشاة أجفانها المتورمة باللون الاسود . كانت أشباح الغيرة قد أمضتها منذ أن استيقظت ، ولكنها لم تلبث أن تذكرت ان اليوم يوم عيد ميـــلاد ابنتها فغمرتها موجة عارمة من الحب الاموي ... وراحت تقول وقد أغرورقت عيناها بدموع الحنان « حبيبتي كارلا .. صغيرتي العزيزة كارلا .. انها المخلوق الوحيد الذي يحبني في العالم » . ونهضت وأخذت ترتدي ثيابها وهي تفكر في كارلا وفي عيد ميلادها الرابع والعشرين . بدا لها هذا العيد حدثا مؤلما مثيرا للدموع ، ومن ناحية أخرى راحت تفكر في غير انقطاع في الهدايا والمسرات التي ستقدمها لابنتها « ليس لديها ثياب كثيرة ، وسوف اشتري لها الكثير .. وسأشتري لها معطفا من الفراء أيضا ، فهي تريد معطفا منذ وقت طويل » ولكنها لم تفكر من أين تأتي بالمال اللازم لكي تشتري هذه الاشياء . « يجب أن تجد زوجا وبذلك تتحقق كل أمنياتي » وامضتها فــكرة أن ان ابنتها قد بلغت الرابعة والعشرين من عمرها ولما تتزوج بعد . وأحست بغضب شديد من نحو الرجال » . كل هؤلاء الشـــبان الحمقى ... انهم لا يفكرون الا في ملذاتهم وفي تضييع وقتهم . أما الزواج فلا يهتمون به اطلاقا . ولكن كارلا ستتزوج على الرغم من كل ذلك دون أي شك ، فهي جميلة » وراحت الأم تعدد صفاتها على أصابعها . « بل هي جميلة جدا ، ثم أنها طيبة كالملائكة وذكية ومثقفة ، وقد لقيت تربية ممتازة فماذا يريدون أكثر من ذلك ؟ .. المال ؟ .. هذا هو بيت القصيد . ستدخل كارلا بيت زوجها عارية كالطفل الوليد ، لا يضنيها شيء الا فضائلها . ولكن هل صحيح ان الفتيات الثريات هن وحدهن اللواتي يتزوجن . ولكن هناك فتيات كثيرات لا يملكن

بائنة استطعن أن يتزوجن » وغادرت ماري جريس مخدعها ومضت الى غرفة الانتظار وقد شدت هذه الفكرة من عزيمتها .

كانت هناك باقة جميلة من الورد ، وبجوارها صندوق صغير ، ومع الورد رسالة أخذتها الأم وفضتها وقرأت فيها هذه الكلمات : « الى كارلا .. ابنتي تقريبا ، مع أحسن أمنياتى ، ليو » . وأعادت الرسالة وسط الباقة وهى تقول مسرورة « ما أرق قلبه ! رجل آخر غيره ما كان ليعرف كيف يتصرف مع أولاد صديقته . أما هو فانه يعرف كيف يزيل كل الشكوك . انه أب بالنسبة لها » . وهمت أن تصفق بيديها لفرط سرورها ، ولو ان ليو كان موجودا فى هذه اللحظة لقبلته . ثم فتحت الصندوق ووجدت به كيسا صغيرا للنقود مصنوعا من الحرير المطرز وبه ياقوتة زرقاء في المشبك . وطارت ماري جريس من الفرح وأخذت الباقة والصندوق وأسرعت الى غرفة كارلا وصاحت تقول :

— أرأيت الى هذه المفاجأة الجميلة يا ابنتى !

وكانت كارلا جالسة وفى يدها كتاب ، فنهضت دون أن تنطق وقرأت الرسالة ... هذا التهور من ليو ومحاولته اذ دعاها « بابنته تقريبا » أعادا الى ذهنهـا بطريقة جعلتها ترتجف السمة المقلقة والمحرمة نوعا ما لمغامرتها الغرامية ، ورفعت عينيها فرات عينى أمها تتألقان سرورا فابتسمت وقد تملكها الانفعال ، وضمت الباقة الى صدرها فى غباء وقالت :

— هذه حركة جميلة منه ... وماذا فى هذا الصندوق ؟

أجابت الأم فى حماس : كيس للنقود .. كيس أنيق للسهرة . لا ريب أن ليو دفع فيه ما لا يقل عن خمسمائة فرنك .

وفتحت الصندوق وقدمت الكيس لابنتهـا وهى تقول : أليس جميلا ؟

أجابت كارلا : انه جميل جدا .

ووضعته فوق المائدة ، وتبادلت المرأتان النظر . وقالت ماري جريس فجأة : ها أنت قد بلغت الرابعة والعشرين اليوم ، ومع ذلك فانه يخيل لى انك لم تكونى بالامس غير طفلة صغيرة .

أجابت كارلا فى شيء من السخرية : نعم يا أماه . وانا ايضا يخيل لى ذلك .

ولكنها كانت تحدث نفسها فتقول : ابتداء من اليوم لن اكون طفلة .

ونظرت الام الى ابنتها وقالت : ولم تعد لى غير أمنية واحدة هى أن أراك متزوجة .. سيسعدنى ذلك كثيرا .

ابتسمت كارلا وفكرت : سيسعدك أنت ولـكن هل سيسعدنى انا ؟

وأجابت وهى تطرق برأسها : وددت ذلك . ولكن يجب أن نكون اثنين لكى نتزوج .. أنا .. وهو .

صاحت الأم بلهجة كلها ثقة : هو ؟ .. لسوف يأتى . قد يبدو لك قولى هذا سخيفا ولكن لدى احساسا بأنك ستتزوجين خلال هذه السنة التى بدأت اليوم .. أو ستخطبين على الاقل . لدى هذا الاحساس وان كنت لا أدرى له سببا .

ولكن هناك أمورا لا يمكن أن نجد لها تفسيرا وسوف ترين .

فكرت كارلا « بل سوف ترين أنت شيئا آخر » . فقدعقدت العزم على أن تبذل نفسها لليو فى نفس اليوم . وسبب لها ضلال أمها احساسا من الظلام الاسود والدياجير التى لابد من ان تحيط بهما دون اى أمل فى الخـــــلاص . وابتسمت وأجابت فى صوت ثابت : طبعا . لابد من أن يحدث شىء ما .

عادت أمها تقول فى اقتنـــاع : ان لدى احساسا بذلك . وهـــذه الزهور ، أين نضعها ؟

ووضعنا الزهور فى الاناء ، وانتقلنا الى غرفة الانتظار . وكانت هناك ستارة فوق زجاج الباب المؤدى الى السلم تحجب النور ، وجلست المرأتان فوق الاريكة ، واسرعت الام تقول :

— أخبرينى ، كيف تراءت لك حالة ليزا بالامس ؟

— كعادتها .

— حقا ؟ .. ولكننى أرى انها ازدادت سمنة ... ثم ان السن بدأت تظهر عليها .

قالت كارلا : لم ألحظ ذلك .

وادركت ما الذى تعنيه أمها وفكرت تقول : انما يجب أن تغارى منى انا يا أماه ، وليس منها .

واستطردت مارى جريس تقول : وذلك الثوب الذى كانت ترتديه ... لم أر أبشع منه أبدا ... ثم ، أرأيت كيف هاجمت ليو ، وأصرت على أن يصطحبها معه ؟ .. أظن أنها تتلهف على تجديد علاقتها القديمة به . ولكن ليو لم يعد يحفل بها ، واذا أراد فانه يجد أجمل منها بكثير ، فقد ترهل جسدها ولا أدرى لماذا تثير فى

نفسي التقزز والاشمزاز ... انها تبدو لى دبقة ومضطربة وتشتعل حرارة ... عندما تنظر الى الرجال بعينيها البراقتين فكأنها تدعوهم وتقول لهم « تعالوا معى » . ولكن لو اننى كنت رجلا فاننى ما كنت لألمسها باصبعى لانها تثير فزعى .

وأمسكت عن الكلام لحظة اذ سمعت صوت باب يقفل فى الطابق الارضى ، ونهضت واقفة وقالت :

ــ لا ريب انه ميروميس ... سأعود حالا .

أحست كارلا بقلبها تتسارع دقاته ، وهبطت السلم درجة درجة فى بطء كما لو كانت تخشى أن تخور قواها . ودخلت غرفة الصالون ، وكان ليو واقفا بجوار النافذة ، وكان يوليهـا ظهره . وقال وهو يمسكها من ذراعها ويجلسها فوق الاريكة : آه . أهذه أنت ؟

قالت : شكرا لهيديتك . ولكن لماذا كتبت « الى ابنتى تقريبا » ؟

ارتسمت على وجه الرجل ابتسامة وقحـــة وراضية فى نفس الوقت وقال : انما كتبت ذلك مراعاة لأمك ، ولأنه يروق لى أن أتصور أنك ابنتى .

وفكرت تقول : يا للعار .. يا للفظاعة .. ولكن النزوع الى الدمار كان فيها أقـوى من الاشمئزاز فقالت وعلى شفتيها نصف ابتسامة :

ــ أنا ابنتك ؟ .. الحق ان ذلك لم يخطر لى ابدا .. من أين جاءتك مثل هذه الفكرة ؟

أجاب ليو فى هدوء : جاءتنى مسـاء أمس ، بينما كنا خلف الستارة، تذكرت فجأة اننى عرفتك وأنت طفلة ، بضفائرك خلف ظهرك ، وساقيك العاريتين ، وقلت لنفسى عندئذ : كان فى مقدورى ان أكون أبا لها ، ومع ذلك ...

اتمت قوله وهى تنظر اليه مليا : ومع ذلك فان كلا منا يحب الآخر ، ولكن ألا ترى أن هذين الأمرين متناقضان ؟

قال ليو وهو لا يكف عن الابتسـام : ولماذا ؟ .. قد يكون ذلك من الامور العادية ، ولـــكن كل امرىء يتصرف حسب مشاعره فى الحالات الخاصة .

ــ ولكن هذا شيء يتعارض مع الطبيعة .

راح ليو يضحك وهو يرى امارات الجد والقلق المرتسمة على وجهها وقال : نعم . ولكن بما انك لست ابنتى حقا فليس لهـــذا

اهمية ... وبهذه المناسبة ، وقبل أن أنسى .. بعد أن نفرغ من تناول الطعام ، أنتحلي عذرا واهبطي الى الحديقة .. وسألحق بك على الفور .. اتفقنا ؟

أشارت برأسها أن نعم ، وانبسطت أسارير ليو وعقد ذراعيه ورفع عينيه الى السقف . لم يشأ أن يلثم كارلا او أن يلمسها لأنه كان يتوقع أن تدخل مارى جريس من لحظة لاخرى ، وكان يفكر ويقول : أخشى ان أبقى على اضطرابى ورغبتى ، والاوفق ان أؤجل كل شيء الى ما بعد ، حين تكون وحدنا ، وحين يكون أمامى كل الوقت . ولكنه كان لا يكاد ينظر الى كارلا حتى يضطرم وجهه وتستبد به رغبة ملحة فى ان يضمها بين ذراعيه وان يمتلكها فوق الاريكة فى اللحظة نفسها .

وضاعفت رغبته المكبوتة من حقده على مارى جريس ، وتذكر غيرتها الشديدة التى تعرض لها بالأمس ، فعصف به غضب لا حد له وقال فجأة :

ـ ان أمك غبية من الدرجة الأولى .

فتحت كارلا فمها لكى ترد ، ولكنهما سمعا الباب يفتح ، ودخلت الأم ممسكة بميشيل بيدها وهى تكاد تجره جرا . وقالت تخاطب عشيقها وهى تشير الى ابنها :

ـ صباح الخير يا ميرومس . يقول ميشيل اننا إذا بعنا الفيللا بالمزاد بدلا من ان تتنازل لك عنها فاننا نستطيع عندئذ أن نسدد لك دينك وان يتبقى لنا بعد ذلك نحو عشرة آلاف ليرة أو أكثر .

تجهم وجه ليو وقال : هذه حماقة ، فما من أحد يمكن ان يقدم ثمنا لمنزلكم أكثر مما أقدمه لكم .

قال ميشيل : ولكنك لا تقدم لنا شيئا فى الواقع ... انك انما تطردنا منه ولا أكثر .

أجاب الآخر محنقا ومتضايقـــا : اننى قدمت لكم الكثير حتى اليوم . ومع ذلك يمكنكم ان تفعــــلوا ما يحلو لكم ، وان تبيعوا البيت ، ولكن لا تعتمدوا على ، وليكن معلوما لكم ... لابد أن يصلنى المبلغ يوم الاستحقاق .

كان ليو يعلم الخطر الذى يتعرض له بقوله هذا فانهم اذا باعوا الفيللا بالمزاد فسوف تظهر قيمتهـــا الحقيقية ، وتتبخر أحــلامه عندئذ ، ولكن لحسن الحظ ان مارى جريس لم تكن تعرف ما هو

البيع بالمزاد ، وان مثل هذا الاجراء مشبوه ، وانها كانت تخشى على الخصوص أن يهجرها عشيقها ، ولهذا أسرعت تقول تطمئنه :

ـ كلا . لن نبيعها بالمزاد . ولكن ألا تستطيع يا ميروميس أن تقدم لنا شروطا افضل . نستطيع أن نصل الى تسوية .

سألها الرجل وهو لا ينظر اليها : أى نوع من التسويات ؟

أجابت الأم فى حماقة : ان تدعنا ننتفع مثلا بالفيلا ريثما يكتسب ميشيل قوته وتتزوج كارلا .

قابل اقتراحها هذا بقهقهة كبيرة مغتصبة وقال بعد ان هدأ سأنتظر الى ما شاء الله اذن .. نعم ، الى ما شاء الله .

سألته الأم وهى تتميز غيظا : ماذا تعنى ؟

أجاب ليو : أفهمينى جيدا . لست أشك فى ان كارلا ستتزوج قريبا ، وأتمنى لها ذلك من سويداء قلبى . ولكننى لا اعتقد ان ميشيل سيستطيع ان يكسب قوته قبل سنوات ، هذا اذا كان ينوى حقا اكتساب قوته .

ولم يكن ميشيل قد تكلم حتى ذلك الوقت ، وان كان قد جر الى الاشتراك فى هذه المناقشة جرا . ولكنه ما أن سمع ليو يتهمه بالعجز والخمول حتى أخذته انتفاضة وفكر :

آن الأوان لكى أغضب . وقال فى صوت بدا زائفا :

ـ لست كما تتصور . سأثبت بالأفعال اننى أعرف كيف أعمل وأكسب قوت يومى . وسترى اننى سأعرف كيف اتكفل بنفقاتى ونفقات أسرتى .

صاحت مارى جريس وهى تداعب رأس ابنها فى زهو : تماما سيشتغل ميشيل وسيغدو ثريا . اننا لسنا بحاجة الى معونة من أحد .

ولكن ليو لم يكن غبيا الى هذا الحد فهز كتفيه فى غضب وقال : هراء . ان المرء لا يعرف أبدا اذا كان ميشيل يجد أو يهزل ... انك مهرج صغير .. نعم ، مهرج صغير .

كان فى ذروة الغضب ، فلم يكن أبغض الى نفسه من الهزل فى العمل . وود لو أن يتخلى عنهم عندئذ وينصرف . وتقدم ميشيل خطوة الى الأمام وهو يتساءل هل عبارة مهرج سبة واهانة تجرح شرفه ؟ ان استخفاف ليو وعدم مبالاته وهو ينطق بها تدل على انها عبارة عادية ، ولكن اذا نظرنا الى المعنى الذى تنطوى عليه

فانها لتكون اهانة عندئذ . وفكر فى شىء من الشمالة « يجب أن أتصرف وأن أصفعه مثلا » . ولم يكن ينبغى أن يفوت هذه الفرصة فان ليو كان يقف أمامه على بعد خطوة ويواجهه تماما ، ولا يمكنه أن يخطىء الهدف .

وقال فى صوت أجش : آه .. انها مهرج صغير ؟ الم يخطر ببالك أن مثل هذه العبارة قد تهيننى ؟

أجابه ليو وهو يبتسم فى غير اكتراث : لك أن تشعر بما تريد .

ـ خذ اذن .. اليك هذا .

رفع ميشيل يده ولكن ليو كان اسرع منه فأمسك بيد الشاب بيد من حديد ، وقبل أن يدرى ميشيل كيف وقع هذا رأى نفسه محصورا فى زاوية النافذة وليو ممسك برسغيه الاثنين .

وقال هذا الأخير فى سخرية هادئة :

ـ آه ! . كنت تريد أن تصفعنى ؟ .. ولكنك مخطىء يا صغيرى ، فلم يخلق ذلك الذى سيصفعنى .

وصاحت مارى جريس تقـول خلف ظهره : ولـكن ... ماذا حدث ؟

وقالت كارلا بدورها وهى تضع يدها على كتف أخيهـا : دعه يا ميروميس . انك تستطيع أن تكلمه كما تريد من غير أن تمسكه هكذا .

أطلق ليو سراحه وهو يقول فى حدة : ليس لدى ما اقول أكثر من ان الوقت قد حان لكى نفرغ من كل هذا . ان هذه الاساليب غير مقبولة ، ثم انها ليست أحسن وسيلة للوصول الى تسوية .

وقال ميشيل محتدا : لماذا دفعتنى الى التدخل فى هذا الامر اذن ؟

ولكن مارى جريس استطردت تقول دون أن تحفل به : واذا اردت أن تتكلم فى هذا الموضوع فتكلم فيه معى أنا .

قال ليو : حسنا . سأعرض عليك شروطى للمرة الاخيرة . سأترك لكم الفيللا الى أن تجدوا لكم مسكنا ، وسأقدم لـكم فوق ذلك مبلغا معينا ... ثلاثين ألف ليرة مثلا .

قالت الأم وقد اتسعت عيناها : ثلاثون ألف ليرة ! كيف هذا ؟

ـ انك تؤكدين ان قيمة الفيللا تربو بكثير على مبلغ الرهنية ، وأصر أنا على ان الامر غير ذلك . ولكن ، ولكى أبرهن لك على حسن نيتى

وعلى انني أتصرف كصديق حقا فانني أقدم ثلاثين ألف ليرة اضافية ، ولنقل انها نظير الاعمال والترميمات التى أدخلت بعد الرهنية .

قالت الأم وهى تتحسر تقريبا : ولكن البيت يساوى أكثر .

قال ليو فى هدوء : اذا كان الامر كذلك فاليك نصيحتى . بيعى البيت الى أى شخص آخر ، وسترين عندئذ انه لن يتبقى لك ثلاثين ألف ليرة وانك لن تجدى ممك يا يكفى لتسديد الدين ، فاننا نعيش فى أزمة خانقة والجميع يريدون البيع ، ولـــكن ما من احد يريد الشراء . يكفى ان ترى صفحة الاعلانات فى الجرائد للتحقق ممـــا أقول ، ثم ان البيت يقع خارج المدينة ولن يكون من السهل العثور على شخص يرضى بالمعيشة بعيدا عن وسط البلد . ولكن افعلى ما يحلو لك ، وسألوم نفس طوال حياتى لانني لم انصحك بما فيه الكفاية .

قالت كارلا : لو انني مكانك لقبلت شروط ميروميس ، فأنا ، من ناحيتى ، ليس لى غير أمنية واحدة ، وهى ان أغادر هــذا البيت وأعيش فى مكان آخر حتى ولو كانت عيشة الكفاف .

أتت الأم باشارة محنقة وقالت : هل لك ان تسكتى ؟

وساد صمت مذهل وتراءى البؤس لمارى جريس . ورأت كارلا نهاية حياتها القديمة . أما ميشيل فلم ير شيئا ، وكان أكثر الثلاثة يأسا .

وقال ليو ، ممها يكن ففى مقدورنا ان نبحث هذا الامر .. تعالى بعد غد الى مكتبى يا سيدتى العزيزة ، وسوف نبحث هذا الامر كما يحلو لنا .

قالت الأم فى حماس مؤلم : حسنا ... بعد غد اذن .

وبعد صمت قصير ، وعلى اثر كلمة من مارى جريس انتقل الجميع الى غرفة الطعام .

وكانت المائدة قد أعدت فى أبهة ودقة ، فصفت عليها الاوانى الفضية والكريستال وأطباق العائلة الثمينة ، وأخذت الام مكانها وهى تقول :

ـ كنت أود أن أعد وليمة فاخرة احتفالا بعيد ميلاد كارلا ، ولكن لم يعد ذلك متاحا فى هذه الايام . ان عندى طاهية لديها كل الامكانيات ولكنها ليست قديرة ، أنا تفتقر الى الحمية ومن يفتقر الى الحمية لا يجيد شيئا .

قال ميشيل بلهجة الحد : انك على حق يا أماه . ان من يفتقر

الى الحمية لا يجيد شيئا ، فقد حاولت أن أصفع ليو ولكنني لم أتمكن ... انني افتقر الى الحمية .

قالت مارى جريس وهى تتميز غضبا : ولكن ما علاقة هذا بما أقول ، وما دخل ليو فى حديثنا هذا .. اننى أتكلم عن الطاهية . انك لن تتغير أبدا ، حتى فى مثل هذا اليوم ، وهو عيد ميلاد اختك ، فحيث يجب أن ننسى وأن نصفح وأن نطير سرورا وفرحا تتكلم أنت عن الصفع والعراك .

قال ليو من غير أن يرفع عينيه عن طبقه : دعيه يتكلم يا سيدتى العزيزة ، فهو بالنسبة لى لا يتكلم .. وأنا لا أصغى اليه .

وخيم الصمت من جديد . ودخلت الخادمة بأطباق أخرى ، وكانت مارى جريس لم تكف عن التحديق فى عشيقها بعينيها الفاحصتين ، وقالت فجأة :

ــ هل استمتعت جيدا مساء أمس يا ميروميس ؟

نظر ليو الى كارلا نظرة تعنى « ها نحن قد عدنا » ولم ترد عليه كارلا وانما سمعته يقول « متى ؟ .. وأين ؟ .. » وفى نفس اللحظة ضغط بقدمه على قدمها فعضت شفتها وقد اشمئزت من هذا الرياء الحقير .

وعادت مارى جريس تقول : أين ؟ .. ولكن مع ليزا طبعا .

ــ رحماك يا الهى ! .. اذا كنت تظنين ان فى مصاحبة الناس الى بيوتها استمتاعا .

قاطعته الأم وهى تضحك فى خبث : كلا . اننى لا أظن ذلك ، فان هناك أناسا أتضايق من مصاحبتهم . ولكن اذا كنت أنت تنشد مرافقتهن فمعنى ذلك أنهن يرقن لك .

هم ليو بأن يرد عندما تدخل ميشيل بقلة ذوقه كعادته وقال مرددا نفس الكلمات التى خاطبته بها أمه منذ لحظات : آه يا أماه .. انك لن تتغيرى أبدا ... حتى فى يوم كهذا ، يوم عيد ميلاد اختك .. كلا ،عفوا .. عيد ميلاد ابنتك ، فحيث يجب أن ننسى وأن نصفح وأن نطير فرحا وسرورا تأتين انت وتتحدثين عن ليزا وعن مصاحبة الناس الى بيوتهم ... انك لن تتغيرى أبدا .

كان من أثر هذا التهريج ان ابتسمت كارلا رغما عنها ، كما ضحك ليو وقال : أحسنت يا ميشيل .

ولكن الأم نظرت الى ابنها محنقة وصاحت : وما دخلك أنت ؟ أن

لى الحق فى ان اتحدث مع ميروميس كما يحلو لى فى الامور التى تعنينا من غير أن تتدخل أنت .

— ولكن ليس فى يوم كهذا .

هزت كتفيها غاضبة وقالت : لا دخل لك أنت .. اننى انما أشرت .. ولكن فلنتكلم فى موضوع آخر على كل حال ، وأنت يا ميروميس، عليك منذ اليوم أن تختار مكانا آخر للقاء عشيقاتك ، فاننى لا أدير بيتا للقاءات العابرة ... فهل فهمت ؟

كانت هذه أول مرة تترك فيها مارى جريس العنان لمثل هـذا العنف . وحدث عندئذ شيء غير متوقع ، فان كارلا لم تكن قد نطقت بشيء حتى هذه اللحظة ولكنها تدخلت عندئذ فقالت فى حدة وشفتاها تختلجان :

— هناك شيء أحب أن أعرفه ... هل يجب أن نعيش دائمـا فى مثل هذا الملل وهذه المضايقات ، وان نرضى بهذه الحماقات التى تدور برؤوسنا ، وان نتجادل ونتخاصم ونعود دائمـا الى المطاعن وان لا نرتفع أبدا الى ما هو أسمى وأفضل ... (ورفعت يدها فوق المائدة واستطردت تقول وقد اغرورقت عيناها بالدموع) نعم ، أريد أن أعرف اذا كنت تجدين هذا جميلا ... ولكن ألا ترين نفسك ؟ .. يجب أن تنظرى الى المرآة وأنت تتكلمين وتتجادلين . سوف يصطبغ وجهك خجلا وتفهمين الى أى حد يمكن أن يؤدى بنا الملل والتقزز ، وكيف يدفعنا كل هذا الى اشتهاء حياة جـديدة مختلفة عن حياتنا هذه .

وسكتت وقد اضطرم وجهها واحمرت عيناها ، وراحت تزدرد الطعام وهى لا تدرى ما تفعل . وأخـيرا أفاقت الام من دهشتها وقالت :

— آه . لقد طفح الكيل . ابتداء من اليوم يجب أن أستأذن ابنتى لكى أتكلم . خيل لى اننى أحلم وانا أصغى اليها . هذا عجيب .

قال ميشيل فى هدوء : أرى على العكس ان كارلا لم تذكر الا الحقيقة . كل هذا مزعج ومقزز ولكن لا جدوى من الاحتجاج . هذا هو الواقع .

وقال ليو : لا داعى للمبالغة . ان كارلا لم تعن شيئا من كل هذا .

أجابت الأم : بل عنت كل ما قالت . اننى اعرف أبنائى جيدا

يا ليو . ان كارلا وميشيل انانيان ولو امكنهما ان يهجرا البيت ويتركاني وحدي لفعلا منذ وقت طويل .

وتهدج صوتها .. نعم ، انهما ليتركانها وحدها لو استطاعا حقا . فلم يكن هناك أية فائدة .. لا يمكن استنفاد البحر بكوب من الماء ، وكذلك ليو . ونظرت كارلا الى أمها وقد أخذها الندم لأنها تكلمت ، وستبقى أمها كما هي دائما ، مدعاة للهزؤ والسخرية ، وغبية ضائعة في دياجيرها ، ولن تتغـــير حتى اذا وقعت معجزة . ولا فائدة من الاصطدام بها عمدا . والاوفق ان تنصرف وتهجر البيت اليوم بالذات وان لا تعود اليه . وغالبت نفورها وتقززها وقالت :

ــ ولكنني لم أشأ اهانتك يا أماه . انما أردت أن أطلب منك أن تنسي وتصفحي لان اليوم يوم عيد ميلادي ، كما قلت انت بالذات :

قالت الام وهي تبتسم نصف ابتسامة : انت داهية . حسنا . فلننس ما دام اليوم هو يوم عيد ميلادك ، ولولا ذلك لـكان لي معك شأن آخر .

قالت كارلا بنفس اللهجة الهادئة : حسنا جدا يا أماه . انني أشكرك . والآن ، فلنتحدث في شيء آخر ، ويمكنك يا ليو ، وانت يا ميشيل أن تقصا علينا بعض القصص المضحكة .

وجاءت الخادمة بزجاجتين من الشراب في هذه اللحظة ووضعتهما فوق المائدة ، وقال ليو :

ــ حسنا يا كارلا ، اليوم تبدءين حياة جديدة ، أليس كذلك ؟

قالت كارلا وهي تكتم تنهيدة : أرجو ذلك .

كانت هناك فكرة واحدة تؤرقها . متى تستسلم لليو ؟ .. أفي هذه الليلة بالذات أم في يوم آخر .

وقالت الأم : جديدة في أي معنى ؟

ــ في كل المعاني يا أماه .

قالت ماري جريس : انني لا افهمك يا عزيزي .. اذكري لي مثلا .

ــ جديدة ... أعني اقل حماقة واقل سطحية واكثر نفعا واعمق من الحياة التي قضيتها حتى الآن .. جديدة ومختلفة كل الاختلاف .

قالت الأم في قسوة : ولكنني لا ارى كيف يمكن لفتاة محترمة أن تغير حياتها بغير الزواج .. انها بذلك تعيش حياة جديدة تماما فأمامها مسئولية البيت ، ولابد لها من أن تعنى بزوجها وأن تربي

أولادها ... هناك أشياء كثيرة يمكن أن تغير عاداتنا ، وأتمنى لك ذلك من كل قلبي ، ولكن يبدو لي ان الاحتمال قليل في أن تتزوجي ما بين يوم وليلة ، ولهذا لا أرى كيف يمكن أن تتغير حياتك لا لشيء الا لأنك تريدين ذلك .

قالت كارلا في انفعال : ولكن هناك أحداثا أخرى غير الزواج يمكن أن تغير حياة المرء ، فقد التقى اليوم مثـــلا بمدير شركة سينمائية أمريكية يأسره جمالي فيقدم لي عقدا ... ألا تتغير حياتي ما بين يوم وليلة بهذه الطريقة ؟

مطت الأم شفتيها استنكارا ، وقالت : انك تتكلمين كما لو كنت طفلة صغيرة ولا يمكن التفاهم معك أبدا .

قال ليو : كل شيء ممكن .

ـ ماذا تقول ؟ .. هل تقصد ان تغدو ابنتي ممثلة ؟ .. انك لا تدرك ما تقول .

قالت كارلا : لندع المزاح جانبا . أظن أنني فهمت اننا سوف نضطر الى الانتقال من الفيللا والاقامة في مسكن آخر ... ثم لابد لنا من خفض نفقاتنا . ستكون هذه حياة جديدة ، أليس كذلك ؟

قالت ماري جريس وهي تحدق بعينيهـــا في عيني عشـــيقها في صفاقة يائسة :

ـ من قال اننا سننتقل من البيت ؟ .. ســــــنبقى فيه الى ان تتزوجي ، أليس كذلك يا ميروميس ؟

نظر الجميع الى ليو ، وكان هذا الأخير يقول في نفســه :

« فلتذهب الى الشيطان » . ولكنه لم يشأ أن يتسبب في شجار، وحرص على أن يكتسب ود كارلا فقال :

ـ نعم ، نعم ، ستبقون .

صاحت الأم في لهجة الانتصار : أرأيتما ؟ لقد وعدني ميروميس ، ولن يتغير شيء في الوقت الحاضر .

تمتم الرجل يقول في صوت خافت لم يسمعه أحد « نعم ، في الوقت الحاضر » . واجتاحت كارلا عنــدئذ ثورة من الغضب مرة أخرى ، ورآها الثلاثة الآخرون وقد احمر لونها ، وهوت بيدها على المائدة فجأة وقالت في صوت حاد :

ـ أما أنا فلا أصدق شيئا من هذا . انك تريدين مني أن أختنق أماه ... ولكنني أفضل أن أسير الى النهاية والى أســـفل

سافلين . انني قلت هذا لليو في اليوم السابق ، وما كدت استيقظ من النوم حتى قلت لنفسي « ان سنة جديدة تبدأ ويجب أن تختلف حتما عن السنة التي انقضت ، لأن من المستحيل ان يستمر هذا .. من المستحيل .

وفجأة تغير لونها من الاحمرار الى الاصفرار ، وأحنت رأسها وأخذت تبكي . ونظر الجميع اليها مرتبكين . ونهضت ماري جريس، ولا ريب ان بكاء ابنتها بدا لها صادقا بما فيه الكفاية لكي تنسى الاتهامات التي سبقته لانها اقتربت منها وقالت :

ـ ولكن لماذا تبكين هكذا من غير سبب ؟ .. في يوم عيد ميلادك .. لايجب أن تبكي .

رفعت الفتاة عينيها وقالت وهي تجفف دموعها : انك على حق . ان اليوم عيد ميلادي .

وكانوا قد فرغوا من الطعام فصب ليو النبيذ في الكئوس ،وتناولت الأم كأسها وقالت : نخب صحتك يا كارلا .

وتلاطمت الكئوس في ود ، وشرب الجميع نخب كارلا ثم عادوا فشربوا نخب الأم فنخب ميشيل فنخب ليو . وقال هذا الأخير وهو يتحول الى كارلا : لنشرب الآن نخب صحة زوجك المقبل .

أسرعت ماري جريس تقول وهي في منتهى الابتهاج : سأشرب هذا النخب أنا أيضا .

ترددت كارلا . كانت رأسها قد بدأت تدور من تأثير الشراب ، واهتزت الاشياء أمامها وراحت تختلط بعضها ببعض ، وقالت : جرعة أخرى لا أعي بعدها شيئا . وابتسمت ابتسامة حائرة ورفعت كأسها وهي تغالب غيثانها وشربت . واحست على الفور بأنها قطعت في سماء السكر شوطا كبيراً . وغمرها فرح شديد وأحست برغبتها في الكلام ، لكي تظهر للآخرين انها ما زلت متمالكة لكل حواسها ، فقالت في صوت واضح :

ـ اريد أن أشرب نخب زوجي المقبل طبعا ، ولكن من هو هذا الزوج يا ترى ؟

قالت الأم : الله وحده يعلم من هو .

وقال ليو : لولا أنني اعتبرك كابنتي لتقدمت أنا نفسي ... هل تقبلينني ؟

صاحت الفتاة وهي تشير اليه باصبعها : انت ؟ .. أنت زوجي ؟..

ولكن (ونظرت اليه لحظة ، ولكن أليس هو عشيق أمها) . ولكنك بدين جدا يا ليو .

صاحت الأم غاضبة : أوه كلا . انه ليس بدينا أبدا ... وأتمنى لك زوجا مثله .

قال ليو فى اصرار وهو يبتسم : أترين ؟ .. سنقضى شهر العسل فى باريس و ...

قاطعته كارلا فى لهجة نائحة : كلا . اننى أفضل الهند .

ـ فلتكن الهند اذن ... سأمنحك سيارة وبيتا وكل ما تشائين ، فهل تقلبين ؟

نظرت كارلا اليه وقد شوش السكر أفكارها . لماذا يتكلم ليو هكذا ، ربما لكى يهزأ من أمها ؟ .. اذا كان الأمر كذلك فيجب أن تضحك . وأجابته أخيرا : عنى أنا ليس لدى أى مانع ، ولكن لابد من موافقة أمى أولا .

قال ليو وعلى ملامحه نفس الابتسامة الهادئة : حسنا يا سيدتى ، هل تقبليننى صهرا لك ؟

وراقت هـــــذه المهزلة للأم وهى تحت تأثير الشراب فابتسمت وقالت : ولكن ، هل تشغل وظيفة طيبة ؟

أجاب ليو فى تواضع : أنا موظف فى وزارة العدل ، وأتقاضى مرتبا قدره ثمانمائة فرنك فى الشهر ، ورؤسائى راضون عنى ، وسوف أنال ترقية قريبا .

عادت الأم تقول وهى تغالب ضحكها : وأسرتك ؟

ـ ليس لى أسرة ... اننى وحيد فى العالم .

ـ هل يمكنك اسعاد ابنتى ؟

قال ليو وهو ينظر الى كارلا مليا : طبعا .

قالت مارى جريس أخيرا وهى لا تملك نفسها من الضحك : ما دام الأمر كذلك فتزوجا على بركة الله .

وقالت كارلا دون أى مرح : فلنتزوج يا ليو .

وضحك ليو وقال : يبدو لى أن التجـــربة العامة سارت على ما يرام ، وليس امامنا الآن الا أن نبحث عن الزوج الحقيقى .

وتناول الزجاجة الثانية وملأ كأس كارلا وهو يقول لنفسه : يجب أن تشرب وان تفرط فى الشراب .

وقال فى صوت مسموع : والآن . نخب المدام .

أخذت كارلا كأسها بيد مضطربة وشربت . وعنـدئذ ، وفجـأة اجتاحها الخوف وأدركت أنها سكرى ، فقد دارت رأسها وجفه حلقها واختلطت الأشياء أمام عينيها . وفى الامكان القول بأنها فقدت الوعى والادراك منذ هذه اللحظة فلم تعد ترى أو تسمع شيئا ما . بدت لهـا الاوانى الفضية والزجاجيـة التى فوق المـائدة شديدة الوضوح واللمعان بحيث آلمت عينيها وأصبحت وجوه الجـالسين جامدة قاسية القسمات بحيث بدت كالاقنعة . كانوا يتكلمون حولها ولكنها لم تستطع أن تفهم كلمة واحدة مما يقـال على الرغم من محاولاتها وفكرت تقول : « اننى الآن سكرى ، فكيف أستطيع التحدث الى ليو فى الحديقة » واستبد بها الخوف وندمت لأنهـا أفرطت فى الشراب وودت لو أن تبكى .

وكانت الزجاجة الثانية قد فرغت فقال ليو فى مرح : اننا أتينا على الزجاجتين . مرحى يا كارلا . ولكن ما الخبر ؟ .. هل تحسين بدوخة ؟ .. خذى سيجارة .

أخذت السيجارة وراحت تدخن فى صعوبة كبيرة ، ولكن حالتها لم تزد الا سوءا فتهاوت رأسها فوق المائدة وخيل لها أنها ستموت .

واذ رأت أمها ذلك نظرت اليها فى استهجان وقالت : اخرجى الى الحديقة . سوف ينعشك الهواء .

نهضت ، ورأت على الفور انه سيتعذر عليها أن لا تقع ، فقد راحت الغرفة كلها تدور حولها ، واستطاعت بشق النفس أن تخرج من الغرفة وتختفى فى البهو . وقالت الأم :

ـ انها غير معتادة على النبيذ .

ضحك ليو وأخذ الزجاجة وصب القطرات التى فيها فى كأس كارلا وقال وهو يلتفت الى الشاب : نخب صداقتنا يا ميشيل .

ولكن ميشيل لم يجب وانما أطرق برأسه وقد اجتاحه تقزز كبير مشوب بوخز الضمير والمهانة ، فقد سخر ليو منه وانتصر عليه وأخذ نقوده كما أخذ أمه وأصبح هو خاوى الوفاض لا يملك شـيئا الا الرضوخ للواقع .

فرغت الزجاجتان : وأخذ دخان السجائر يتبدد وتسلك نور أبيض هادىء من خلال السحب وعادت الأم فى غبائها وغيرتها الهوجاء الى شجارها القديم وقالت :

ـ لماذا لا تشرب نخب الصديقة البعيدة .

وأردفت تقول فى لهجة يرثى لها : البعيد عن العين بعيد عن القلب .

اما ليو فقد اضطجع فى مقعده الى الخلف وقد أثقل عليه الطعام ولم يجب ، وراح ينظر بعين كئيبة وقد خيم على المكان صمت ثقيل لم يكن يقطعه غير صوت جهاز التدفئة وهو يدور فى الطابق الارضى .

الفصل السابع

انتقلت كارلا من الطرقة الى البهو . كان كل شيء يتحرك ويدور حولها .. هذه الستارة ، حيث اختبأت خلفها أمس مع ليو .. تشبثت بها حتى لا تقع ، ثم خرجت وهبطت السلم درجة بدرجة . وكان يخيم بالحديقة التى تقع خلف الفيللا صمت قاتل ، وهنـــاك جلست فوق مقعد خشبى وأخذت رأسها بين يديهـــا وهى تحس بتوعك لم يسبق أن أحست بمثله من قبل . وبقيت هكذا نحو عشر دقائق ثم أحست بيد تلمس كتفها ففتحت عينيها ، واذا بها ترى ليو واقفا أمامها .

قال : ماذا بك ؟ .. ولماذا تمسكين رأسك هكذا ؟

رفعت عينيها اليه . كان يقف ومعطفه فوق ذراعه وسيجارته بين شفتيه ، ووقفت فى استرخاء ، وما كادت تفعل حتى تشبثت به بكلتا يديها قائلة :

ــ لست على ما يرام . امسك بى جيدا . لماذا حملتنى على ان أجرع كل هذا الشراب ؟

أجاب ليو : ولماذا شربت أنت ؟

قالت وقد انفكت عقدة لسانها فجأة : اننى شربت لكى لا أراكم .. انت وأمى وميشيل . ولكن لو اننى عرفت ان الشراب سيضر بى هكذا لما شربت .

قال ليو فى صوت قوى أثار دهشته هو نفسه : كفى عن هذه الحماقات . انك شربت لأنه طاب لك أن تشربى .

رآها تبتسم فى غموض وسألته فى لهجة ودية : لعلك تعتقـــد اننى أحبك .

وتبادلا النظر ، كارلا فى جد وبجنون السكر فى عينيها الصافيتين ، وهو بعينيه المضطربتين واللتين تبدو فيهما الشهوة والسخرية فى نفس الوقت . وفجأة خفض ذراعه وأمسكها من خصرها فى غلظة ، فأطلقت ضحكة حادة ، وراحت تقاوم محركة ساقيها فى اضطراب

أقرب الى عدم الحياء وصاحت تقول وهى تضحك : ليو .. ليو لا تنظر الى هكذا ... دعنى .

وكتمت الاغصان المتشابكة صوتها . وكانت ترى أثناء تحركاتهـ والتواءاتها وجه الرجل المحتقن لفرط الشهوة والرغبة التى يحس بهما ، ولم تدر هى نفسها لماذا تقاومه هكذا ، وأخيرا تغلب لي عليها وضمها اليه . ونظر لحظة الى عينيها اللتين تجلى فيهمـــا الخوف والى فمها المفتوح ثم انحنى فوقها وقبلها .

وافترقا . وتقدما مرتبكين ، بضع خطوات بين الاغصان ، وفجأة توقفت كارلا وضغطت على ذراع رفيقها ، وتمتمت تقول : ليو .. لا يجب ...

ولكنها أمسكت فجأة ، فقد انسابت هذه العبارة من بين شفتيه دون وعى منها . وقال ليو : حسنا . ما هذا الذى لا يجب ؟ .. ولكننى أعرف ذلك جيدا ، وقد وقع المحظور على كل حال .

ودفعها الى الأمام وهو يقول : سيرى بضع خطوات اخرى .

وبلغا آخر الحديقة ، وهناك أفضى بهما الطريق الى منحن فى آخره كوخ صغير تـكاد الأغصان المتشابكة تخفيه عن الأنظار ، ولم يكن يبدو منه غير باب معوج تظاهر ليو بالدهشة وهو يراه وقال :

ـ ما هذا ؟

ـ أنه بيت البستانى ؟ .. وهل يقيم البستانى فيه ؟

ـ كلا .

عاد ليو يقول كما لو ان شيئا خفيا جعله يستطيب هذه الكلمات : بيت البستانى ؟ .. حسنا ، هلمى بنا لزيارته .

ضحكت كارلا . كان كل ذلك يبدو لها سخيفا ، ولكنها اطاعته . ودفع ليو الباب فاذا بهما على عتبة غرفة منخفضة السقف ، وهى الغرفة الوحيدة بالبيت .. أرضيتها من الخشب يعلوها الغبـــار وجدرانها عارية ، بها فراش من الحديد فوقه مرتبة ممزقة ، وأمامه فى ركن من الغرفة ركيزة من المعدن ذات ثلاث قوائم فوقها طست يعلوه الصدأ . وراحت كارلا تتأمل كل هذه الاشياء كما لو كانت فى حلم . وبلغ غثيانها حدا لا يطاق . وودت لو ان تعود الى الفيللا وأن تستلقى فوق اريكتها . ولكنها استسلمت لســـكرها ، وثنته ركبتيها وجلست فوق الفراش الحديدى . وتأوهت قائلة :

ـ لماذا ... لماذا جعلتنى أفرط فى الشراب ؟

ونظرت الى الالواح الخشبية وقد تهدلت خصلات شعرها فوق عينيها وامتلأ فمها باللعاب . وجلس ليو بجوارها وهو يقول : « هذه هى اللحظة المناسبة » . وطوقها بذراعيها قائلا : « كونى عاقلة » اذا كنت قد شربت فذلك لأنك اردت . ومع ذلك فهذا أمر لا أهمية له .

وسحبها من كمها وقبل كتفها العارى وهو لا يحول عينيه عن جيدها وصدرها المكشوف . وأمسك بها فجأة وألقاها فوق الفراش ، وقاومته وهى تقول « دعنى » ولكن مقاومتها لم تجد وأنهكها الجهد . وفى فتور غريب كفت عن كل مقاومة ، ومن سقف الغرفة الذى راحت تحدق فيه بعينيها الذائغتين والمتألمتين رأت وجه ليو يهبط نحوها كما لو كان نيزكا . وهبطت القبلة على عنقها وانزلقت على ذقنها ثم استقرت أخيرا على شفتيها .

وفكر ليو « آه .. يا للصغيرة الجميلة ! » وانحنى لكى يقبلها من جديد عندما رآها ترفع رأسها مذعورة وقد شحب لونها مصدرة أصواتا من حلقها وقد أطبقت شفتيها فى قوة ، وأطلقها عندئذ وارتد خطوة الى الوراء . وجلست كارلا فوق الفراش وأشارت بعينيها وذقنها الى الركيزة الموجودة فى ركن الغرفة . وفهم ليو وأمسك بالطست وجاءها به فى الوقت المناسب فقد اندفع من فمها المفتوح سائل كثيف متعدد الألوان يتصاعد منه الدخان . وتوقف لحظة ، وارتجفت بطنها المضطربة ثم عاد السائل يتدفق من جديد . وراح الرجل يتأملها فى غضب وهو ممسك بجبينها ويحدث نفسه قائلا : أنا السبب ، فأنا الذى دفعتها الى الشراب ، ولا داعى لأية محاولة فلم يعد هناك ما يمكن عمله الآن . ونظر اليها وهو يكاد ينفجر من الغضب ، فقد كانت فتاة أحلامه أمامه مستسلمة على استعداد لبذل نفسها له ، وفكر يقول : « لو اننى لم أحملها على الشراب لكانت ملكى الآن » .

وبعد ان افرغت كارلا ما فى بطنها أبعدت الطست عنها ، فأخذه الرجل فى اشمئزاز ووضعه فوق الركيزة ، ثم تحول ونظر الى الفتاة . كانت لا تزال عارية ، جالسة على حافة الفراش ، مطرقة الرأس . وقال : بماذا تشعرين الآن ؟

ــ لست على ما يرام .

ونظرت الى الارض وهى تحرك فى فمها لعابا حامضا . وكان بصرها

يتعلق أحيانا بثيابها المشوشة فوق بطنها النصف عارية . وبدأت تشعر بالبرد ، وعصف بها تقزز ونفور كبيرين وراحت تقول لنفسها « انتهى كل شيء » ورفعت رأسها في رفق ونظرت الى ليو بعينين مغرورقتين ولم يسعها الا أن تسأله قائلة : والآن ؟

أجابها الرجل في غضب مكبوت : البسى ثيابك ولننصرف .

ونهض ، وراح يمشي جيئة وذهابا وهو ينظر من وقت لآخر الى كارلا وهي ترتدي ثيابها . وعادت الرغبة تتولد فيه من جديد ، وساءل نفسه أكثر من مرة اذا لم يكن من الأوفق أن ينتظر حتى تتغلب الفتاة على وعكتها لكي يعاود الهجوم . ولكنه لم يلبث ان رأى انها فرغت من ارتداء ثيابها فقال في نفسه محنقا « كلا . لقد زال السحر ولم يعد هناك ما يمكن عمله اليوم » . واقترب من الفراش وقال :

ـ كيف حالك الآن ؟

أجابت : أحسن .

وخرجا من البيت دون أن يتلامسا . وفي الخارج كانت الاوراق الميتة تطقطق ، وقال ليو : آه . انها تمطر .

وأزعجه صمت كارلا فحاول أن يتظاهر بالمرح . وكان الهواء تحت الاغصان هادئا وخانقا ولكن الماء راح يتساقط عند قدميهما مع كل خطوة وعاد ليو يقول :

ـ هذا غريب . ان الطقس لا يتغير هذه الايام ، فهو جميل في الفجر ومكفهر في النهار ثم يبدأ المطر من بعد الظهر حتى الليل .

لم تنطق كارلا بكلمة فسألها : سنلتقي مساء الجمعة طبعا ؟

توقفت كارلا . كانت تريد أن تجيبه قائلة : لن نلتقي بعد الآن أبدا ، ولكن خاطرا حبس الكلمات في حلقها ، وقالت لنفسها « يجب أن أمضى حتى النهاية ... حتى النهاية » وعادت تمشي من جديد ، وقالت وهي تطرق برأسها الى الأرض : ربما ... لا أدرى .

واذ بلغا آخر الممر توقفا من جديد ، وقال الرجل وعلى شفتيه ابتسامة وهو يضغط على ذراعها : حسنا ... ما أجملك حتى وانت مريضة !

وتبادلا النظر . كانت لا تزال مضطربة من تأثير الشراب . وربت ليو بيده على صدغها وقال : يا لك من صغيرة حمقاء ... ما كان يجب أن أحملك على الشراب .

ثم جذبها اليه واستطرد يقول : فلنتعانق ولننس كل هذا .
وتعانقا . ثم انفلتت كارلا بين الاشجار وأسرعت راكضة ، تحت المطر ، ولم تلبث ان اختفت خلف زاوية البيت . أما ليو فقد سار نحو الباب الحديدى للحديقة وهو يقـــول لنفسه : يا له من يوم ردىء ، وما أسخفه ! وكان المطر يتساقط وابتلت الارض . وانطلق ليو وهو ساخط فان حفلة كارلا كلفته خمسمائة ليرة ، وجاءت هـذه الخمر الخادعة فأنهت مغامرته معها بطريقة سخيفة ومقززة . وفكر محنقا : « لم تكن كارلا تريد شيئا آخر ، ولم تكن هناك اية حاجة لكى أسكرها ، وعلى الآن أن أبدأ من جديد » .
وكان قد خرج الى الشارع عندما تذكر ان ليزا طلبت منه مساء الأمس أن يزورها فى النهار . وبدت له فكرة عودته الى عشيقته القديمة سخيفة فى بادىء الأمر ، فلم يكن يطيب له أبدا أن يرجع الى الطرق التى سبق له ان سلكها ، وبدت له هذه الزيارة مبتذلة . ولكن كان لابد له من ارضاء شهوة الجنس التى أيقظتها كارلا فيه ، وراح يقول لنفسه وهو يسير تحت المطر « اذا لم ارض حاجتى فاننى سأنفجر » .
ووضعت هذه الفكرة أجنحة فى قدميه ، فاستقل سيارة ومضى بها الى بيت ليزا ، وصعد السلم وهو يتذكر فى شىء من الرضا عدد المرات التى ارتقاه ، منذ عشر سنوات . ودق الجرس ، وما ان فتحت ليزا الباب حتى قالت دون تفكير : آه ... أهو انت ؟
وجلست ، ونظرت اليه كما لو كانت تريد ان تسأله عن سبب زيارته فقال مشدوها : أما كنت تتوقعين حضورى ؟ .. ومع ذلك فقد جعلتنى أعتقد العكس بالأمس .
قالت وهى تشد جونلتها فوق ركبتيها : كان ذلك بالأمس وكان الوقت ليلا ، ولم أكن أدرى ما اقول .
قال يحدث نفسه : انها ماكرة وتتمنع لكى تزيدنى وجدا على وجد .
وأدنى مقعده منها وقال : ولكننى كنت مقتنعا بأنك لا تهزلين .
قالت فى حدة : لعلنى غيرت رأيى ، وربما وقعت امور وأمور ما بين الليل والنهار . ثم ان لديك مارى جريس ، فكيف تحفل بى ؟
ــ ان كل شىء قد انتهى بينى وبين هذه المرأة ، واننى احفل بك

الآن بالذات ، وقد جئت لكى أقول لك فلننس الماضي ولنتصالح .

وبسط يده الى ليزا ، فنظرت اليه ثم الى يده وقالت : نتصالح .. ولكننا لسنا على خصام .

قال ليو : آه . دعك من هذا الكلام ، فلا جدوى منه ، وأرجوك الا تتظاهرى بالبراءة ، ولا تكونى بلهاء . انك تفهمنى غرضى تماما ، وقد تكلمت فى وضوح ، وعندما قلت لك فلننس كل شىء عنيت كل شىء حقا . نتصالح ؟ ولم لا ؟ اننى الأفعل طواعية ... اعنى ان نبدأ كما كنا من قبل . اننى لا أتكلم فى غموض . والكلمة لك الآن .

نظرت اليه مليا . ارادت ان تقول له ان الأمر بينه وبينها قد انتهى الى غير رجعة ، وانها تحب رجلا آخر يبادلها حبا بحب ، الا أنها رأت أن تماشيه حتى النهاية فقالت :

— ولكن من الذى يضمن لى انك تحبنى حقا ، وان حبك هذا ما هو الا نزوة عابرة تعود بعدها الى مارى جريس ؟

قال الرجل وهو ينظر اليها بعينين ملأهما الشهوة والرغبة العارمة : كلا . اننى لن أعود الى مارى جريس لان كل شىء بيننا قد انتهى .

وألقى يده على كتفها ، وأدنى وجهه من وجهها ، ولكنها حاولت أن تتخلص منه قائلة :

— آه . كلا . دعنى ... لا أحب ان يلمسنى احد .

قال ليو فى بطء ، وهو يزداد اقترابا منها بوجهه : ولكنك كنت تحبين ذلك فيما سبق .

— ربما . ولكننى لم أعد كما كنت فيما سبق ... دعنى .

وحاولت أن تتخلص منه من جديد فصاح : آه ... هذا هو الامر اذن !

ونهض فجأة ، وانحنى فوقها وامسكها من شعرها وطوحها الى الخلف لكى يقبلها ، ولكن ليزا أسرعت فوضعت يدها فوق فمها فقال : كفاك تمنعا .

بدا له أنها وضعت يدها فوق فمها امعانا لاثارته وانه أوشك ان ينتصر وان يتغلب عليها ، ولكن المرأة عصف بها غضب أعمى فجأة فرفعت يدها عن فمها وصاحت محنقة : قلت لك دعنى .

غير ان الرجل انتهز هذه الفرصة واكب على شفتيها . وتحملته

قبلته وهى متوتره فى محاولتها للتحرر منه . وأخيرا دفعته عنها فى غلظة بحيث فقد توازنه ووقع فوق المقعد .

ونهض ورتب هندامه وهو يقول : ولكن فيم هـــذا التصرف الأحمق ؟ الم نتفق على المصالحة ؟

اشارت الى الباب فى حركة مسرحية وقالت : اخرج .

امسكها ليو من شعرها فى غلظة ، ودفع المقعد بقدمه وأخذها بين ذراعيه . ومرت بضع لحظات وهى تحاول التخلص منه ، وهو يحاول اعاقة حركاتها . وأفلحت فى التخلص منه اخيرا ، وأسرعت راكضة نحو الباب ، واعتمدت بظهرها عليه وصاحت تقول :

ــ أخرج .. اخرج والا صرخت فى طلب النجدة .

واصطبغ وجهها وتشوش شعرها ، وتهدل ثوبهـا عند كتفيهـا واعتمدت بيديها على الباب وراح صدرها يعلو ويهبط وعادت تقول : اخرج من بيتى .

ولكنها احست بأن شخصا يدفع الباب من الخارج محاولا الدخول فقالت دون أن تلتفت : لا داعى يا ماريا .. اننى لست بحـاجة اليك .

واجابها صوت رجل من الخارج يقول : افتحى ... انا لست ماريا .

انسحبت ليزا بحركة آلية ، فانفتح الباب ودخل ميشيل .

كان ممسكا بقبعته فى يده ويرتدى معطفا بلله المطر . ونظر الى ليزا المشوشة اللاهثة والى ليو الذى احمر وجهه وسرعان ما ارتسمت فى ذهنه صورة لما حدث .. أقبل ليو ليجدد علاقته بها ولكنها صدته ... وتجنب التصرف نتيجة لذلك ، بل انه أحس احساسا مبهما بأنه يجب أن يغتنم هذه الفرصة لكى يقطع علاقته بليزا نهائيا ، فقد كان هذا هو التصرف الوحيد الذى تمليه مثل تلك الظروف ، وقال فى صوت واه حاول أن يجعله ساخرا : معذرة . كنت قد قررت الا أعود ، ولكننى عدت . اننى ازعجتكما فألف معذرة .

ثم انحنى انحناءة متوترة مضحكة ، واستدار على عقبيه وخرج . وهدأ ظهوره وخروجه من انفعال ليو فابتسم وقال :

اهذا هو الحب الكبير يا ليزا !

اومأت برأسها ان نعم وهى مذهولة مكتئبة . وفجأة لم تحتمل فكرة رحيل ميشيل من غير ان يودعها ، ربما الى الابد ، فأسرعت

الى النافذة وفتحتها على مصراعيها واطلت منها على الشارع . وكانت السماء تمطر ، ورأت ميشيل يمشي في هدوء على الرصيف المقابل مرتديا معطفه الاخضر فنادته قائلة : ميشيل !

ورأته يدير ظهره وينظر اليها في استغراب ، ثم يعاود سيره فصاحت في صوت أقوى « ميشيل » . وفي هذه المرة أشار الفتى بيده مودعا . واذ رأت ليزا ذلك غادرت النافذة ، وكان ليو لا يزال واقفا في منتصف الغرفة يتأملها ، فقال في رفق كاذب :

— انه سيعود فلا تقلقي .. انني أعرفه فهو من ذلك النوع الذى لا يستقر على حال ، ولك أن تطمئني .

أثارها صوته وأهانها وأدماها . ومشت في وقار كبير وقرعت جرسا مثبتا في الحائط ، اقبلت الخــــادمة على اثره . فقالت تخاطبها :

— ماريا ... شيعي السيد الى الخارج .

كانت هذه هي النهاية ... نهاية مبتذلة مثيرة للسخرية . ومشى ليو نحو الباب وهو يغمغم في سفالة : حسنا ... انني خارج يا ليزا .. انني خارج ، وتحياتي الى ميشيل .

وأنعش المطر روحه ففتح مظلته وسار بضع خطوات دون أن يفكر في شيء ، وعندما بلغ آخر الشارع انعطف الى ميدان كبير وقفت في ناحية منه عند محطة الاوتوبيس جماعة من الناس فاقترب منهم ورأى بينهم ميشيل ، فبادره يقول :

— آه ... أهذا أنت ؟

أجابه الشاب وهو ينظر اليه في ضجر : نعم . انني انتظر .

وساد صمت قصير قطعه ليو بأن قال : حسنا . انني عائد الى بيتي . سأصطحبك معي في التاكسي ... تاكسي !

وقبل ميشيل الدعوة ، وفي سيارة الاجرة ، كان ليو أول من تكلم فقال :

— هل يمكنني أن أعرف لماذا انصرفت ؟ الم تفهم انها لم تكن تريد شيئا أكثر من بقائك معها .

لم يجبه ميشيل على الفور ، وراح ينظر من خلال نافذة السيارة الى واجهات البيوت المبتلة ثم قال اخيرا : انني متأكد من ذلك .

— لماذا لم تبق اذن ؟

— لانني لا احبها .

ابتسم ليو وقال : ولكن هل تعتقد انه لابد للمرء من أن يحب المرأة التى يعاشرها .

أجاب ميشيل فى لهجة جادة دون أن يلتفت اليه : نعم ، أعتقد ذلك .

تمتم ليو يقول : أوه ، فى هذه الحالة ... أنا مثلا ، التقيت بعدد من النساء لم أحبهن ، وليزا نفسها عاشرتها دون أن أحبها ، ولم أندم على ذلك . وانما استمتعت كثيرا . انها امرأة لا يستهان بها ... سمينة ولكنها صلبة العود .. ثم انها تستطيع أن تمنحك ما لا تستطيع أن تمنحه لك أية واحدة من هؤلاء الفتيات الصغيرات ... انها امرأة شبقة ... امرأة حقيقة ناضجة ... ومن ناحية أخرى ، لا يمكن أن تجد عشيقة مثلها ، لها بيت تستقبلك فيه ، تدخله وتنصرف منه دون أن تجد من يعترض طريقك ، ولست مضطرا الى أن تختلف واياها الى أحد هذه الفنادق الصغيرة التى قد يجد فيها شاب مثلك لم تصقله التجارب بعد ما لا تحمد عقباه . أضف الى كل هذا ان ليزا لن تكلفك سنتيما واحدا ، فماذا تريد أكثر من هذا ؟

فكر ميشيل فى حزن ان كل هذا صحيح ، وأخذ يتساءل ماذا عساه يفعل فى حين استطرد ليو يقول :

ــ لا تتردد يا عزيزى . ان الأمر أسهل بكثير مما تظن ، وليزا لا تنتظر غيرك . عد اليهـــا الليلة ، وسوف تستقبلك بذراعين مفتوحين .

ــ على اذن أن أتظاهر بأننى أحبها و ...

قاطعه ليو يقول : ولكن من الذى يجبرك على التظاهر ؟ .. انها على استعداد لان تضاجعك وهـــذا هو المهم ... أقبل واغتنم الفرصة .

وبقى ميشيل يفكر وأخيرا قال : أنزلنى هنا .

وتوقفت سيارة الاجرة ، وهبط ميشيل منها ، وخاطبه ليو قائلا : اعمل بنصيحتى وامض الى ليزا .

وذكر عنوانه للسائق بعد ذلك ، وبلغ بيته بعد دقائق . وكان جالسا فى مكتبه يرتب بعض أوراقه عندما صلصل جرس التليفون فأمسك بالسماعة وسمع صوتا يقول : مع من أتكلم ؟

وعرف فى الصوت صوت مارى جريس فقال : هنا رقم ٣١٤٩٦ ،

فعاد الصوت يقول : هل أتكلم مع مسيو ميروميس ؟ .. آنا ماری جريس . ان كارلا لا تريد أن تذهب لكى ترقص فى الرتيز ، فهل تأتى معنا ؟

أجاب : ليكن .. سأكون لديكم بعد نصف ساعة .

وفرغ من تحرير رسالته ثم كتب رسالة أخرى دون أن يتعجل ، ولم يكن لديه أية أعمال حقا ، وكان كل نشاطه مقتصرا على ادارة أملاكه وبعض المضاربات العاقلة ، ومع ذلك فقد كانت أمواله تزداد سنة بعد سنة ، فقد كان ينفق ثلاثة أرباع دخله ويستخدم الربع الباقى فى شراء الشقق وبيعها . وبعد ان فرغ من خطاباته مضى الى مخدعه وحلق ذقنه ثم استبدل ثيابه ، ولم تمض نصف ساعة أخرى حتى كان يطرق باب آل أردنجو .

وكانت كارلا جالســــة فى الصـــــالون ، وكانت ترتدى ثوبا خفيفا وردى اللون ، وقد تجملت استعدادا للخروج ، وقالت :

— ستأتى أمى حالا .

قال ليو وهو يجلس هو الآخر ويفرك يديه : حسنا ، وأنت ؟ كيف حالك ؟

— لا بأس .

وساد صمت قصير ، وأخذ ليو يد الفتاة وطبع عليها قبلة قائلا : حسنا . ماذا نفعل ؟

أجاب : سوف نرقص ، وسوف تتناول العشاء معنا الليلة ، أليس كذلك ؟

— العشاء ؟ .. ربما لا .. ولكننى سآتى بعد العشاء حتما .

وتناهى الى سمعهما صوت أبواب تفتح ، فسحبت كارلا يدها على الفور ، ودخل ميشيل وصاح يقول فى مرح مصطنع : أوه ... ما هذه العظمة ! .. طاب مساؤك يا ليو ؟ .. أين تذهبون أيهـــا القوم الأثرياء السعداء بكل هذه الأناقة .

أجابت كارلا كما لو كانت فى حلم : سنذهب للرقص .

جلس ميشيل وهو يقول : الرقص ؟ .. سآتى معكم اذن ؟ هل تدعينني ؟

— ان ليو هو الداعى .

أرهف ليو أذنه وقال يحدث نفسه : على اللعنة اذا كنت قد دعوت أحدا ما .

وقال ميشيل محتجا : لا اريد أن أثقل على ليو ، فما زال معى ثمن الشاى .

وأسرع ليو يقول تحت نظرة كارلا : ما هذا القول . اننى انا الداعى ، وسأدفع عن الجميع .

ولزموا الصمت لحظة ثم قالت كارلا : ستأتى معنـــا يا ميشيل اذن ؟ .. ولكن امض واستبدل ثيابك أولا .

وما أن أغلق الباب خلفه حتى تمتمت تقول : اننى حزينة .

ـ لماذا ؟

ـ لا أدرى .

ونظرت الى النافذة ، وكان المطر لا يزال يهطل فى الخارج ، وقالت : ربما بسبب الطقس .

ومالت رأسها فى وهن نحو الرجل ، فأخـذها هـذا الاخير بين ذراعيه وطبع قبلة على شعرها فقالت فى هدوء وبدون حياء : سوف ترقص معى . ومعى وحدى ، وسوف تترك أمى فى مقعدها .. عليها أن ترقص مع غيرك .. أو مع ميشيل .. ولم لا ؟

وضحكت ضحكة جافة ، وبدا كأنها كبرت سنة .. نعم .. كانت هذه هى النهاية . وتعانقا ، ثم قال ليو فى هدوء :

ـ ستأتين عندى الليلة .. أليس كذلك ؟

ـ عندك ؟ .. اين ؟

وامتقع وجهها فى حين أجاب هو : فى بيتى طبعا .

ونظر اليها ، ورآها تتردد وتحنى رأسها كما لو كانت تبحث عن شىء فوق الأرض . وقالت أخيرا : كلا .. هذا محال .

ولزما الصمت ، وراح ليو يتأملها . أثاره صدرها الذى راح يعلو ويهبط تحت ثوبها ، واضطرم وجهه وراح يفكر قائلا : « لسوف تكون عشيقة رائعة » . وتوترت شفتاه لفرط الرغبة ، وأمسك كارلا من خصرها وقال :

ـ يجب أن تأتى .. يجب أن تأتى حتما .. والا .. والا فكيف يتسنى لك أن تبدئى حياة جديدة ؟

نظرت اليه هى الأخرى وهى تفكر قائلة : « انه لا يبحث الا عن لذته . انه على حق . والحياة الجديدة ؟ » وادركت انه لـكى تغير حياتها لابد لها من أن تدمرها دون أية رحمة ، بيد ان فكرة

ذهابها ليلا الى بيت غريب سبب لها نفورا وذعرا ، وقالت فى بساطه زائفة :

— افضل أن يكون ذلك بالنهار . سآتى ذات يوم وسنتناول الشاى معا ... ونتبادل الحديث .

قال ليو : ليس الشاى ما ازيد وانما أريدك أنت سأنتظرك فى الشارع بسيارتى ، وسأعود بك قبل طلوع النهار ... وسوف ترين ... ستغتبطين بحيث تعودين كل ليلة .

قالت فى شىء من الذعر : كلا .. كلا .. يجب أن يكون كل شىء واضحا قبل أى شىء آخر .

وفكرت : « كل ليلة ! » .

وقال ليو : اننى واثق انك ستأتين .. أليس كذلك ؟

تشبثت بحجة اخيرة فقالت : ولكننا لم نتحاب الا منذ يومين ، فلماذا لا ننتظر قليلا .. ألا تظن ان لكل امرأة كبرياؤها .

أسرع ليو يقول : طبعا يا حبيبتى ... سأنتظرك اذن .

ولكنها ترددت مره اخرى وعقدت حاجبيها ، وقالت اخيرا : سأقول لك أثناء الرقص .. نعم ، أثناء الرقص .

قال ليو يحدث نفسه « الحمد لله » وقبلها .

وأقبلت مارى جريس على اثر ذلك وقالت : حسنا يا ميروميس .. هل نخرج ؟

اجاب وهو ينهض : نعم . فلنخرج . اننا على استعداد .

ونهضت كارلا هى الأخرى ، وتقدمت للقاء أمها . وقالت لها هذه الاخيرة وهى تفحصها من اعلا رأسها الى اخمص قدميها : لماذا لم تأخذى الكيس الذى أهداك ميروميس اياه ؟ انه يتلاءم تماما مع هذا الفستان .

قالت كارلا : سأذهب لكى آتى به ثم اعود .

وخرجت ، وصعدت الى غرفتها راكضة . كان الكيس فوق طاولة الزينة ، وكان أنيقا حقا ويدل على ذوق سليم . وفيما هى تضع يدها عليه خطر ببالها ان هذه الهدية انما هى الاولى من هدايا كثيرة . ووقفت مذهولة وهى ترى نفسها بعين الخيال جالسة فوق ركبتى ليو يلاطفها ويداعبها . سوف يصطحبها الى محلات الازياء الراقية ويشترى لها كل نفيس وغال . وسوف يكون كل هذا جذابا . وسوف نمتلك أيضا سيارة وبيتا ومجوهرات ، ونسافر

وترى الناس والبلدان .. صفوة القول ، سوف لا تقف عند حدود نشاطها الخاص ورغباتها الخاصة . يا له من حلم جميل ! وابتسمت على الرغم منها وهى تفكر فى كل هذا ، ولكنها لم تلبث ان سرت فى بدنها قشعريرة فجأة فقد رأت فوق عنقها بقعة صغيرة حمراء ولم تفهم معناها فى بادىء الأمر ، وراحت تحكها باصبعها ، ثم تذكرت أخيرا ان ليو قبلها منذ لحظات فى الصالون ، وتملكها خوف كبير خشية من أن تكون أمها قد رأتها ، وأخذت بدارتها وراحت ترش المسحوق فوقها ، وفيما هى تتلوى أمام المرآة لكى ترى اذا كانت البقعة قد اختفت بدت لها دعوة ليو بأن تذهب الى بيته الليلة مرتبطة بتلك الهدايا والازياء التى تتمناها ، وقالت تحدث نفسها فى فزع مصطنع : يا الهى ! .. أهذه هى حيـــاتى الجديدة ؟ ولم تجد متسعا من الوقت لمزيد من التفكير فقد تناهى الى سمعها ، من الحديقة صوت بوق السيارة وهو يستعجلها فأسرعت بالهبوط .

وكان البهو مظلمـــــا فاجتازته وهى تتحسس طريقها وفتحت الباب ، واستقبلتها أصوات فرحة من أمها ومن ليو وميشيل . وكانوا ينتظرونها فى السيارة . وكان المكان غارقا فى الظلام ، ولم تميز كارلا الا السيارة من بريق معدنها الذى كان يلمع فى جوف الليل ومن مصباح باهت يلقى بضوئه داخلها . وسعدت كارلا وانطلقت السيارة .

ولم ينطق أحد من الاربعة بكلمة واحدة طوال الرحلة . وبلغوا فندق الرتيز بعد لحظات . وكانت تقف أمامه وحوله بضع مئات من السيارات . ومروا أمام غرفة الثياب ، وكانت تعج بالمعاطف المرقمة . واجتازوا بضعة صالونات مقفرة أفضت بهم الى صالة الرقص . وكانت هناك ، بجوار الباب ، منضدة صغيرة يجلس أمامها رجل يبيع تذاكر الدخول . ودفع له ليو ودخلوا جميعا .

وقالت الأم فى اعجاب وهى تردد البصر حولها : ان المكان شديد الازدحام . ستجدين يا كارلا اننا لن نجد مكانا نجلس فيه .

ومع ذلك ، فقد وجدوا منضدة شـــــاغرة فى أحد الأركان فجلسوا ، وخلعت مارى جريس معطفها وقالت وهى تردد البصر حولها :

– انني أرى من المعارف اناسا كثيرين ... انظرى يا كارلا .. ها هم آل فالنتين .

– وها هم آل سانت اندريه يا أماه .

واردفت مارى جريس تقول : وآل كونترى .

وانحنت قليلا نحو ابنتها وعقبت قائلة : وبمناسبة آل سانت أندريه ، أظنك تعرفين أنهم قضوا شهرين فى باريس فى رحلة شهر العسل .. حسنا ، عندما سافروا كانت عربة النوم تضم العريس والعروس وعشيق العروس .. انني نسيت اسمه .

– جورجيتى ... يا لها من قصة .. انها تبدو قصة خيالية .

وكانت الموسيقى قد سكتت . وعاد الراقصون الى أماكنهم بعد التصفيق . وارتفعت فى الصالة همسات الحديث على الفور . وتحولت الأم الى عشيقها وقالت :

– ما رأيك فى أن نذهب الى المسرح الليلة لسماع هذه الفرقة الفرنسية .

أجاب الرجل وهو يلقى نظرة سريعة الى كارلا : لا أستطيع الليلة ... فلدى موعد فى الساعة الحادية عشرة لا يمكننى التخلف عنه .

قالت الأم فى صوت حميمى وساخر فى نفس الوقت : موعد فى الساعة الحادية عشرة مساء ... قل لى يا ميروميس ، أهو مع رجل أم امرأة .

تردد ليو .. هل يثير غيرة مارى جريس أم لا . وأخيرا قال : موعد مع امرأة طبعا . ولكننى لم أحسن التعبير ... انه ليس موعدا وانما مجرد زيارة ... دعوة للعشاء .. سأتناول العشاء عند سيدة تستقبل بصفة أصدقاء .

سألته الأم فى صوت قاس : ومن هذه السيدة ؟ هل يمكننى أن أعرف ؟

استولت الحيرة على ليو ، فهو لم يكن يتوقع مثل هذا السؤال . وبحث فى ذهنه عن اسم امرأة لا تعرفها مارى جريس وقال أخيرا :

– انها مدام سميتسون .. تلك السيدة التى تشتغل برسم اللوحات الزيتية .

– مدام سميتسون .. ما هذا القول ؟ .. ولكنها سافرت الى ميلانو منذ خمسة أيام .

صاح ليو .
واسقط في يده ، وعادت ماري جريس تقول وهي تنفث كلماتها كما لو كانت تنفث السم الزعاف . امض اذن الى مدام سميتسون ... ولكنني اخشى ان لا تستطيع اللحاق بها ، حتى اذا ركبت القطار أو الطائرة .. آه ، يا صديقي العزيز .. ان للكذب سيقانا قصيرة .. ولكن هل تريد أن أقـــول لك من هي السيدة التي يجب أن تزورها ؟ . لا ريب انها واحدة من بنات الهوى القذرات .

وما سمعت كارلا هذه الكلمات حتى امتقع لونها بحيث خشي ليو أن يغمى عليها او أن تنفجر بالبكاء . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . واكتفت كارلا بأن قالت : هلم بنا نرقص يا ليو .

وسارا الى حلبة الرقص ، وكانت كارلا لا تزال ممتقعة اللون . ولكن وجهها كان متسما بنوع من التحفظ المتعالي . وعندما همت بأن تأخذ يده رفعت رأسها اليه وقالت في عزم : سآتيك الليلة طبعا يا ليو ، وما عليك الا أن تنتظرني .

وخيل لليو انها تتـــكلم وهي تجز على أسنانها فقال : أتعنين ما تقولين حقا ؟

ـ نعم . تماما .

وراحا يرقصان وكل منهما نهب لأفكاره . كان ليو يكاد يطير لفرط الفرح ، ويقول لنفسه : هذه المرة أصبحت لي ... أصبحت لي ... أما هي فقد استولى عليها الارتباك وأخذت ترقص على مضض ، فقد كانت تود لو أن تخرج وتجلس في مكان ما وتطبق عينيها . ولكن الراقصين كانوا يدورون حولهـــا بدون انقطاع بحيث لم تجد الجراة على أن تنتزع نفسها من بين ذراعي ليو .

وانتهت الرقصة . وعاد الراقصون الى أماكنهم ، ومن بينهم ميشيل وأمه ، وكانا يتشاجران . وعادت ماري جريس تقول ساخطة :

ـ هذه آخر مرة أرقص فيها معك .

سألها ليو : لماذا ؟

ـ آخر مرة . تصور ... كان الجميع ينظرون الينا . ومن يدري ماذا كانوا يقولون عنا ... انه كان يرقص .. ماذا أقول .. كان يرقص كما لو كان لصا ..

قال ميشيل وهو يغتصب ابتسامة : وكيف يرقص اللص ؟ .. ومن هو اللص بيننا ؟ أهو أنا أم ...

قالت الأم وهي تردد البصر حولها : اسكت .

ولكن ميشيل لم يسكت واستطرد يقول : يبدو لى انه كان يجب أن أرقص كالمسروق . كرجـــل سلبت منه ثروته واحاسيسه وانفعالاته ولكى تعرفى كيف يرقص اللصوص يجب أن ترقصى مع رجل آخر ... بكل تأكيد .

ونظر الى ليو مليا وعاد يقول : نعم ... مع رجل آخر .

وقف ليو لحظة بين المرآتين ، جامدا لا ينطق ، ثم ابتسم أخيرا وقال :

ــ أظن يا ميشيل أن شيئا قد حدث لك حقا . لا يمكن أن يستمر الأمر هكذا ... يجب أن تنصرف يا عزيزى ... أو لعلك تريد ان أنصرف أنا ؟

تأوهت الأم قائلة : نعم يا ميشيل .. انصرف .

ولم يسمع ميشيل عندئذ الا أن يقول : اذن فأنت تفضلين طرد ابنك بدلا من رجل غريب كليو .

ــ ولكن ليو هو صاحب الدعوة .

ولم يجد الشاب ما يقول بعد هذا فأحنى رأسه وتمتم : انت على حق . انني منصرف . امرحوا كما يحلو لكم ... ان اللص خارج .

وانصرف . وبعد خمس دقائق كان فى بيته . واجتاز الحديقة ركضا ، تحت المطر الذى ازدادت حدته . وكانت الليلة حالكة الظلام ، وكان البهو مظلما هو الآخر . وألقى مظلته وقبعته فوق مقعد ومضى الى السلم دون أن يضىء النور وهو يتحسس طريقه ، ولكنه حين مر أمام الصالون رأى بصيصا من النور من خلال ثقب المفتاح وسمع موسيقى هادئة ففتح الباب ودخل . وكان النصف الاول من الصالون ، حيث يجلسون عادة للحديث مظلما . أما النصف الآخر ، فيما بعد القنطرة الصغيرة فكان مضاء ، وكانت ليزا جالسة امام المعزف تجرى بأصابعها على ملامسه .

وقال ميشيل يحدث نفسه فى ضجر : « انها جاءت لكى تفسر لى موقفها ، كما لو كنت لم أفهم » . وجلس فوق مقعد بعيدا عن النور وقال فى هدوء : اننا ذهبنا الى الريتز ، ولكن تملكنى الضجر فانصرفت .. ثم ، تصورى انني تشاجرت مع ليو .

مضت اليه وجلست بجواره بقدر ما استطاعت وقالت : ولماذا ؟ .. لعلكما تشاجرتما بسببى .

نظر ميشيل اليها وود لو أن يضحك . وكان الجواب حاضرا على شفتيه ، وود لو أن يقول لها « أيتها المسكينة ليزا ... ماذا يجب أن أفعل لكى أقنعك بأننى لا أحبك ؟ » ولكنه أشفق عليها واكتفى بان قال :

ـ كلا . لم تكونى انت السبب .. انما تشاجرنا بسبب أمى .

قالت ليزا وهى تشعر بشىء من خيبة الأمل : آه ... اننى أفهم . حسبتك غضبت منى ومن ليو .

أجاب ميشيل : ابدا ... ولماذا اغضب ؟

استطردت ليزا : « اننى أفهمك . أوه ، نعم ، اننى أفهمك ، ولهذا أتيت اليك لأفسر لك موقفى . اذا كنت تعتقد ان هناك شيئا بينى وبين ذلك الرجل فاننى أؤكد لك انك مخطىء . لا أخفى عليك أنه كانت بينى وبينه علاقة ... كان يحبنى » . وأتت باشارة لكى تعبر بها انها تثير ماضيها بعيدا » وكنت أنا صغيرة وبحـــاجة الى المساعدة ، وكان ملحا وساعدته الظروف فاستسلمت له .

قال ميشيل دون أن يقصد تقريبا : ولكننى سمعت انك تزوجت بعد ذلك .

اجابت فى بساطة كبيرة : هرب زوجى بعد عام من زواجنا ... واخذ معه كل مجوهراتى .

وبقيت حالمة لحظة ، ولكن من غير حزن أو ضيق كالشخص الذى يحاول ان يستأنف حديثه بعد مقاطعة تافهة : واستسلمت له ودامت علاقتنا ثلاث سنوات ... ثلاث ســـــنوات عندما رايت فجأة اننى لا أحبه واننى لم أحبه قط ، فافترقنا .

قال ميشيل يحدث نفسه : أو بالأحرى هجرك بسبب أمى .

ـ ولم ير أحدنا الآخر بعد ذلك الا بضع مرات حتى ... حتى اليوم .. جاءنى ولا ادرى بأية نوايا . كان يظن ان من الممكن ان يعود الماضى (وانفجرت ضاحكة كما لو كانت تريد أن تشير الى سخافة آمال ليو) كما لو انه كان باستطاعتى أن أنسى سلوكه حيالى ، وكما لو أنه ليس فى الدنيا غيره . انه يتصور أن ما عليه الا أن يأتى لكى يحصل على ما يريد .. وكنت أهم بطرده بالذات حين أقدمت نت . هذه هى الحقيقة ، ولك أن تصدقنى ، وأقسم لك بكل عزيز لدى على ذلك .

وادنت وجهها من وجهه وأردفت تقول : انني لا احب احـد غيرك .

لم ينطق ميشيل ، وطوح برأسه الى الخلف قليلا ، ونظر اليه فى اشمئزاز وضيق . وازدادت ليزا انحناء فوق انحناء مقعدها . وكان ثوبها ضيقا فانحسرت جونلتها عن ساقيها وكشفت عما فوق ركبتيها بقليل ، وأثاره هذا المنظـــر وقال لنفسه : ان ليو على حق . انها امرأة لا يستهان بها » ولكن خسة هذا الخاطر الذى خطر له ، واحساسه بالكذب الذى يعيش فى داخله أوحيا اليه بنفور كبير ارتجفت له شفتاه ، وتراجع فى مقعده الى الخلف وقد خفض عينيه .

وصاحت تقول قبل أن ينطق بكلمة وقد أفزعها أن تراه متحفظا بعد ارتباكه القصير على اثر رؤيته عريها : لا تنظر الى هكذا ، أرجوك تكلم ... قل لى رأيك .

وكان النور قد بدأ يخفت شيئا فشيئا وهو يتكلم ، واخذ الظلام يلف الغرفة بما فيها لحظة بعد أخرى ولم يلبث ان انطفأ النور نهائيا فصاحت ليزا : ما هذا ؟

— لا شيء .. لقد انقطع التيار ، وما علينا الا الانتظار .

صمت وظلام وصوت هطول المطر وفجأة ، أحس ميشيل بيد توضع فوق يده فقال لنفسه : « ها هى ذى اللحظة المناسبة لـكى انسى وأصفح واستسلم للعاطفة فى الظلمات المواتية .

ورأى بعينى الخيال فخذها العارى الذى أثار فيه كوامن الشهوة، ولم يشعر الا وهو ينحنى الى الامام ويقبل أصابعها . وفكر متقززا ومغتبطا فى نفس الوقت : « الآن انتهى كل شيء ، وما على الا أن أطوقها بذراعى وأقبل فمها » وهم بأن يفعل ذلك عنـــدما تناهت اليهما أصوات وضحكات مرحة فتح باب الصالون على اثرها وانقشع الظلام على ضوء مرتجف منبعث من شمعة رسم فى السقف ظلالا كبيرة ، ودخلت مارى جريس ومن خلفها ليو وكارلا .

كانوا يتقدمون فى خطوات حذرة محاولين التعرف على الشخصين الجالسين ، وعرفت مارى جريس ليزا فصاحت : آه ... أهذه انت .

وقالت كارلا بدورها : هل أتيت ثانية ؟ هل انقطع التيار منـذ وقت طويل ؟ .. اننا رقصنا ولهونا ... تصورى ان ليو حمل أمى على أن ترقص الشارلستون .

قال ليو : وكانت بارعة في هذه الرقصة .
تنهدت الأم قائلة : آه . لا تحدثنى عن الشارلستون بعد اليوم ياميروميس .
وارتمت فوق مقعد بادية التعب واستطردت : تصورى يا ليزا انه ابتعد عنى ونحن نرقص وراح يحرك ساقيه وهو يقول : « افعلى مثلى . » ولم أطعه فى بادىء الأمر ، ولكننى بعد خمس دقائق كنت أرقص خيرا من الآخرين . ان رقصة الشارلستون سهلة جدا .
قالت كارلا : ولكن لا يمكن القول بأنك تعرفين هذه الرقصة حقا .
ـ لا يمكن القول ... أوه ، انظرى ، سأرقصها الآن وسترين كم هى سهلة حقا .
ونهضت الأم وقد ارتسمت امارات الغضب على وجهها وخلعت معطفها والقته فوق أحد المقاعد ، وقالت تخاطب ليزا .
ـ هل لك ان تعزفى مقطوعة لاحدى رقصات الشارلستون يا ليزا .
جلست ليزا أمام البيان ، وأخذت تبحث بين الاسطوانات ثم قالت تسأل : ماذا تريدين ؟ .. فوق الباخرة أو ليلة فى نيويورك ؟
ـ ليلة فى نيويورك .
بدأت ليزا العزف فى حين وقف ليو بجوارها ممسكا بالشمعة ، وبقيت كارلا مكانها ، هى وميشيل فى الظلام ، لا يتحـــركان . وارتفعت انغام الشارلستون الحارة ، وراحت مارى جريس تتلوى وتتثنى والشمعة تلقى ضوءها على وجهها المتعب المتغضن ، وثوبها الضيق يعرقل حركاتها . ووراحت تطوح بقدميهـا يمينا ويسارا محاولة تتبع أنغام الموسيقى ، ولكن يبدو أنها نسيت الدرس الذى لقنها ليو اياها لانها توقفت بعد دقيقة ونظرت الى عشيقها بخيبة امل وقالت :
ـ لا أدرى . انها ليست نفس الرقصة التى رقصناها فى الريتز .
وقالت كارلا : ارأيت يا اماه ؟ .. اننى كنت على صواب .
قالت الأم محنقة : ابدا . ولكنها ليست نفس الرقصة .
تقدم ليو وفى يده الشمعة ووقف بين المراتين وقال : هذا لا يهم ... سوف تتقنينها فيما بعد .
لزم الجميع الصمت . وكان المطر قد اشتد فى الخارج ، وراح يهطل مدرارا ، وقالت كارلا
ـ هلموا بنا لكى نستبدل ثيابنا لتناول طعام العشاء .

وقالت الأم وقد عقدت العزم على ان تنتزع من عشيقها موعدا فى اليوم التالي :
ستتناول العشاء معنا ياميروميس ... اليس كذلك ؟
اجاب ليو : كلا ... بل اعنى نعم .
ومضوا نحو الباب ، الواحد خلف الآخر . وكانت مارى جريس هى التى تحمل الشمعة عندئذ وقالت : من يحبنى يتبعنى . وضحكت كارلا . واقترب ليو من ميشيل ، وكان لا يزال جالسا وقال له : حسنا . هل عملت بنصيحتي . لا تنس ما قلت لك . ان ليزا امراة لا يستهان بها . سمينة بعض الشيء ، ولكنها ذات خبرة .
وصعدوا السلم جميعا وهم يتكلمون ويتزاحمون ، وفى الطابق العلوى وجدت كارلا شمعتين اخريين اخذتهما أمها ، وجرت ليزا معها لكى تريها ثوبا جديداً .
وبقى ليو وكارلا وحدهما فى الصالة . أحدهما امام الآخر . ووضع ليو الشمعة على المنضدة وقد بدت فى عينيه امارات الرغبة الشديدة وراح يضغط على يد كارلا وامسها من خصرها ، وكانت لا تتوقع ذلك فتمتمت تقول : كلا يا ليو .. كلا .. حذار .
وراحت تلقى حولها نظرات فزعة ثم استسلمت اخيرا . وظهرت ليزا فى هذه اللحظة ، ورأتهما متعانقين فى وسط الصالة ، فارتدت خطوة الى الوراء واختبأت خلف ستارة كبيرة ثم ازاحتها قليلا والقت نظرة متلصصة فرأتهما ما زالا متعانقين ويتمايلان يمنة ويسرة وقد التصقت شفاههما فى قبلة طويلة . وراح قلبها يدق فى عنف ، وكفت عن مراقبتهما وقد استولى عليها الرعب والارتباك . وعندما نظرت اليهما من جديد ، وفى حذر شديد كانا قد انفصلا وراحا يتكلمان .
قال ليو : يبدو لى ان هذه الستارة قد تحركت .
وأردف يقول ضاحكا : أيتها الروح ، اذا كنت هناك فدقى دقة واحدة ، واذا لم تكونى هناك فدقى دقتين .
كان يقلد هواة محضرى الأرواح . وراحت كارلا تضحك على مضض وقد توترت ملامحها شيئا ما . وودت ليزا وهى خلف الستارة ان تدق دقة ليعرفا بوجودها ... ما أشد ما يكون هلعهما عندئذ .
وقال الرجل : اجلس هنا على ركبتى .
— ولكن ... ربما يأتى أحد يا ليو .

ـ لا تخافى .
حفيف ثوب . واتسعت عينا ليزا . كلا . انها تحلم . كانت كارلا جالسة فوق ركبتى ليو وقد توتر جسدها بعض الشيء .
ـ هيا يا صغيرتى . اذا كنت هنا فاعطنى قبلة ، واذا لم تكونى هنا فاعطنى قبلتين .
وصمت . أحنت كارلا رأسها فى وهن . وفجأة ألقت نفسها فى أحضان الرجل فصاحت تقول « كلا يا ليو ، لا تفعل هذا » . وانتهزت ليزا الفرصة فغادرت مكانها وعادت الى غرفة الأم فى صمت ومن غير أن يصدر منها أى صوت .
أعقب دهشتها الأولى فرح انتقامى ، وحدثت نفسها تقول : سآتى الآن بمارى جريس واريها ماذا يفعل حبيبها ليو . ولكنها ما كادت تدخل الغرفة وتقع عيناها على صديقتها حتى هدأت ، وزال شعورها الانتقامى ، فقد الفتها تذرع الغرفة جيئة وذهابا وهى لا تنفعك ترنو فى زهو وخيلاء لكى ترمى تأثير فستانها الجديد ، وقالت تخاطب ليزا بمجرد أن وقعت عيناها عليها .
ـ اليس جميلا ؟ .. ولكن به عيبا يكاد لا يلحظ ، وهو هذه الثنية فوق الخصر مباشرة . ما رأيك لو وضعت شريطا فوقها ؟ أو حزاما ذهبى اللون ؟ انها ثنية لعينة .
واعتراها شعور من الاشمئزاز لم تكن تعرفه من قبل ... شعور بالاشمئزاز يدور حول شباب كارلا والدمار الذى ستتمخض عنه هذه المغامرة . لم تشعر بأى سخط أو اية دهشة وانما أحست برثاء كبير نحو مارى جريس وليو وكارلا جميعا ، ونحوها هى بالذات . وأخانتها المشاعر الجديدة التى تحس بها . كانت متعبة جدا . وأخيرا احست بالرغبة فى الانصراف والتفكير وحدها فى أحداث اليوم فقالت : سأعود الى البيت :
وفتحت الباب وخرجت ثم صفقته فى عنف لكى تنبه العاشقين، ومضت الى الصالة ، ووقفت كارلا على الفور وأسرعت للقائها وقالت :
ـ سأشيعك حتى الباب . أما أنت يا ليو فعليك بالبقاء خمس دقائق فى الظلام .
واضاءت الشمعة وجهها ، واستطاعت ليزا أن ترى عينيها المتعبين والمضطربتين وصدغيها الشاحبين . وأحسست أخيرا برغبتها

فى ان تتكلم وتنطق بما رات ، ولكن كارلا كانت قد سبقتها الى السلم .

ولبست قبعتها ونظرت الى المرآة لكى ترى صورتها دون أن تكف عن النظر الى كارلا من ركن عينيها . وسألتها تقول فجأة :

ـ ماذا بك ؟ .. أرى انك لست كعادتك كل يوم .

قالت كارلا مشدوهة : انا ؟ ليس بى شىء .

استطردت ليزا تقول : هل تعرفين انك شاحبة اللون ؟ .. يبدو لى انك ترهقين نفسك .

لم تنطق كارلا . وتساءلت ليزا هل تتكلم أم لا . ولبست معطفها وعندما همت بأن تخرج أخذت يد كارلا وتبادلت المراتان النظر ، ولم تحتمل كارلا نظرة صديقتها الفاحصة ، واطرقت براسها .

وقالت ليزا فجأة فى انفعال : كارلا ؟ .. ماذا يحدث ؟

ـ ولكن ... لا شىء .

واستولت الحيرة على ليزا ، وترددت فى الخـــروج ثم قالت فجأة : قبلينى اذن .

وتعانقت المراتان ، ولكن ليزا احست بالحزن وهى تضع قبلة على الوجنتين الباردتين وقالت لنفسها فى شىء من الأسى : كلا . ما هكذا يجب أن أتكلم . وأردفعت تقول فى ارتباك :

ـ ولا تنسى أن تأتى لزيارتى اذا واجهتك اية مشاكل ، وأن تخبرينى بكل شىء . لا تخفى عنى شيئا .

قالت كارلا فى خجل : طبعا ... طبعا .

وخرجت ليزا على اثر ذلك واغلقت الباب .

وصعدت كارلا السلم وهى تفكر . افزعتها كلمات ليزا شيئا ما . أتراها اشتبهت فى شىء ؟ ولكنها لم تلبث أن اقصت عنها هذا الظن ، فقد بدا لها بعيد الاحتمال لأن مغامرتها مع ليو لم تبدأ الا منذ يوم واحد ، ولم تقض ليزا فى البيت أكثر من بضع ساعات ... الا اذا كان اختفاؤها العجيب بالأمس قد اثار ظنونها ، وقالت : مهما يكن سواء ضمنت أم لا فاننى سأذهب الليلة الى بيت ليو .

وصعدت السلم فى بطء وهى تقول : « اذن فأنا أستقبل حياتى الجديدة » . كانت تود أن تشعر بالهدوء ، ولكنها لم تستطع ذلك ، فان قلبها راح يدق فى عنف ، وعصف بها احساس من الضيق

والتردد وتنهدت وهى تتمنى ان تمر الســـــاعات الباقية بأسرع ما يمكن .

وعلى ضوء الشمعة الباهت رات ليو جالسا فى مقعده بالصالة ، فالقت بالشمعة على المنضدة وقالت : عجبا لهذا النور الكهربى الذى يأبى أن يعود .

ولكن الرجل بدا كأنه لم يسمعها ، وأخذ يدها قائلا : الليلة ، فى بيتى اذن ؟

ولم تجد كارلا الوقت لكى ترد فقد انفتح أحد الأبواب وظهرت مارى جريس وفى يدها شمعة وقد التفت فى شال أسود كبير وعلى وجهها تعبير خبيث ، وقالت تخاطب عشيقها دون أن تجلس .

ــ ان ليزا انصرفت . ولعلك ياميروميس كنت تؤثر أن ادعوها للعشاء . ولكن ماذا تريد ؟ .. ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ، ثم أن صديقتك العزيزة ستجد الوقت الكافى لكى تستعد لزيارتك ... الليلة .

وضحكت ضحكة متهورة وهى تنطق بالكلمة الاخيرة ومضت الى السلم من غير ان تنتظر الرد .

ــ أين تذهبين يا أمى ؟

أجابت مارى جريس من غير أن تلتفت : اظن ان ساعة العشاء قد حانت .

وهبطت درجات السلم فى بطء وهى تمسك بالشمعة بيد وتعتمد بالأخرى على الدرابزين الخشبى ، واستأنفت تقول :

ــ ولكن اذا أردت أن تلحق بليزا فلا تتردد .. سيان عندى بقيت أم رحلت .

وضاعت الكلمات الأخيرة فى السلم الذى لفه الظلام ، فان مارى جريس كانت قد بلغت أسفل الدرج ، وتحول ليو الى كارلا عندئذ وقال :

ــ ان أمك لن تتغير أبدا ... اذا ما تسلطت عليها فكرة فلا يمكن حتى للشيطان أن ينتزعها منها .

وأتى باشارة من يده تدل على السخط والغضب ، ولكن كارلا نظرت اليه فى قلق وفى شىء من الذعر وقالت :

ــ هل تدرى ماذا أظن ؟ .. أظن أن ليزا ضمنت شيئا .

ــ ماذا ؟

— لا ادري .. ولكن يخيل لي من اللهجة التي كلمتني بها .
— فلتخمن ما يحلو لها ... فأنا كما تعرفين ...
وحاول ، فجأة ، ان يجذب الفتاة اليه ولكنها قاومته دون ما سببه وصدته قائلة : كلا ... حسبك ما فعلت الآن .
وحاول مرة اخرى ان يمسكها من خصرها وقد توتر وجهه لفرط الانفعال ولكنها قالت : كلا .
وقاومته في عنف غريب وقد امتلأت عيناها غضبا ، واصطدمت في مقاومتها بالمنضدة فوقعت الشمعة التي فوقهـــا على الارض وانطفأت .

وساد ظلام تام ، وهبطت كارلا السلم مسرعة ثم خيم الصمت .
وقال ليو وقد بقي وحده في الظلام : « ما أغرب هذه الفتاة ! تتركني اداعبها وبعد خمس دقائق تأبى أن اقبلها على جبينها » .
لم يكن مغيظا وانما كان مذهولا بعض الشيء .. تبخرت شـهوته وهدأت نفسه ، وراح يردد البصر حوله في الظلام وهو يبحث عن علبة الثقاب في جيبه ، ثم أضـــاء عودا وانحنى فالتقط الشمعة وقال : « فلأذهب الآن لتناول الطعام ... ومشى بضع خطوات ثم تذكر انه نسي أن يقول لكارلا متى وكيف يلتقيان في بيته ، فعاد الى المنضدة ووضع الشمعة فوقها ثم كتب على احدى بطاقاته بحروف كبيرة : « سأنتظرك بعد ساعة عند باب الحديقة » وقال يحدث نفسه « سأعطيها هذه البطاقة عند انصرافي » . ثم اخذ الشمعة وهبط .

كانت هناك شمعة واحدة فوق المائدة ، وكان نورها لا يكاد يبدد ظلام الغرفة ، ولم يتبين من الاربعة الجالسين غير وجوههم ، وجلس ليو بدوره وراح يأكل في صمت . ولم ينطق احد من الآخرين ، فقد كان كل منهم فريسة لأفكار ملحة . ولكن ماري جريس كانت أكثرهم اضطرابا وانشغالا دون أي شك . فقد دفنت ذقنهـا في راحتيها المجتمعتين وراحت تنظر الى شعلة الذبالة المتراقصة وقــد ظهرت الغضون بين ثنيتي شفتيها في وضوح مرير .
ونظرت الى عشيقها اخيرا وقالت في سخرية لاذعــة : أود ان أعرف لماذا يكذب الناس ، ولماذا يأتون أفعـــالا لا يحرصون على اخفائها ، فانت مثلا يا ميروميس ، لك مطلق الحرية في أن تتواعد هذه الليلة بعد العشاء ، مع اية امرأة ، وما من احد يمنعك من ذلك

على الرغم مما فيه من مجافاة للذوق والأدب . ولكن لماذا لا تقول الحقيقة ولماذا تختلق موعدا هاما مع مدام سميتسون فى حين أن هذه الاخيرة موجودة الآن فى ميلانو . أصدقنى القول ... من الذى يجبرك على الكذب هكذا ؟ .. ثم ان هذه ليست كذبة فحسب وانما هى اهانةلى . هل تظن اننى غير جديرة بأن أفهم ثمة أمور ؟ ألم يكن من الأسهل لك أن تقول « بهذه المناسبة ، يجب أن أفارقك فى الساعة كذا .. فأرد أنا عليك « ولكن اذهب أينما يحلو لك أيها السيد ... لك أن تذهب الى الشيطان اذا أردت » وتنفض المسألة عند هذا الحد .

وسكتت وهى تغلى من الغضب ، واقصت عنها الطبق الذى قدمته لهـا الخادمة ، ولما رات ان ليو لا يريد أن يتكلم صاحت محنقة :

ــ ولكن قل شيئا ... قل الحقيقة ولو مرة واحدة .

نظر الرجل الى عشيقته شذرا ، وقـد بدأ يشعر بالضيق إزاء اصرارها هذا وقال يحدث نفسه « انها تستحق أن أصفعها على وجهها ساعتين على الأقل » ولكنه ازدرد ما فى وقال : ليس عندى ما أقول .

استشاطت مارى جريس غضبا ازاء عدم اكتراثه وصاحت : كيف هذ ؟ .. اننى أتهمك بالكذب على عمد فلا تكتفى بعدم ذكر الاسباب التى تدفعك الى هذا التصرف وانما تقسو على فى الرد كما لو كنت أنا المخطئة . هل تعرف حقيقتك ... انت وقح .

لم يكن ليو يرد عادة على لوم عشيقته وعتابها ، ولكنه فى ذلك اليوم بالذات كان رد الفعل عنده عنيفا ، وذلك اما بسبب رغبته المكبوتة أو لأن الاهانة قد مسته حقا ، فصاح فى حدة وهو يتحول دفعة واحدة عن الطبق الذى تمده اليه الخادمة .

ــ اسمعى . لنفرغ من هذا الأمر نهائيا والا فسأضطر الى أن أتصرف تصرفا غير حميد . اننى احتملتك بما فيه الكفاية ، ولم يعد فى مقدورى أن أحتمل المزيد .

ورمى عشيقته بنظرة خشنة جافة فيها من الاهانة ما فيها بحيث ان المسكينة صعقت وكادت تختنق ، واستعصى عليه امارات القسوة والصرامة وراحت تكرر فى رأسها الفارغة هذه الكلمات « اننى أحبه ولكنه يقسو فى معاملته لى » .

ورأت ليو يتحول عنها الى طبقــــه ويتناول شريحتين من اللحم وبعض الخضر دون أية مبالاة فأغرورقت عيناها بالدموع ، و ألقت

منشفتها فوق المائدة ونهضت فى شىء من الجهد وقالت : لست جائعة . استمروا أنتم ولا تحفلوا بى .

ومضت الى الباب بسرعة ، وكادت قدماها تتعثران فى السجادة .

واعقب هذا الخروج المفاجىء صمت ثقيل ، وكان ليو قد أمسك السكين والشوكة بيديه فبقى ممسكا بهما ونظر فى ذهول الى الباب المظلم الذى اختفت مارى جريس خلفـــــه . ونظرت كارلا بعينين مذهولتين ، هى الأخرى ، الى هذه الناحية ، وكان ميشيل يبدو أقل الثلاثة ذهولا ودهشة فتحول الى الرجل وقال له فى هدوء يشوبه بعض الضيق .

ـ ما كان يجب أن ترد عليها بهذه اللهجة ، فأنت تعرف أنهـــا عصبية .. وسنواجه الآن مشاكل لا آخر لها .

ـ لكننى لم أقل لها شيئا . اذا كانت تشكو من أعصابها فما عليها الا أن تعالج نفسها ... أما يحق لى أن أتكلم ؟

قال ميشيل وهو يحدق فى عينيه : ولكنكما تكثران من الكلام .. أنت وهى .. أكثر من اللازم .

زمجر الآخر قائلا : هذا سخف . ان أمك هى التى تكثر من الـكلام وليس أنا .

وسكت . وراح ينقل بصره بين طبقه حيث بدأ اللحم يبرد وبين الباب الذى اختفت مارى جريس خلفه ، ثم قال :

ـ ولكن ماذا تفعل الآن ؟ ليس من المعقول أن تحمى نفسها من الطعام .

القت كارلا بمنشفتها على المنضدة وقالت : ان ميشيل على حق . ما كان يجب أن تعامل أمى هكذا . ان لها عيوبها ، ولكن مهما يكن من أمر فهى امرأة ... وقد تصرفت تصرفا غير لائق .

ونهضت . وترددت لحظة وقد بدا عليها القلق . كانت كارهة لما سوف تقدم عليه ، ولكنها دفعت مقعدها أخيرا وهى تقول : اننى ذاهبة اليها .

وكان الظلام التام ضاربا أطنابه فى البهو فتقدمت وهى تتحسس طريقها وتقول « كان يجب أن آتى بالشمعة » وتذكرت فجأة ان أمها لجأت ذات يوم ، بعد مشاحنة من هذا النوع الى غرفة الصالون فمضت اليها وهى تقول لنفسها « يجب أن ينتهى كل هذا . اننى ذاهبة الليلة الى بيت ليو وسينتهى كل شىء عندئذ » . وكان الظـلام

يمـلأ عينيها ، وخيل لها انه تداخل في روحها وعادت تقول : فلأذهب الى هذه الأم الحمقاء » . ولم تشعر نحوها بأية شفقة . وحز فى نفسها فى نفس الوقت أن تقسو عليها هكذا .

ووجدت أمها فى الصالون كما توقعت ، وكانت جالسة تبكى فقالت لها وهى تهزها شيئا ما : ماذا تفعلين هنا ؟

أجابتها مارى جريس خلال دموعهـا : كلوا أنتم .. أننى أوثر البقاء هنا .

تنهدت كارلا فى حزن وفروغ صبر في نفس الوقت ، ودارت بالأريكة ، وجلست بجوار أمها وقالت وهى تلقى بيديها على ذراعيها :

ــ أؤكد لك يا أمى ان ليو لم يكن يقصد ... وانه أول من ساءه ما حدث .

أطلقت مارى جريس تنهيدة طويلة وقالت : يا الهى ! .. اننى تعيسة جدا .

سرت فى بدن كارلا قشعريرة وتمتمت : لا تبالغى يا أماه .

أحاطت الأم عنق ابنتها بذراعيها وقالت ودموعها تنهمر وتبلل صدغ كارلا : قولى لى يا كارلا .. هل تظنين حقا انه عاد الى حب هذه المرأة ؟

سألتها كارلا فى ارتباك : أية امرأة ؟

وأحست بصدر أمها الرخو اللاهث يثقل على ذراعها ، ولم تدر ماذا تفعل . كرهت أن تواسى أمها لأنه عمل لا تقره الطبيعة . وقالت الأم وهى تنتحب .

ــ ليزا طبعا .. انهما انصرفا معا بالأمس ، وانا واثقة انهما بدآ يتحابان من جديد .. آه . ما أشد شقائى وتعاسنى .

ودت كارلا أن ترد على أمها وتقول : « ولكنه يحبنى أنا » وعادت الأم تقول :

ــ ماذا فعلت لكى أستحق كل هذا ؟ .. اننى ضحيت بحياتى من أجله .. وها أنت ترين الآن كيف يعاملنى ».

لم تدر كارلا ماذا تقول وهمت بأن تتحرر من ذراعى أمها عندما عاد النور الكهربى فجأة ، فافترقت الأم عن ابنتها بدافع الغريزة وجففت دموعها وقالت :

ــ هل تشعث شعرى ؟ .. وهل وجهى مضطرم ؟

ــ أبدا ... انت على ما يرام .

وعادا الى غرفة الطعام ، وكان ليو و ميشيل يتحدثان فى هدوء وما دخلت المرأتان حتى قطع ليو الحديث وهب واقفا وقال يستقبل مارى جريس .

ــ نحن صديقان الآن ، أليس كذلك ؟

أجابته الأم فى برود مصطنع : الى حد ما .

وعادت الى مكانها أمام المائدة .

وفرغوا من الطعام فى صمت ، تدور فى رأس كل منهم أفكار مختلفة عن الآخر ، فكان ليو يقول : فلتذهب الى الشيطان !

أما الأم فكانت من ناحيتها تبحث عن وسيلة للانتقام ، فقد تلاشى ألمها وحل محله حقد جارف ، وكانت تقول لنفسها « انه يريد أن أتنازل له عن الفيللا مباشرة ، ولكننى لن أفعل . سوف أبيعها فى المزاد » . وكانت كارلا تفكر فى الليلة التى ستقضيها مع ليو . واستولى عليها اضطراب شديد وأخذت تسائل نفسها : « هل وعدته حقا ؟ هل يجب أن أمضى الى بيته الليلة حقا ؟ .. » أما ميشيل فقد أحس بالانزعاج . وخيل له وهو يسمع المشاحنة التى وقعت بين أمه وليو أنه بلغ آخر درجات اللامبالاة وعدم الاكتراث ، وقال محدثا نفسه : ها هى ذى فرصة أخرى قد ضاعت . فرصة ما كان أجملها فى أن أتخاصم معه وأفرغ منه .

الفصل الثامن

غادروا غرفة الطعام اخيرا واجتازوا البهو في بطء وهم يشعلو السجائر وينظرون الى المرايا خلسة . ومضوا الى الصالون . وقال ليو وهو يجلس على الاريكة بجوار مارى جريس :

ــ اننى أشعر هذا المساء بأننى على استعداد لسماع بعض الموسيقى الكلاسيكية ، فما رأيك يا كارلا ؟ .. هلا عزفت لنا بعض مقطوعات شوبان ؟

أسرعت الأم تقول وقد سرها أن الموسيقى ستتيح لها الفرصة فى تبادل الحديث مع ليو فى حرية تامة :

ــ نعم ياكارلا .. اعزفى لنا بعضا منها .

جلست كارلا أمام البيان وراحت تجرى بأناملهــــا الرقيقة على ملامسه ، وانتهزت الأم الفرصة فقالت تخاطب عشيقها وهى ترميه بنظرة قاتلة وقد أمضتها فكرة تجديده لعلاقته بليزا .

ــ يمكنك ان تمضى فورا الى موعدك هذا يا ميروميس ، فــلا داعى لــكى تضايق نفســك هنا بسماع الموسيقى ... لا احــــد يحتجزك ... فاذهب .. اذهب حيث ينتظرونك .

نظر ليو اليها فى شرود . لم تكن به أية رغبــة فى المشاحنة أو الخصام . وأشار الى البيان اشارة معناها « ليس الآن ، لنستمع الى الموسيقى » ولكن الأم أصرت قائلة :

ــ بل اذهب . انت تشعر بالضجر . لا تحاول الانكار فقد رأيتك تتثاءب ... اذهب حيث يستقبلونك بأذرع مفتــــوحة .. ماذا تنتظر ؟ ... ثم انه ليكون أمرا مجافيا للأدب اذا أنت اخلفت وعدك لمدام سيمتسون .. وسيكون هناك مدعوون كثيرون ، ولا ريب أنها قد طلبت قطارا خاصا لينقل مدعويها الى ميلانو .

كان ليو على استعداد لأى شىء لكى يســـــكتها . فنفض رماد سيجارته فى هدوء ثم تحول الى مارى جريس وقال :

ــ اذا كنت قد كذبت عليك فذلك مراعاة لك ولكى لا أجعلك تعتقدين أننى أتضايق فى بيتك .. ولكن الحقيقة أننى لست ذاهبا الى أية

حفلة ، وانما ـ داهب لكى أنام ، فمنذ أيام كثيرة وأنا لا أنام الا مع الفجر ، وأنا الآن متعب جدا وأريد أن أنام مبكرا الليلة .

صاحت الأم بلهجة العارف بالكثير من الأمور : آه ، حقا ؟ .. تريد أن تنام مبكرا ؟ .. لأنك تنام فى وقت متأخر جدا كل يوم منـذ أيام كثيرة ؟ .. يبدو عليك حقا أنك لا تستطيع الوقوف على قدميك .. لو تعرف الى أى حد أرثى لك .

أجاب ليو والغضب يعصف به على الرغم منه : لست بحاجة الى رثاء أحد .

قالت مارى جريس فجأة : ولكن ألا تدرى أنك تروى سلسلة من الأكاذيب ؟ .. أولا ، مدام سميتسون ، والآن تريد أن تنام ... الا تخجل من نفسك ؟

ـ أبدا ، فلست أرى ما يستوجب الخجل .

وهز كتفيه ، وكان ميشيل جالسا مكانه يراقبهما متقززا ويقول لنفسه : « لعنة الله عليهما . حتى الموسيقى لا أستطيع سماعها فى هدوء !

واستطردت مارى جريس تقول : تنام ! وهل تريد أن أقول لك ؟ .. اننى أعرف كل شىء .. كل شىء عن الأمس وعن اليوم .

قال ليو دون أن يلتفت اليهـا : بل على العـكس ، لا تعرفين شيئا .

ونظر الى كارلا ورأى كتفيها السمينتين المكتنزتين وقال : يا لها من ليلة ! ساعة أخرى من الانتظار أو ساعتان .. انها مدة طويلة .. وتجاهلت عيناه الثابتتان الجـــامدتان مارى جريس وميشيل وكل ما حوله ..

وقالت كارلا :

ـ هل راق لكم عزفى ؟

أجاب ليو : نعم ، كثيرا ، وأرجو أن تعزفى قطعة أخرى .

تدخلت الأم فقالت : كلا يا كارلا . لا تعزفى شيئا فان ميروميس لا يتضايق فحسب وانما يتلهف على الانصراف . انه يغالب النوم ويكاد يقع فلا تجتجزيه و ...

واردفت تقول وهى تشد ليو من كمه : هيا يا صديقى ... ان فراشك ينتظرك .

خلص ليو ذراعه وابتسم رغما عنه . ولو انه طاوع نفسه لصفعها

فى عنف : ولظل يصفعها حتى ينفثىء غضبه . وتأملتهما كارلا لحظة وهى تقول : احقا انا ذاهبة الى بيته الليلة ؟ ما اغرب هذا ! انهى جالسة الآن أمام البيان ، وبعد ساعتين ستكون فى بيت عشيقها ، وحدست لهفة الرجل الشديدة ، وفى شىء من الدلال المعروف عن المرأة رأت أن تؤخر لحظة الهزيمة الأخيرة ففتحت نوتة موسيقية أخرى وبدأت العزف من جديد .

نظر ليو اليها مفكرا : آه . يا للساحرة الصغيرة ! تريد أن ترانى أموت فى لهفة ... تريد أن ترانى أحتضر ... بدا له كل شىء .. الموسيقى والحديث والصمت غير محتمل ، ونهشته الرغبة ، ولم يعد يفكر الا فى شىء واحد هو أن يصطحب كارلا الى بيته لتشاركه فراشه ... متى تنتهى من العزف .. بعد عشر دقائق .. أو ربع ساعة .. وأنا الذى قلت لها أن تعزف ثانية .. يا لى من مغفل !

ولكن الأم لم تقر بالهزيمة ، فلمست كتف ليو وقالت وهى تتكلف الابتسام :

ــ وغدا صباحا سأذهب الى المحامى ، وسأزوده بتعليماتى لكى يعرض الفيللا للبيع بالمزاد .

ولو أن طوبة انفصلت من السقف ووقعت على نافوخ ليو لما كان لها من الوقع مثلما حدث له عندئذ ، فقد اضطرم وجهه ثم احتقن وتشنج وراح يفكر : « لم يكن ينقصنى غير هذا .. وهذه الليلة بالذات .. عليها اللعنة » . ولكنه حاول أن يخفى ما به ، وقال وهو يضغط على معصميه .

ــ انك لن تقدمى على هذا العمل السخيف .

وقال ميشيل محدثا نفسه : انهما سيتعاركان ويتضاربان بالأيدى .

وعادت الأم تقول وهى تتصنع الهدوء : بل سأفعل كما قلت ، وغدا صباحا بالذات .

أمسكها ليو من يدها فى عنف وقال : هذا جنون ! .. اتريدين أن تبيعى الفيللا بالمزاد لكى تخسرى ٥٠ ٪ من قيمتها ؟ .. وتقولين لى هذا الليلة بالذات ! (ونظر الى كارلا خلسة وهو يقول العبارة الأخيرة) الآن ، بعد أن أعددت العقد ولم يبق الا التوقيع عليه .. هذا جنون .. جنون مطبق .

قالت مارى جريس وقد سرها ان تقوم بدور الشهيدة : سمه

ما شئت ، ولكننى سأذهب الى المحامى غدا صباحا قبل أى شىء آخر .

ــ لا شك انك تهزلين . لابد من التروى والتفكير قبل الاقــدام على اى شىء .. هل تريدين أن تأتى الى مكتبى بعد غد لكى نتشاور فى الأمر .

أجابت مارى جريس فى شىء من اللين : لا فائدة من ذلك ، فاننى أظن ان من الأوفق أن أذهب الى المحامى .

ضم ليو يديه وهو يلعنها فى سره وقال : ان المزاد مغامرة يا مارى جريس ، وقد يكون محاميك نصابا ، فالدنيا مملوءة بالنصابين ، وأنت امرأة لا تفهمين شيئا فى هذه الامور .. اسمعى نصيحتى . سأنتظرك غدا فى الساعة الرابعة .

نظرت الى اليمين والى اليسار فى دلال ، وخفق قلبها الناضج ، وودت لو أن تسأله « هل تحبنى ؟ » ولكنها قالت : لا أستطيع غدا .

ــ بعد غدا اذن .

قالت وهى ترفع عينيها الى السقف كما لو كانت تحاول أن تجمع ذكرياتها : انتظر .. نعم ، ان لدى موعدا ، ولكننى أستطيع أن أتحرر .. سآتى .. فليكن .

وأردفت تقول بابتسامة متألقة فاتنة : ولكن لا أظن انك ستستطيع اقناعى بسهولة .

وسكتت . وترددت لحظة ثم أخذت يد ليو وفتحت فمها لــكى تسأله : هل تحبنى قليلا ؟ عندما سكتت الموسيقى فجأة ، والتفتت كارلا اليهما قائلة :

ــ لا فائدة من الاستمرار فانكم لا تكفون عن الحديث ، ومن الاوفق أن نذهب للنوم .

ساد صمت قصير ثم قال ليو : كنا نعلق على الموسيقى . انك تجيدين العزف يا كارلا ، فاستمرى لحظة أخرى .

كانت هذه الاكذوبة الجديدة اشارة تمرد شيئا ما فقد بدا كما لو أن الجميع قد أفاقوا من غفلة طويلة ، وأولهم ميشيل ، وكان قد احتمل حتى هذه اللحظة دون أى احتجاج ثرثرة أمه وليو ... ولكنه أقدم عندئذ على شىء لعله أقدم عليه بدافع الحنق أو ربما بدافع غريزى لكى يفعل شيئا ، فقد أمسك بالجريدة التى على ركبتيه

وألقى بها الى الارض في عنف وصاح وهو ينظر الى أمه : ليس فيما تقول أى ذرة من الحقيقة .. هذه كذبة وقحة .

صاحت كارلا وهى تصفق بيديها : مرحى ! .. هذه هى الحقيقة .. اننا نتنفس أخيراً .

وكما لو أن شخصا فتح الشباك واندفع منه الهواء البارد ودخل الصالون فقد تبادل الجميع النظر مذهولين ، وكان ليو أول من تمالك نفسه اذ قال يخاطب ميشيل :

ــ انك مخطىء ، وأنت لم تصغ جيداً .

أثارت هذه الكذبة الفتى ، فاضطجع فى مقعده الى الخلف وقهقه ثم قال : آه .. آه .. يا لك من كاذب .

امتقع وجه مارى جريس ، وكتمت كارلا نفسها فى حين صاح ليو وهو يهوى بقبضته على المائدة : هذا كثير .

ولكنه لم يقف ، واكتفى بأن حدج ميشيل بنظرة فاحصة وأردف يقول :

ــ لم أكن أعرف انك مشاكس هكذا ... واذا استمررت فسأضطر الى أن أعرك أذنيك .

كان لهذه العبـــارة الاخيرة التى نطق ليو بها أشد الوقع على ميشيل . كانت حدته قد هدأت وانفثأ غضبه ، ولكنه حين سمع تهديد ليو تملكه الخوف وخشى على أذنيه فأطبق بيديه على منفضة من الرخام وقذفها فى شىء من اللين . ورأى أمه تضم يديها وسمعها تصرخ « أيها المجنون » واضطربت كارلا ، وأدرك الشاب ان قذيفته أخطأت هدفها ، فبدلا من أن تصيب ليو أصابت أمه فى كتفها .

ونهض فى حركة خرقاء واقترب من الاريكة التى تمددت ضحيته فوقها . كانت مارى جريس قد أطبقت عينيها صدفة واتفاقا غير واثقة من الموقف الذى يجب أن تتخذه ، وراحت تتأوه من لحظــة لأخرى ، ولكن كان واضحا تماما أنها لا تحس بأى ألم وان الاغماء كان خياليا تماما .

انحنى ميشيل فوق الأريكة فى نفس الوقت مع الآخرين . كان من الممكن ان يثير هذا المنظر ألمه وحزنه ولكنه لم يشعر بأى ندم ، وانما خامره احساس لم يستطع ان يقصيه عنه وهو سخافة هذا الموقف ، وراح يقول عبثا « انها أمى ، وقد ضربتها .. وأصبتها ، وكان يمكن أن تموت » . وعبثا حاول أن يبحث فى نفسه عن قليل من الحب

وقليل من الرثاء لهذه المرأة الجامدة الضالعة في الخطأ ، فقد بقي ذهنه خاملا . وانحنى ونظر الى امه . كانت قد رفعت ذراعا وهنا دون أن تغير من وضعها ودون أن تفتح عينيها . وفكت بعض أزرار ثوبها لكى تكشف المنطقة المصابة . وظهر الكتف ، عاريا وسمينا ولكن دون أى أثر للكدمات ودون أية حمرة أو ازرقاق . ومع ذلك فان الاصابع غير الراضية ظلت تجذب القماش معرية الذراع وكاشفة عن الابط الذى ظهر بأكمله حتى بداية الصدر . وبدا كأن هذه الأصابع الفاجرة تجرى وراء غرض آخر ، بعيد كل البعد عن اظهار جرح ما ... كانت تقوم بالحرى بعملية تعرية .

والواقع انها كانت تقوم بهذا العمل استدرارا لعطف عشيقها ولالانة قلبه . كانت تفكر « سيرانى جريحة ، فاقدة الرشد ، نصف عارية ، وسيتذكر اننى ارتميت أمامه وتلقيت القذيفة بدلا منه ، ولن يسعه عندئذ الا أن يشعر نحوى بامتنان كبير » . ورأت ليو بعين الخيال ، يأخذها بين ذراعيه ويهزها ويهدهدها ويدعوها باسمها ويستبد به القلق وهو يراها لا تعود الى رشدها .. وستفتح عينيها عندئذ بهدوء ، وستكون نظرتها الأولى لعشيقها ، وكذلك ابتسامتها الاولى . ولكن الأمر جاء على عكس ما تتمنى ، فلم يأخذها ليو بين ذراعيه ولم يهدهدها أو يدعوها باسمها وانما على العكس من ذلك قال :

— لعل من الأوفق ان أخرج وانتظر فى البهو .

تلقت مارى جريس هذا القول كما لو كان ولو ان الماء انسكب فوق ذراعها العارى ففتحت عينيها واعتدلت فى جلستها ورددت البصر حولها . رأت ميشيل ينظر اليها بعين عابسة وبدا كأن احساسه بالندم امتزج باحساس آخر . وكانت كارلا تحاول اخفاء الكتف العارى . ولم يكن ليو واقفا بجوارها ، وانما كان قد التقط المنفضة وراح يزنها بين يديه . وفجأة تحول الى ميشيل وقال له :

— لك كل تهانى يا صديقى ... انك أقدمت على عمل .

وقاطعته الأم عندئذ فقالت فى صوت حاد مألوف : أرجوك يا ميروميس .. أتوسل اليك . لا تلمسه ولا تعنفه . لا تقل له أى شيء .. انه صبى ، لا يدرى ما يفعل .

نظر ليو اليها طويلا ثم قال : انه لم يفعل بى شيئا ، ولكن يؤسفنى أنه أصابك بالمنفضة فى كتفك .

وضحك ضحكة باردة زائفة ورقيقة . وألقى الى كارلا نظرة كمن

لو كان يطلب موافقتها . وأخيرا تناول معطفه ، وساعدته الأم على ارتدائه وهي تقول في لهجة متواضعة آمرة ، وقد خشيت أن يتذرع بهذا العمل الطائش ويقطع علاقته بها .

ــ انه صبي ، وثق ان مثل هذا العمل لن يحدث ثانية . سأتدبر الأمر مع ميشيل ، واذا كان ولابد فسوف أتصرف .

قال ليو : لا بأس . هناك أمور أهم من هذا بكثير .

وطبع قبلة على يد ماري جريس ثم أردف يقول وهو يحدق في عيني كارلا مليا :الى الملتقى ... قريبا .

وامتقع لون الفتاة ، وبحركة بطيئة مستسلمة أدارت أكرة الباب .

وانفتح الباب في عنف وانصفق بالجدار كما لو ان أحدا من الخارج كان ينتظر هذه الفرصة لكي يندفع الى الداخل . وصاحت الأم تقول

ــ أوه ... ما هذا البرد ؟ .. اغلقي الباب .

ولكن لم يتحرك احد ، وراح الجميع ينظرون في غباء إلى الرياح العاصفة الهوجاء ، التي تلفح وجوههم . و انفتح الباب الآخر في البهو وامتلأ المكان عندئذ باعصار شديد اندفع نحـــــو السلم ، وراحت الأبواب ، من أعلا البيت الى أسفله ، تصطفق ، واهتزت الفيللا كلها ، وخيل للجميع انها ستنفصل عن الأرض وتدور كنحلة مجنونة وترتفع الى قمة السحب المتألقة .

وقال ليو يسأل ماري جريس : وكانت تحاول اغلاق الباب : ماذا نفعل الآن ؟

ــ فلننتظر .

ولزم الثلاثة الصمت . وراحت ماري جريس ترمي عشيقها بنظرات عادية مريرة ، فما هي الا لحظات ويختفي ليو في جوف الليل الممطر تاركا اياها في البيت البارد وفي فراشها المقفر ... اين يذهب ؟ .. انه لن يذهب الى بيته طبعا ، وانما سيذهب الى بيت ليزا بدون شك .. ان ليزا تنتظره منذ وقت طويل . سوف يستمتعان الليلة معا بكل تأكيد .. ومن يدري لعلهما يهزآن بها .

وتمتمت في محاولة أخيرة وهي تقف بين عشيقها والباب :

ــ الا تسمع صوت المطر ؟ .. أليس من الاوفق أن تنتظر لحظة اخرى ؟

اجاب ليو وهو يزرر معطفه : هو مطر عادي ولن يعوقني عن العودة الى البيت .

وللمرة الثانية ، طبع قبلة على يد ماري جريس المقهورة ثم فتش عن قفازيه في أحد جيوبه ، وتقدم خطوة نحو الباب وهو يقول : الى اللقاء يا كارلا .

وضغط على اليد التي بسطتها له الفتاة وابتسم ثم خرج .

وبقيت المرأتان في البهو وحدهما ، وكانت الأم لا تفتأ تقول : « يا الهي ! .. ما هذا البرد القارس ! » وتراخت عضلات وجهها ، وبدا كأنها ستنهار على الارض ، وشردت عيناها وارتسم على وجهها المصبوغ حزن عميق وارتجفت شفتاها وهي تقول أخيرا : انني ذاهبة الى الفراش .

واذا ألفت كارلا نفســـها مضت ووقفت تحت المصباح ، وتركت شيئا في يدها .. رسالة صغيرة كان ليو قد دسها بين أصابعها وهو يشد على يدها . وكان هذا نصها « سأنتظرك بالسيارة بعــد ساعة ، عند باب الحديقة » وتحت هذه العبارة توقيع ليو .

ومضت نحو السلم ، حائرة مترددة وهي تقول : بعد ساعة ... سأخرج بعد ساعة . ووقفت لحظة ونظرت حولها في البهو . كان يخيم عليه صمت تام . بعد ساعة ستكون أمها وميشيل قد راحا في سبات عميق . وصعدت أخيرا ، ومضت الى غرفتها وادهشها على الفور هدوء الغرفة ودفؤها . كان كل شيء في مكانه . وكان مصباح الأباجورة مضاء وقميصها الرقيق ينتظرها فــوق الفراش بأغطيته الدافئة . كان كل شيء يدعوها الى النوم والاستجمام وما عليها الا أن تنضو عنها ثيابها وتندس تحت الأغطية .

أوحى اليها منظر الفراش وصوت المطر برغبة كبيرة في الأمان والراحة ، أو لعل ذلك كان راجعا الى الارهاق الذي لقيته أثناء النهار . مهما يكن فقد أحست بالجبن يسري في كيانها . وتقزز كبير أمام المغامرة التي ستقدم عليها بحيث تملكها الخوف من نفسها وقالت : لا بأس من النوم والراحة ... ولكن بعد ذلك ؟ .. سأجد نفسي صباح الغد في نفس النقطة ، والحياة الجديدة اذن ؟ .. لا ... لن يكون هذا .

ومشت الى دولابها ذي المرايا ونظرت الى نفســـها وهي تبتعد وتقترب بالتناوب من صورتها . ولاحظت بين وجنتيها الحمراوين وحدقتيها البراقتين هالة سوداء عميقة أرقتها ، وأولت ظهرها للمرآة ،

ومشت بضع خطوات وجلست فوق الفراش وعقدت ساقيها وراحت تفكر .
ولم تكن ترى فى وضعها هذا غير السقف . وكانت الاصوات الوحيدة التى تتناهى الى اذنيها هى أصوات الليلة العاصفة . ولم تلبث ان أغمضت عينيها وهى تكرر لنفسها انه لابد لها من أن تنهض وأن تخرج ، واستسلمت لنوع من الخدر المشحون بالخوف والريبة. وازداد هذا الخدر شيئا فشيئا ولم تلبث ان فقدت الوعى وغلبها النوم .
ولكنه كان ثوبا غريبا خاليا من الأحلام ، خدع الفتاة فى مدته ، ففجأة ، وبدون أى سبب استيقظت وقد تجمدت أطرافها من البرد وهى لا تستطيع أن تأخذ نفسها . وفكرت فى فزع « اننى نمت » وهبت من فراشها وراحت تنظر حولها فى الغرفة المضاءة . من يدرى كم الساعة الآن ؟ أهى الثانية أم الثالثة ؟ لا ريب ان ليو قد انصرف ... ولا ريب انه ظل ينتظرها ثم عاد أخيرا الى بيته .
وأسرعت الى المنبه الموضوع فوق طاولة الزينة فاذا بها لم تنم غير ثلاثة أرباع الساعة ... فقد كانت عقارب الساعة تشير الى الثانية عشر الا الربع . ولم تصدق ذلك . لا ريب ان المنبه قد توقف ، ورفعته الى أذنها فاذا به يمشى على ما يرام .. لا يزال هناك متسع من الوقت لكى تذهب الى ليو .. ودون أن تدرى السبب أحست تقريبا بخيبة أمل ، وأعادت المنبه الى مكانه .
ولكن خامرها شك آخر . متى وأين تلتقى بليو ؟ وتذكرت هذه الكلمات « بعد ساعة » ولم تنس أنه سيكون موجودا فى سيارته أمام باب الحديقة . ولكنها لم تكن واثقة تماما . وتذكرت الرسالة عندئذ فنظرت فى الغرفة حولها تبحث عنها . ولكنها لم تجدها فى أى مكان ، وراحت تجرى فى أنحاء الغرفة وهى ترى كل شىء كيفما اتفق وتفتش الأدراج . ولكنها لم تجد شيئا .. وفيما هى كذلك دقت الساعة معلنة انتصاف الليل فانتفضت وتذكرت انه كتب انه سينتظرها عند باب الحديقة فأخذت معطف الواقى من المطر واسرعت بالخروج .
وفتحت باب الحديقة ، ويقع خلف البيت ، وتقدمت خطوة الى الأمام ، وما كادت تفعل حتى رأت سيارة ليو تقترب منها .
وانطلقت بهما السيارة تقطع الشوارع تحت سيل الأمطار .

وتوقفت بعد نحو عشر دقائق ، وهبط ليو وهو يقول « انتظريني هنا » . ورأته من خلال زجاج النافذة المقبل يفتح شيئا أسود أشبه بالباب ويختفي في ظلام الحديقة . ولم تلبث ان سمعت صوت باب حديدى يفتح ثم ظهر الرجل وساق السيارة دون أن يحفل بها هى ، ودخل الجاراج . وهبطا منها معا ثم خرجا وأغلق الرجل الباب الحديدى خلفه .

وكان هناك مصباح شديد مستدير يضيىء ، على اليمين ، باب بدرجاته الرخامية الاربع . وفتح ليو الباب ودفع كارلا الى الداخل . وعلى النقيض من الحديقة المظلمة كان بهو البيت يسطح بالنور . وكان المصعد أمامهما ولكنهما آثرا الصعود على أقدامهما .

وعندما بلغا الطابق الأول تناهى اليهما صوت عزف مكتوم مع دبيب أقدام يتخلله صوت حديث مرح . وقالت كارلا وهى تتكلف الابتسام وتعتمد على الدرابزين .

— انهم يرقصون خلف الباب . من الذى يسكن هنا !

أجاب ليو وهو ينحني لكي يفحص اللوحة النحاسية المثبتة بالباب : فلنر من .. آه .. انه الدكتور اينا مورتى .

واستطرد يقول لكي يطرب كارلا ويسرى عن نفسه : ان الدكتور وزوجته وأولاده يستقبلون نخبـة من الأصـدقاء ينتمون الى خيرة المجتمع .

ودخل المسكن بالدور الثانى حيث تخلص ليو من قبعته ومعطفه ثم ساعد كارلا في خلع معطفها . وكانت الردهة واسعة بيضاء اللون في آخرها نافذة تطل على المنور ، والى اليمين والى اليسار ثلاثة أبواب . وانتقلا الى الصالون . وقال ليو وهو يشير الى اريكة تغطيها الوسائد والفراء : فلنجلس هنا .

وجلسا . كانت هناك اباجورة حمراء فوق طاولة صغيرة عكست نورها عليها حتى الصدر ، أما راساهما فقد بقيتا فى العتمة مع اعلا الغرفة . ومرت بهما لحظة لم ينطقا فيها بكلمة ، وكانت كارلا تنظر حولها فى غير فضول . وكانت عيناها تحط تارة على زجاجة الشراب الموضوعة فوق المائدة وأخرى على الجدران ، ولكنها كانت قلقة في الواقع ، تنتظر كلمة أو اشارة من ليو . وكان ليو يتأملها . وأخيرا قال :

— حسنا يا عزيزتى . لم لا تقولين شيئا . بل انك لا تنظرين الى »

هيا ، قليلا من الشجاعة . فيم تفكرين . اذا كنت ترغبين فى شيء فاخبريني بلا كلفة فأنت فى بيتك .
ومد يده وداعب وجهها بأنامله وهو يقول مستطردا : لا اظنك نادمة على مجيئك ؟
اجابت : كلا . كلا . اننى جد مسرورة . ولكن ... يجب أن أعود .
قال ليو وهو واثق جدا من نفســه : تعودى ... تعودى .
وازداد اقترابا منها ، وطوقها بذراعيه ، وجذب رأسها اليه . وتبادلا قبلة ثم افترقا .
وقال لها وهو يشير الى ركبتيه : تعالى واجلس هنا .
وأطاعته دون أى اعتراض . وأتت وهى تجلس بحركة كشفت من ساقيها فلم تشد جونلتها ، واقتنع ليو عندئذ انه انتصر انتصارا كليا .
وقالت وهى تشير الى الباب الآخر بالصالون : الى أين يؤدى هذا الباب ؟
أجاب وهو يتأملها فى اهتمام : الى غرفة النوم .
وعاد فقبلها من جديد ثم قال ، ولكن دعك من كل هذا واصغى الى .. قولى لى ، هل تحبيننى ؟
سألته بطرف شفتيها وهى تحدق فيه بعينيها الجادتين : وانت .
ــ انا ؟ .. وهل انت بحاجة الى جواب ؟ اننى احبك طبعا والا ما أقدمت على ما فعلت .
واحتواها بين ذراعيه واستطرد يقول : اننى احبك بكل تأكيد ، احبك كثيرا وويل لمن يلمسك ، واننى اشتهيك ايضــا واريدك لى كلية .. أريد هاتين الشفتين وهذين الذراعين وهاتين الكتفين الجميلين وكل هذا الجسد الذى يتدفق انوثة ... هذا الجسد الحلو الفاتن الذى سيصيبنى بالجنون .
وتفجر بالرغبة وارتمى فوق كارلا وطوقها بكل قوته، غارقةفى أفكارها لحظ الرجل شيئا غريبا ، فقد رأى بين نهديها قطعة من الورق مطوية أربع طيات فمد يده مبتسما ، وقال فى فضول ، دون أى غرض : ما هذا ؟
تظاهرت كارلا بالذعر وقالت : ماذا ؟
هذه الدرقة التى تخفينها فى صدرك بهذه العناية الكبيرة .

خفضت رأسها ورفعت يدها الى صدرها . نعم ، ان ليو على حق ، فهناك رسالة مطوية ومخبوءة فى صدرها ، ولكنها لم تذكر أنها وضعتها فى ذلك المكان ، ولم تستطع أن تعرف كنهها . ورفعت عينيها حائرة ، ونظرت الى عشيقها فقال :

ـ هذا هو المكان الذى تضع فيه كل الفتيات أسرارهن . ولكن لنر ما هو هذا السر الذى تخفيه يا كارلا .

صاحت فجأة وهى تدفعه عنها بيديها دون أن تدرى لماذا تفعل ذلك : كلا . اننى لا أسمح لك بذلك .

اختفت ابتسامة الرجل وبدا الاهتمام فى عينيه وقال : حسنا .. خذيها أنت نفسك واقرئيها بصوت عال .

ساد الصمت . ونظرت كارلا اليه حائرة مرتبكة . احست بأن قصة الورقة بدات تثير غضبه ، ورأت عينيه تقسوان ، واحست بالعذاب يكويها لأنها لم تستطع أن تتذكر مضمون الرسالة التى تلمسها بأصابعها ، ولكنها تركتها مكانها باحساس من الخوف من ناحية لأنها خشيت ان تتضمن سرا لا يجب اطلاع احد عليه ، ولأنها ارادت ، من ناحية أخرى ، ان ترى كيف يتصرف ليو تحت سلطان الغيرة .

وقالت أخيرا فى تحد ، وهى تضع يديها على ركبتيها :

ـ وماذا انت صانع اذا رفضت أن أريك هذه الرسالة ؟

صاح ليو فى اهتمام وقلق : آه . هى رسالة اذن ؟ ..

وممن تكون ؟ لاريب انها من شخص عزيز عليك ما دمت تخفينها بكل هذه العناية .

ـ هذا ما لن اقوله لك ابدا .

نظر اليها بعينين فاحصتين آمرتين ، وقال وهو يجز على أسنانه : اصغى الى يا كارلا . أريد أن أعرف من الذى أرسل لك هذه الرسالة . هل هى من رجل ؟

اجابت فى صوت ساخر : ربما .

وحرصت على أن تضع يدها فوق صدرها لكى تمنع أية حركة مفاجئة من ليو ، ورفعت جبينها الى السقف وقد أحست بالاعياء ، وكانت تود لو أن تنبذ عنها هذا السر الذى لا وجود له وان تنام . وقال ليو وهو يغتصب ضحكة .

ـ اننى فهمت .. فهمت .. هى رسالة من أحد العشاق .. عاشق صغير .

أجابت دون أن تخفض رأسها : عاشق صغير ؟ .. بل هى من رجل .
واستطردت فى صوت اكثر خفوتا وهى تنقر بأطراف اصابعها على صدرها وقد أثملها حزن لا نهاية له : رجـل ... لو تدرى كم أحبه !
وأطبقت عينيها نصف أطباقة وقد تندتا بالدموع ، وخفق قلبها ، وفكرت فى برود : والمصيبة هى ان هذا الرجل لا وجود له .
وعصف الغضب بليو .. هذا النقاء وهذا الطهر انما همـا مظهر خادع ، وهذا الظفر قد سبقه غيره اليه .. وتغيرت كارلا الضـعيفة الطاهرة الى فتاة أخرى خبيرة بالحب لا تتردد فى الذهاب الى الرجال فى بيوتهم . وقال وقد جرح فى كرامته :
ــ انا المخطىء ... كان يجب أن أعرف انها ليست المرة الأولى .
تحولت اليه على الفور وسألته : ليست المرة الأولى ؟ ماذا تعنى ؟
ــ أنت تعرفين جيدا ما أعنيه ... ليست المرة الاولى التى تمضين فيها الى بيت رجل .
اوضطرمت وجنتا كارلا ونظرت الى ليو وهى نهمة بين الرغبة فى الاحتجاج والكشف عن الحقيقة ، وبين اطالة الخيال . واختارت الطريقة الثانية أخيرا وقالت :
ــ وماذا لو صح ذلك .
ــ اذن فالأمر صحيح .
اجابت وقد اصطبغ لونها من جديد : نعم .
احتقن وجهه لفرط الغضب ، وامسك كارلا ذراعها وقـال : هل تعرفين ماذا تكونين ؟ .. عاهرة .. واتيت الى بيتى على الرغم من ذلك .
قالت كارلا فى هدوء : هذه مسألة اخرى .
فكر : قذرة .. سافلة .. ولم تزد عن الرابعة والعشرين من عمرها .
وسألها : هل استطيع أن أعرف على الأقل من هو هذا السيد ؟
أجابت وهى تبذل جهدها لكى تصف تلك الصورة الخيالية التى تميل روحها اليها : انه رجل طويل القامة .. له شعر أحمر وجبينى هادىء جميل ووجه بيضاوى ، وهو يحبنى كثيرا ، وأنا أيضا أحبه كثيرا . وقد التقينا هنا منذ سنتين ، ومنذ ذلك الوقت ونحن نلتقى دائما .. وهو ليس مثلك .. انه قبل كل شىء رجل كريم .. أعنى

انه يفهمني قبل أن أتكلم ، وهو يختلف عن غيره من الرجال . ثم انه الوحيد الذى أحبني حقا .

وأمسكت عن الكلام وقد ازداد تأثرها وأحست بشيء من الحماقة امام الكذبة التى أقدمت عليها . وقال ليو : اعطنى هذه الرسالة .

وامسكها من خصرها وحاول ان يأخذ الرسالة من صدرها ، ولكنها قاومته وتخلصت منه ، وأسرعت الى آخر الغرفة وهى تقول :

ـ لا شيء يؤخذ بالقوة .. ألا تعرف بداخلها .

وفتحت باب غرفة النوم واختفت بداخلها .

استولى على ليو غضب لا حد له . واندفع نحو الباب المغلق . وكانت كارلا ادارت المفتاح من الناحية الأخرى فلم يستطع الدخول . وصاح وقد اشتد غضبه وهياجه ، وراح يضرب الباب بقبضتيه : أفتحي .. افتحى .. انك غبية .

ولكنها لم ترد عليه . وخطر له انه يستطيع دخول غرفته عن طريق غرفة الحمام فأسرع اليها . ووجد الباب الزجاجي مواربا . وبحث عن كارلا فى نصف العتمة التى تخيم على الغرفة ولكنه لم يرها وأدار النور ولكن الغرفة كانت شاغرة ، وتساءل : « أين ذهبت بحق الشيطان » . وهم بأن يخرج لكى يبحث عن الهاربة فى الغرف الاخرى عندما اكتشفها فجأة وقد تكومت خلف باب غرفة الحمام .

ومشى اليها قدما وأخذها من يدها وجذبها من مخبئها فى عنف وقال : أعطنى الرسالة .

ووقفا ، كل منهما أمام الآخر . أفزعتها مجرد فكرة ان ليو سيتحقق من كذبتها ، وأحست بالمهانة . كانت تعرف ان هذه الورقة لا يمكن أن تكون ذات اهمية ، وانها قد تكون بطاقة زيارة او اى شيء آخر . وآلمها ان يكتشف ليو غرور احلامها وأوهامها ، وقالت فى محاولة أخيرة فى صوت نائح .

ـ ولكن ليس هذا عدلا .

صاح بها الرجل للمرة الثانية : اعطنى الرسالة .

ادركت انه لا فائدة من المقاومة ، ولم يسعها الا أن ترفع يدها الى صدرها فتأخذ الورقة وتناولها لليو قائلة : ها هو .

أخذها ليو ، ولكنه قبل أن يفتحها ، نظر الى المذنبة الشابة ، وعندئذ ودون أن تدرى لماذا ، أحست بخجل كبير وتوترت عضلات وجهها

فجأة ، فارتمت فوق الفراش دافنة رأسها بين يديها . ولم تدر لماذا فعلت ذلك ، وفجأة سمعت ضحكة عالية فرفعت رأسها واذا بليو اقترب منها و هو يقول :

-و لكنها رسالتى ... الرسالة كانت سخيفة ، فمـــا كان في مقدور أي أحد أن يرسل اليها أية كلمة . ولم يكن هناك من يحبها . مع ذلك فقد بدا لها أن من الظلم أن يكون الأمر كذلك ، وان لا تقع معجزة تحول هذه الرسالة الحمقاء الى رسالة حب . وامتقع لونها وقالت فى خيبة أمل مرير .

— هى رسالتك طبعا . وماذا كنت تريد أن تكون ؟

قال الرجل وهو يجلس بجوارها فوق الفراش : ذلك الرجل الطويل القامة ذو الشعر الأسمر والجبين الهادىء الجميل هو أنا اذن ؟ .. أنا ذلك الرجل الذى تحبينه اذن ؟

نظرت اليه مليا كما لو كانت تريد أن ترى فى ذلك الوجه الأحمر الذى يشع بالسرور والرضا الصورة التى تخيلتها وقالت فى تردد :

— ألم تكن قد فهمت ذلك ياليو ؟

صاح : الحق اننى لم أفــكر فى نفسى . وأخــذها من خصرها وأردف يقول) لا تأبى بما قلت ... كأننى لم أنطق بشىء منه .

وانحنى فوقها وراح يلثم كتفيها وجيدها ووجنتيها وصدرها . أثاره جسدها من جديد . ورد له وهمه شهوته مرة أخرى وتمتم يقول :

— أيتها الكاذبة الصغيرة .. أيتها الحبيبة الصغيرة الكاذبة .

ثم أردف يقول بلهجة الجد : والآن .. الا تظنين ان الوقت قـد حان للنوم ؟ .. اننى أشعر بحاجة شديدة الى النوم .

ضحكت كارلا وأومأت ، فى خجل ، بالايجاب ، فقال : قليل من الشجاعة اذن ... ان بيجامتك هنا ، فوق الوسادة ، وستجدين كل ما تحتاجين اليه من أدوات الزينة فوق الطاولة ..

ورماها بابتسامة وكله ثقة ، وربت بيده على كتفها ومضى الى غرفة الحمام .

الفصل التاسع

كان الفراش العريض يشغل ركنا من الغرفة فاستلقت كارلا فوقه ورددت البصر حولها . رأت على ضوء الأباجورة الباهت دولابين ، احدهما على اليمين بجوار باب الصالون والآخر على اليسار ، ولم تكن هناك مفروشات أخرى ، فكل الجدار الأمامى كانت تشغله نافذة منخفضة مستطيلة ذات ستائر بيضاء ، وكانت مغلقة ، وكان باب الصالون مغلقا هو الآخر ، وكذلك باب غرفة الحمام . وخفضت عينيها فرأت أمام الفراش جلد دب أبيض كث الشعر له عينان من السلولويد الأصفر وفم مفتوح مملوء بالأسنان الحادة . وكانت قوائمه وذيله قد استحالت الى لا شيء تقريبا وتعطى الايحاء بأن الدب قد هرسه مرداس لم يترك منه شيئا صحيحا غير رأسه الضارية . ونهضت كارلا فى حركة آلية ومشت بضع خطوات فى الغرفة ، ورأت من خلال زجاج باب غرفة الحمام ليو يروح ويجيء ، وسمعت صوت انسياب الماء من الدش ، وعندئذ عادت الى الفراش وبدأت تنضو عنها ثيابها .

واطبقت عينيها المتعبتين . لم تقض فى هذا الفراش أكثر من دقيقة ، ومع ذلك خيل لها انه مضت عليها ساعة ، وراحت تقول لماذا لا يأتى ليو ؟ لن أستدير الا بعد أن يطفىء النور ، فلا أريد أن أراه .

وفتح باب غرفة الحمام فى هذه اللحظة ، ورأت صورة ليو على الجدار فتحولت اليه ، ورأته منحنيا فوقها . ورفع الغطاء وتمدد بجوارها ، ولكنها كانت قد استطاعت أن تتحقق من انه لم يكن مرتديا البيجاما وانما جلبابا خفيفا ، وانه حلق ذقنه وتضوع .

وعندما استيقظت كان النهار يوشك ان يطلع ، وجلست فى الفراش ، وعرفت على الفور المكان الموجودة فيه ، ولم تشعر بأية دهشة وهى ترتدى انها قد ارتدت البيجامة التى رفضت أن ترتديها

فى الليلة الماضية ، وان كانت لم تتذكر متى ارتدتهـا بالضبط وخيل لها أنها اعتادت الصحو منذ سنوات بهذه الطريقة فى فراش عشيقها ، وبقيت بضع لحظات جامدة لا تتحرك ثم انحنت فوق الرجل وهزته من كتفه قائلة فى رفق عجيب :

— ليو ...

وكان الرجل قد سحب الغطاء حتى أذنيه ، وبدا غارقا فى سبات عميق . ولم يسمعها فى بادئ الأمر ، أو لعله تظـاهر بأنه لم يسمعها فى بادئ الأمر ، أو لعله تظاهر بأنه لم يسمعها ، وهزته كارلا مرة أخرى ، وعندئذ قال فى صوت ناعس : لماذا أيقظتنى ؟

قالت فى نفس اللهجة الرقيقة : الوقت متأخر ، ويجب ان أعود .

ومن غير أن ينطق بكلمة ، وبدون ان يأتى بحركة أخرى من جسده مد ليو ذراعه خارج الفراش ، وأدار مفتاح الاباجورة ثم قال محنقا من غير ان يلتفت : الساعة الخامسة والنصف ... أريد أن أعرف لماذا أيقظتنى .

عادت تقول : الوقت متأخر .

وتخطت جسد عشيقها فى حذر وجلست على حافة الفراش ، ولم يبد عليه انه لحظ ذلك . ولم يجبها بكلمة ما وأطبق عينيه ، وحسبته عاود النوم ، وبدأت ترتدى ثيابها دون أن تهتم به .

ولكنها ما كادت تنضو عنها البيجامة ، وتهم بأن تلبس قميصها حتى امسكها من خصرها وحاول أن يجذبها اليه قائلا وقد بدت الرغبة فى عينيه : كارلا ، لماذا ترحلين هكذا سريعا ؟ .. تعالى هنا ، عودى بجوار ليو .

قالت وهى تحـاول التخلص من قبضتـه : دعنى .. ان الوقت متأخر ... يجب أن انصرف .

ضحك وغمز بعينه وقال : مازال أمامنا كل ما نريد من الوقت .

استولى عليها الغضب على الفور وبدون سبب لأنه كان يجب أن تدرك طبعا ان عشيقها لابد أن تتملكه مثل هذه الرغبات ، وعادت تقول فى حدة : قلت لك دعنى .

وكان رد ليو الوحيد ان مد ذراعه الآخر وحاول أن يلقيها فىالفراش، ولكنها دفعته عنها فى قوة ، وتخلصت منه وجلست فوق المقعد وراحت ترتدى جوربها . وبعد أن فرغت منه القت نظرة الى ليو فرأت انه استدار الى الجدار وعاود النوم ففكرت : حسنا . ثم

كما تشاء .. أهذه هى حياتى الجديده ؟ .. هل هذا ممكن ؟

وفرغت من ارتداء ثيابها وهى تقلب هذه الافكار فى رأسها ، ثم انحنت فوق ليو وهزته قائلة : قم . حان الوقت لكى أنصرف .

أجاب : حسنا .

ومضت كارلا الى غرفة الحمام وهى واثقة انها ستجده مرتديا ثيابه عند عودتها . ووقفت أمام المرآة ومشطت شعرها وتجملت ، وعندما عادت كان ليو لا يزال راقدا فراحت تهزه من جديد وهى تقول : الوقت متأخر يا ليو .. يجب أن أنصرف .

جلس الرجل وهو يغالب النوم وقال : ماذا ؟ .. هل فرغت من ارتداء ثيابك هكذا سريعا ؟

ــ ولكن الوقت متأخر يا ليو .. ويجب أن ترافقنى الى البيت .

تثاءب وراح يشد شعره ويقول : آه . ولكننى أريد أن أنام ... انك لم تتركينى أنام فى هدوء وسلام طوال الليل ورحت تنادينى وتحدثيننى وتركلينى .. اننى أكاد أموت لحاجتى الى النوم .

كان يتكلم فى هدوء وهو يتحاشى النظر اليها . أما كارلا فراحت تنظر اليه فى اهتمام وهى تفكر فى غضب : « انه لا يريد أن ينهض لا لحاجته الى النوم طبعا ولكنه يتظاهر بذلك لأننى لم أطاوعه منذ لحظة » . وقالت فى رفق « اذا كنت تريد أن تنام فلا داعى لكل هذا الكلام » اننى أستطيع أن أعود وحدى .

نظر ليو اليها عندئذ مترددا وقال فى لهجة لينة : وحدك ... هذا لن يكون .. انك تقولين هذا الآن ، ولكنك لن تكفى عن توجيه اللوم لى ... فأنا أعرفك بما فيه الكفاية .. سأرافقك الى البيت .

ولزم الصمت وهز رأسه ولكنه لم يتحرك . وتبادلا النظر . وقالت كارلا فجأة : واذا أمرتك ان لا ترافقنى ؟

اذا أمرتنى ؟ كنت تريدنى منذ لحظة أن أرافقك ، والآن لا تريدنى ، ما هذه النزوات .

جلست على حافة الفراش بجوار عشيقها وقالت : ليس هناك أية نزوات ... ولكن خطر لى انك اذا رافقتنى فقد تعرضنى للشبهة ، اذ ربما يرانا البعض معا .. ولهذا فمن الاوفق أن أنصرف وحدى . اننى أعرف الطريق ، وسأكون فى البيت بعد عشر دقائق ... ويمكنك انت ان تعاود النوم .

ولزم كل منهما الصمت ... أحس ليو بعد تلك الرغبة الملحة

التى تملكته فجأة بحاجته الى النوم . وامعنته مجرد فكرة مغادرته الفراش والخروج ، ربما تحت المطر ، ثم انه كان يتعين عليه اخراج السيارة من الجاراج ، وابتسم ومد يده وداعب وجنة كارلا وقال

ـ الواقع انك فتاة باسلة ... أأستطيع حقا أن أتركك تنصرفين وحدك ؟

نهضت واقفة وقالت وقد أحنقتها لهجته : طبعا ، تستطيع . انني أتوسل اليك أن تفعل . هل لك أن تعطينى اجرة سـيارة الاجره ، اذ ليس معى نقود .

ـ انك ترين على الأقل اننى اصررت على موافقتك وانه يستحيل على ان ازداد اصرارا . واذا كنت لا أرافقك الآن فليس ذلك لأننى أريد أن أنام ، وانما لكى لا أعرضك للشبهة ، كما قلت منـذ لحظة ، فلا تأتى بعد ذلك وتلومينني .

وانحنى ليو ومد يده الى سترته ، وكان قد وضعها فوق احد المقاعد وأخرج من جيبها حفنة من النقود وضعتها كارلا فى جيبها وهى تحدث نفسها قائلة : « اننى بدأت أكتسب قوت يومى » . ثم اقتربا من الفراش وانحنت قائلة : ألى الملتقى يا حبيبى .

وتعانقا ، وصاح ليو : اغلقى الباب خلفك .

ورآها تخرج من حذر وأرهف أذنيه لحظة لكى يسمع الباب وهو يغلق ، ولكنه لم يسمع أى صوت فاطفأ الاباجورة واستدار نحو الجدار ونام .

الفصل العاشر

بينما كانت أشعة الشمس تتسلل فى الغرفة المشوشة والنور ينساب اليها من كل مكان كان ليو يرى فى منامه كارلا وماري جريس وميشيل . وكانت صورهم قد بدأت تبهت وتتباعد كما لو ان نور النهار بدأ يزيل الوانها ، ومع ذلك ، فقد راح الراقد يبذل جهده للابقاء عليها ويقول دون وعى : « لا اريد أن أستيقظ .. لا أريد أن استيقظ » . ولكن صوتا شاعريا كان يأتيه من بعيد ويقول فى عتاب خفيف : « ليو .. ليو .. استيقظ » . وخامره احساس بأن ذلك ليس حلما ، فأطبق عينيه فى اصرار وتكوم تحت الغطاء وهو يأمل أن يكون ذلك الاحساس الدخيل مؤقتا ، وأن يستطيع الاستغراق فى شبكة النوم الهادىء اللذيذ . ولكن النداءات تكررت وازدادت وضوحا ، ولم تلبث أن حطت يد على كتفه وراحت تهزه فلم يسعه الا أن يفتح عينيه واذا به أمام ماري جريس .

نظر اليها مشدوها وقال : انت هنا ؟ ... ولكن كيف دخلت ؟

ـ جئت لكى أبلغك رسالة . وقد وجدت الباب مفتوحا فدخلت .

وعاد ينظر اليها فى ذهول وفكر : « الباب مفتوح ؟ .. آه .. هى كارلا دون شك .. وتثاءب ثم تمطى دون أية مراعاة وقال :

ـ وما هى تلك الرسالة ؟

جلست ماري جريس فوق الفراش وقالت : أردت أن اتصل بك تليفونيا ، ولكن مصلحة التليفونات قطعت الحرارة لاننا لم ندفع الاشتراك منذ شهرين . وقد وعدتنى أنت أمس أن نلتقى غدا ولكننى تذكرت اننى مرتبطة بموعد فلم لا نلتقى بعد ظهر اليوم ؟

أخذ ليو ركبتيه بين ذراعه وقال : اليوم .. بعد الظهر ؟

راق له هذا الاقتراح ، ورأى انه اذا تخلص من ماري جريس ومن مضايقاتها اليوم فانه يستطيع ان يستمتع بحريته مع كارلا طوال الاسبوع ، ولكنه ، منعا لكل مفاجأة لم يشأ أن يعدها بشىء فقال :

ـ اصغى الى ... ساذهب لزيارتك بعد الغداء ... وسأرى عندئذ .

وساد صمت طويل . وبدا الشـــك وعدم الارتياح على مارى جريس ، وراحت تنظر اليه وتفحص فى اهتمام تلك الغرفة التى تعرفها جيدا ووجه عشيقها . خيل لهـــا أن ليو شاحب اللون ، مرهق . وفكرت : انه قضى الليلة مع ليزا ، وليس هناك أى شك فى هذا ، ولعل ليزا كانت هنا منذ لحظات » واستولى عليها حقد طاغ ورمت عشيقها بنظرة قاتلة حافلة باللوم وقالت :

ـ لو كنت مكانك لما تصرفت كمـــا لو كنت فى العشرين من عمرى .

سألها ليو مشدوها : ماذا تعنين ؟

ـ أعنى انك تتقدم فى السن ، وانك لا تدرى الحماقات التى لا ريب انك أقدمت عليها الليلة .. لم يعد له الحق فى الاقدام عليها.

واردفت تقول وهى ترفع صوتها : ولكن انظر الى نفسك فى المرآة .. انظر الى هاتين العينين وهذا القناع لا لشىء الا بدافع الفضول .

قال ليو وقد احنقته تلك الاشارة المباشرة الى سنه : أنا أتقدم فى السن ؟ .. وأقدم على حماقات ؟ .. وما هى تلك الحماقات ؟

قالت الأم وهى تأتى باشارة من يدها .. اننى اعرف ما اقول .. بعد سنة أو سنتين على الاكثر سيدفعون بك فى عربة صغيرة ... نعم .. بل انك لن تستطيع المشى .

هز ليو كتفيه فى غضب وقال : اذا كنت قد أتيت للنطق بهـــذا الهذر فمن الأفضل أن تنصرفى (وألقى نظرة الى المنبه الذى فوق الطاولة واردف) الظهر ... ان لدى موعدا فى منتصف الواحدة .. انصرفى .. انصرفى حالا .

ووثب من الفراش وانتقل خفية ثم مضى الى النافذة ففتحها ، وامتلأت الغرفة بالنور ، وسألته مارى جريس من غير ان تنهض :

ـ ولكنك لا ترتدى المنامة التى اهديتك اياها فأين هى ؟ .. لعلك أهديتها الى أحدى صديقاتك .

مضى ليو الى غرفة الحمام دون أن يرد ، ونهضت مارى جريس وراحت تدور فى الغرفة فى شىء من الفضول والكسل وقالت :

ـ هدية أخرى أهديتها اليك ولا أراها .. وأعنى بها تلك الفازة الثمينة .. لعلك أهديتها الى صديقة أخرى .

ولا مجيب . ومن خلف الباب الزجاجى جاءها صوت انسياب الماء .. كان ليو يغتسل .

لم تعترف مارى جريس بالهزيمة ، وتابعت فحصها للغرفة وقد وهنت هزيمتها . كان كل شيء فى هذه الغرفة يعيد الى ذهنها ذكريات سعيدة ، وراحت تتنهد وهى تقارن بين تعاستها الحاضرة والأيام السعيدة الماضية . ورأت صورتها فوق الطاولة فاستردت شيئا من الثقة وفكرت : « الواقع انه لا يحب غيرى . عندما لا تسير أموره على ما يرام ويتعرض لمشكلة ما فانه يعود الى دائما . وسيعود الى حتما ... انه يمر بفترة من الفتور المؤقت » وكانت قد اشترت قبل قدومها باقة من زهور البنفسج وشبكتها فى صدرها ، وبدافع من الامتنان ، وبنية مبهمة فى أن تقوم بعمل رقيق ، وضعت هذه الزهور فى اناء صغير بجوار صورتها ثم مضت الى غرفة الحمام .

وكان ليو واقفا مرتديا منامته ويحلق ذقنه فخاطبته قائلة : سأنصرف الآن ، وبهذه المناسبة . اذا ما أتيت اليوم فتصرف كما لو انك لم ترنى ، وكما لو ان رسالتى قد وصلتك فحسب ... مفهوم ؟

وخرجت راضية من نفسها ، وهبطت السلم مسرعة واستقلت الترام الى وسط المدينة ، حيث تنتظرها ليزا منذ نحو عشرين دقيقة ، فى محل لبيع القبعات . وكانت ليزا تنتظرها فعلا ، فى مؤخرة المحل ، وهو مكان مزدان بالهدايا وبالقبعات الجديدة وكانت هناك امرأة شابة تتأمل نفسها فى اعجاب أمام احدى المرايا ، وأصوات تتحدث فى غرفة مجاورة . وما أن رأت ليزا مارى جريس حتى نهضت وأسرعت اليها قائلة :

ــ انني آسفة .. آسفة حقا .. ولكننى لا أستطيع البقاء معك ، فقد تأخرت ولابد لى من الانصراف .

رمتها الأم بنظرة متشككة وفكرت « يا لأنانية هذه المرأة ! انها الآن ، وقد فرغت من اختيار قبعتها تحاول أن تمنعنى من أن اختار بدورى » . وسألتها مترددة : وهل أبقى انا ؟

ــ افعلى ما يحلو لك .

وبسطت يدها لتودعها ، ولكن مارى جريس غيرت رأيها فجأة فقالت : كلا . انني ذاهبة معك . سأهتم باختيار القبعة فيما بعد ، وسأرافقك الآن الى الحدائق حيث نستطيع تبادل الحديث .

لم تنطق ليزا بشيء . وخرجت المرأتان الى الشارع ، ومشيتا

جنبا الى جنب ، وكانتا تتوقفان من وقت لآخر أمام فترينات المحلات تتأملان المعروضات . وكانت ماري جريس تشعر بالحزن والأسى أمام فترينات المجوهرات ، وقالت وهى تشير متنهدة الى عقد اللؤلؤ « كان عندى عقد شبيه بهذا » ونظرت ليزا الى العقد ولم تقل شيئا ، فقد ضاعت مجوهراتها هى الاخرى ، وفكرت « ولكن زوجى هو الذى أخذها معه ولم أضطر الى بيعها على الاقل لكى أعيش » .

وكانت ماري جريس قد تبعت صديقتها لكى تطلق العنان لشكوكها من ناحية ليو ، ونظرت الى ليزا وهى تحدث نفسها « انها كانت معه ليلة الأمس بالذات » وبدا لها ان هذا الافتراض صحيح لا يقبل الجدل . كان من الواضح لكل ذى عينين ان هناك شيئا بينهما . ونظرت اليها فاحصة ، ووجدت فيها فتنة جديدة ، ونوعا من الهناء الطبيعى لا يمكن تحديده . كان ذلك علامة على الحب ما فى ذلك شك . ان ليزا تحب ، وهناك من يبادلها هذا الحب . ولكن من ؟ لا شك انه ليو . انها كانت معه بالأمس بالذات . ووجدت فى عينى صديقتها الرطبتين ومنخريها المختلجين توكيدا لتقززها . كيف يمكن لأى رجل أن يحب مثل هذه المرأة ؟ إنني لا أستطيع أن ألمسها بأي حال من الأحوال فهي ليست امرأة ، و إنما بهيمة .
وتوترت أصابعها بغضا وكرها و هي تفكر في أن ليو قد لمس هذا الجسد وهذه الرأس وكل هذا الجسد و هذه الرأس و كل هذا الشيء المتأجج المغطى .

وانتقل بهما الحديث الى الحفلة الراقصة التي ستقام الليلة ، وقالت ماري جريس :

ــ ان ثوبى الأسبانى يتمشى تماما مع بشرتى ، وسأضع فى شعري مشطا كبيرا ، من تلك الامشاط الاندلسية .. فنحن مدعوون الليلة الى مائدة آل بيراردى . هل تأتين ؟

قالت ليزا وهى تخفض عينيها : انا ؟ .. ليس هناك من يرافقنى .

وامسكت وهى تنتظر رد صديقتها فى قلق . خطر لها ان ماري جريس تستطيع ان تدعوها . كانت ليزا تعرف آل بيراردى ، وكانت تمنى نفسها بالذهاب الى الحفلة حيث تلهو وتشرب ثم تطلب من الام ، عند العودة ، أن تترك لها ميشيل (فقد كانت تحب أن تعامله كما لو كان غلاما صغيرا) فيرافقها الى بيتها فى منتصف الليل ،

وتداعبه وتثيره . وسيستقلان عربة مقفلة طبعا ، مطفأة الأنوار . والمسافة طويلة ، والشوارع مظلمة . وسيجدان متسعا من الوقت للحديث والخلود الى الصمت . صفوة القول ، سيتفقان ، وعندما تقف بهما العربة أمام البيت ستدعوه للدخول لتناول كأس صغيرة من الشراب أو فنجان من القهوة ثم ...

وراق لها هذا البرنامج الذى لابد من وقوعه طبقا لسير الاحداث ، فان من المستحيل أن يرفض ميشيل مرافقتها ، ومن المستحيل أن لا يقبل الصعود معها الى مسكنها .

وتكلمت الأم فقالت : انك لا تفتقرين الى الاصدقاء ... ولن تجدى وسيلة لكى يصطحبك أحد .

قالت ليزا فى اصرارها على أن تدعوها مارى جريس : ليس لى أصدقاء غيرك .

ـ شكرا لك . هذه مكرمة منك .

ـ تقولين ان آل بيراردى أصحاب الدعوة ؟ .. ولكننى أعرفهم ، فقد كنت أصطاف معهم .

ـ آه ، حقا !

سألتها ليزا بسذاجة : ومن سيرافقكما .

أجابت مارى جريس فى حدة : ليو ... ولكنه سيجلس الى مائدة أخرى .

فكرت ليزا : لست أهتم بليو .

ثم أردفت تقول بعد صمت قصير : أود لو أن أحضر هذه الحفلة ، لا لشىء الا لكى أرى آل بيراردى .. فقد مضت مدة طويلة على لقائنا الأخير .. نحو سنتين على الاقل .

قالت مارى جريس فى عصبية ظاهرة وهى تدور بطرف مظلتها على حافة الرصيف : آه . لكى ترى آل بيراردى ؟ .. هل تظنين اننى لم أفهم ... انك انما تريدين ان ترى شخصا آخر أهتم أنا به .

ـ وفيم يهمك هذا ؟

قالت مارى جريس وهى تهز رأسها فى حزن : طبعا . لا يجب أن أحفل بهذا .. الواقع انك على حق ، فلا يجب أن أحفل اذا أنت سرقتنى أو قتلتنى . وكل هذا لا يقع الا لى أنا لأننى طيبة ورقيقة القلب .. لو أننى وطأتك بقدمى منذ أول لحظة لما حدث كل هذا .

ـ ما هذا القول يا مارى جريس ؟ .. ماذا دهاك ؟ .. هل جننت؟

كانتا تتمشيان وتتجادلان على الرصيف المقفر ، واستطردت مارى جريس تقول : نعم . اننى طيبة جدا ... وحين يخطر لى اننى أحسنت معاملتك ، وقدمت لك من الخير كل ما استطعت .. وهذا هو عرفانك بالجميل ! .. ورفعت عينيها الى السماء وتنهدت وهى تستطرد : آه ! .. ولكن صبرا .. ان فى هذا درسا لى .

ضحكت ليزا فى ازدراء وقالت : انت طيبة معى ؟ .. أنت !

وساد صمت ، ثم عادت الأم تقول وهى تبتعد عن صديقتها ، وتنظر أمامها كما لو كانت تخاطب شخصا ثالثا : ومهما يكن فاننى لا افهم كيف يستطيع المرء أن يحب بعض النساء .

— هذا ما لا أفهمه أنا أيضا .

امتقع وجه ليزا ، وارتجفت شفتاها . لماذا تبدى صديقتها كل هذه القسوة ؟ أنها لم تسىء اليها أبدا ، واذا كانت تقلق على ابنها بهذه الصورة فانها تسىء بذلك الى منافستها القديمة ، ففيم يهم مارى جريس اذا كانت تريد أن تذهب الى الحفلة الراقصة لكى تلتقى بميشيل ؟ ولما كانت هذه أول مرة يتجنى عليها فيها احد تقريبا فقد كان غضبها شديدا لأنها تحب ميشيل وميشيل يحبها .. كيف يستطيع المرء أن يجد فى مثل هذه القصة النقية الطاهرة مادة للاستياء والفضيحة ؟

واستطردت الأم تقول : وماذا حدث ليلة الأمس ؟ .. حسنا .. اننى أظن .. اننا لم نستطع احتجازه فى البيت ، فقد كان يغالب النوم ، وانصرف . ولكنك كنت تنتظرينه طبعا . هل تفهمين ما أقول ؟ .. يجب أن تخجلى من نفسك (ونظرت الى صديقتها من أعلا رأسها الى أخمص قدميها وشفتاها المصبوغتان تتقلصان لفرط اشمئزازها) انك تجاوزت سن الشباب .

قالت ليزا : اننا فى نفس السن تقريبا .. بل انت تكبريننى سنا .

اجابت الأم فى قوة : كلا يا سيدتى العزيزة . ان حالتينا مختلفتان ، فأنا أرملة ... أما انت فما زلت متزوجة .. وزوجك حى يرزق .. يجب أن تموتى من الخجل .

نظرت ليزا الى مارى جريس فى ذهول .. هل يمكن لهذا الوجه الغاضب الغيور ان يعبر عن .. الحب الاموى .. انه لحب أموى غريب ذلك الذى يولد مثل هذا الغضب عند امرأة لم تشعر أبدا

بالحنان نحو ولديها . الا يمكن ان تكون غيرتها غير شهوانية ! .. غيرة عاشقة ؟ .. وفجأة أدركت .. واحست بالارتياح في بادىء الامر ثم نظرت الى الآم ، وعاد الشك يجتاحها فسألتها :

ـ ماري جريس ، قولي لي .. انك تتكلمين عن ليو ، اليس كذلك ؟

رأت صديقتها تومىء بالايجاب في ضيق وألم وكأنها تقول : لماذا تسألينني ؟ .. انت تعرفين ذلك جيدا ، فليس لي غيره .

نمت عينا ليزا عن رثاء مشوب بالنصر وقالت : يا لك من مسكينة يا عزيزتي ماري جريس .

ورأت الآن بعين الخيال مشهد الأمس . ليو وكارلا متعانقين على ضوء الشمعة ، وقالت تحدث نفسها : انما يجب أن تفار من أبنتها . وأحست بشيء من الشفقة نحو هذه المراة المسكينة ، ولكنها أحست في نفس الوقت بفرح طاغ لأنها غير مذنبة بما اتهمت به بحيث لم تدر هل ترد عليها مشفقة أو مزدرية . وقالت اخيرا :

ـ يمكنك أن تتأكدي انني لم أر ليو لا أمس ولا .. أي يوم آخر . واني أقسم لك على ذلك بكل ما هو مقدس . ـ

راحت الأم تنظر اليها فاحصة ، بعين متشككة ثم أطرقت براسها وقالت بلهجة حاولت ان تبدو فاترة وفورة : من الاوفق أن نفترق ، فالوقت متأخر .

وعادت ليزا تقول مترددة : صدقيني ... ان في الأمر سوء تفاهم .

ونظرت حولها كما لو لتبحث عن حجة أو قرينة دامغة . ووقفت تنظر الى اليمين والى اليسار وهي لا تدري ما تفعل . أما ماري جريس فقد راحت تبتعد في بطء ، وهي مطرقة الى الارض في شرود وتفكير ، وودت ليزا أن تصيح بها : « انه انما يخونك مع كارلا وليس معهم ... مع ابنتك يا عزيزتي المسكينة ماري جريس .. » . ولكن الام اخذت تبتعد ، ونم تقوس ظهرها عن اصرارها على عدم الالتفات نحو الحقيقة ، ولم تلبث ان اختفت .

الفصل الحادى عشر

بلغت مارى جريس البيت وهى فى حالة من التعب والارهاق ، ووجدت ميشيل جالسا فى غرفة الانتظار ، يدخن ، فقالت وهى تخلع معطفها : اننى ميتة .. أين كارلا ؟

أجاب : فى الخارج .

وخرجت مارى جريس من غير ان تنطق بكلمة اخرى.

كان ميشيل سىء المزاج ، فان أحداث مساء الأمس تركته فريسة لسخط كئيب . كان يدرك انه لابد من أن يتغلب على ضعفه وعدم مبالاته ، وأن يتصرف . ولا ريب ان العمل كان يمليه عليه منطق غريب من الصدق والوفاء ، فان الحب البنوى وكراهيته لعشيق أمه والعواطف العائلية كانت احساسات ومشاعر لا يعرفها ، ولكن ما الأهمية ؟ .. عندما لا يكون الانسان صادقا ومخلصا فلابد له من أن يتظاهر بذلك ، ولفرط تظاهره ينتهى به الأمر الى أن يصدق ذلك . وهذا هو مبدأ كل الايمان .

صفوة القول : هل لابد له ان يتحمس وأن يحتد .

لننظر الى ليزا مثلا . اننى لا أحبها . بل اننى لا أشتهيها ، ومع ذلك فاننى قبلت يدها بالامس .. وسأمضى اليهـــا اليوم ، سأكون فاترا جدا فى البداية ثم اضطرم وتأجج .. وهـذا سخف ولكننى أعتقد أن الأمر سينتهى بى الى أن أصبح عشيقها .

لم تكن هناك اية مأساة حقيقية بالنسبة له ، وذلك لافتقـــاره الى الصدق والايمان . كان ضجره يجعله يرى كل شىء سخيفا كاذبا يستحق الرثاء ، ولكنه كان يدرك صعوبة وأخطار الموقف . كان لابد له من أن يتحمس وان يتصرف ويتألم وينتصر على هذا الضعف .

وفكر يقول فى أسف ساخر : لقد كانت الحياة جميلة حقا عندما كان الزوج المخدوع يصرخ فى وجه زوجته قائلا : أيتهـــا الزوجة الفاجرة ، موتى جزاء جرائمك . وانه لشىء جميـــل أن يفعل المرء

ما يقول حقا ويهجم على الآثمين ويقتل الزوجات والعشاق جميعا ويبقى وحيدا غير مجازى . لا يبكته ضميره . فى تلك الاوقات السعيدة كان التنفيذ يلى الفكرة ، ولم تك الحياة سخيفة كما هى الآن . كانت عبارة عن مأساة يموت فيها المرء حقا ويقدم على القتل وعلى الحب وعلى الكراهية . وكان يذرف الدموع الحقيقية على المصائب الحقيقية . كان جميع الرجال مخلوقين من لحم ودم ، ومرتبطين بالواقع ارتباط الاشجار بالارض . وشيئا فشيئا تتلاشى السخرية ويبقى الندم . وود ميشيل لو أنه كان يعيش فى تلك العصور المفجعة وان يحس بذلك الحقد الجارف وان يسمو على هذه المشاعر التى لا حدود لها .. ولكنه كان مكبلا فى عصره وفى حياته وفى مستوى الارض .

صعدت كارلا السلم فى بطء . كانت عائدة من لعب التنس . وكانت ترتدى بلوفر متعدد الالوان وجونلة بيضاء وتضع معطفها على ذراعها وتحمل فى يدها مضرب التنس وشبكة صغيرة مملوءة بالكرات ، وكانت تبتسم . وقالت قبل أن تبلغ الدرجات الاخيرة : أين أمى .

وصعدت آخر درجة ووقفت أمام ميشيل وقالت : اننى التقيت ببيبو رينالدى ، وقد دعانا للعشاء أنا وأمى .. وسيصحبوننا بعد ذلك الى الحفلة الراقصة ، ويمكنك أن تنضم الينا اذا اردت .

وسكتت ، ولم يجب ميشيل وراح يدخن . وجاءت الام فى هذه اللحظة فعادت كارلا تقول : أتعلمين يا أمى ؟ .. لقد دعانا آل بيراردى للعشاء . وسيصحبوننا بعد ذلك الى الحفلة الراقصة .

قالت الأم بدون حماس : هذا حسن . يجب أن نفرغ من ارتداء ثيابنا مبكرين اذن .

كان أنفها مضطرما ومثلجا . وكان وجهها الخالى من المساحيق يلمع قليلا ، وبدت فى عينيها نظرة باردة وهى تقول : أما انت يا ميشيل ، فاننى اريد ان أتحدث اليك .

خرجت كارلا ، وتظاهر ميشيل بدهشة كبيرة وقال : تريدين ان تتحدثى الى ؟ .. وفى أى شيء ؟

هزت الأم رأسها وقالت : انك تعرف ذلك خيرا منى .. انك

رميت بتلك النفضة امس ، ولكنك اصبتنى انا ... وما زلت احمل أثرها .

وهمت بأن تكشف عن ذراعها ولكن ابنها أوقفها قائلا فى تقزز : كلا ، أرجوك . لا داعى للعرض ... فأنا لست ليو .

ساد صمت ، وتقلص وجه الأم وتجهمت نظرتها وقالت فى صوت متغير : اننى لا أريد الا خيرك ، فماذا دهاك يا ميشيل ؟ قل لى ماذا بك .

ــ ليس بى شىء .

وتملكه الحنق وازداد ضيقه وفكر : انها لتعرف ما بى تماما . واذا هى استمرت على هذه الخطة فستغدو سخيفة ومضحكة . يجب أن أرقف هذه الموجة من الرومانسية بكل ثمن ، فلا اريد ان أراها تبكى ولا أن تصرخ أو تتوسل ...

واستطردت الأم تقول : ميشيل . قدم خدمة لأمك وكن لطيفا مع ليو .. أو على الأقــل حاول أن تشعر من نحــوه الود فان ذلك يسرنى .

صمت قصير ثم سألها ميشيل : وهو ؟ .. هل يشعر بشىء من الود نحوى ؟

قالت الأم وهى تضحك ضحكة فتية مؤثرة لفرط ما فيهــا من سذاجة وتوهم : هو ... انه يحبك كما لو كنت ابنه .

ــ آه ... حقا ؟

نظر ميشيل اليها فى غباء وقد ثبطت همته ازاء حسن نيتها وعدم ادراكها وفكر : ليست هناك أية جدوى ، فان هذه الحكاية هى مجالها .. انه يعيش فى عالم أمه ، وهو عالم مشوه وزائف ومضحك لا مكان فيه له ولا لذكائه . واستطردت الأم تقــول وهى تضحك ضحكتها الواضحة الظافرة : انه خير الرجال على الارض .

ولم يسعه أن يول شيئا عندئذ ، فان الارض نفسها قد أهينت ، وستكف عن الدوران . واستسلم للأمر الواقــع ولزم الصــمت . وعقبت الأم تقول :

ــ وهو غالبا ما يحدثنى عنك . وقد قال لى أمس بالذات « اننى اعرف ان ميشيل لا يحبنى كثيرا ولكننى لا أعبأ بذلك ، ولا يهمنى الا اسعاده . لن تلبث كارلا أن تتزوج ، ولابد له من أن يستقر هو الآخر وأن نجد له عملا . سأوصى به بعض أصدقائى من ذوى

النفوذ .. ان له عيوبه طبعا ، ولكن من منا خال من العيوب .
ابتسم ميشيل وقال فى ازدراء : أحقا انه قال انه يريد مساعدتى ؟
أجابته الأم : نعم . على شرط أن تكون لطيفا معه ... والا انتهى به الأمر الى الغضب منك . أرأيت الى كارلا . فلتكن مثالا لها . انها لاتنطق بكلمة زائدة أبدا ، ولا تأتى باشارة فى غير موضعها .. وقد تعلق بها كثيرا .
قاطعها ميشيل وقد ازداد اهتمامه : آه .. هل تعلق بها ؟
— نعم . الى حد انه أصبح يفكر فيها كما لو كانت ابنته ، فهو مثلا قد أدرك انه لابد من تزويجها .. ان عاجلا وان آجلا ... فاهتم بذلك . وقد تحدث معى فى هذا الامر امس ونحن فى فندق الريتز ، وقال لى ان بيبو بيراردى سيكون خير زوج لها .
صاح ميشيل : ولكنه دميم جدا .
— غير ان دمامته مقبولة ، وانت ترى انه لابد لنا من الحفاظ على عزيزنا ليو لكى لا يفلت من أيدينا .
همس ميشيل وهو يرتجف فرحا : عزيزنا ليو .
واذا اطمأنت الأم أخذت يد ميشيل وقالت : هل تعدنى أن تكون لطيفا معه ؟
واختلج صوتها من انفعال مفاجىء صادق ، وتفتح قلبها كصندوق مشحون بالحب تريد أن تفرغه على العالم أجمع ... على ليو وكارلا وميشيل وبيبو بيراردى ، وعادت تقول : هل تعدنى يا ميشيل ؟
أجاب ميشيل وهو يحس بالضيق أمام عينيها اللتين تلمعان من الانفعال : نعم .. اننى أعدك .
ودخلت كارلا فى هذه اللحظة وقالت : ماذا تفعلان ؟ .. حسبتكما فى غرفة الطعام .
قالت الأم : كنا نتحدث ، وكنت اقول له ان يكون لطيفا مع ليو .. ألست على حق يا كارلا ؟ .. انه كثير المجاملة لنا ، وهو صديق قديم للبيت ، ورآكما تكبران ، ولا يجب معاملته كشخص غريب .
وتوقفت كارلا جامدة الحركة فى منتصف الغرفة ونظـــرت الى أمها . وعندئذ ولأول مرة تراها عمياء الى هذا الحد ومسالمة ، أدركت أنها خانتها ، وقالت فى سرها « ماذا تفعلين لو عرفت ؟ » .
وقالت فى صوت مسموع وهى تغمض عينيها نصف اغماضة :

أظن ان المرء يجب أن يكون لطيفا مع الجميع .
ـ هل تسمع ؟ .. ان كارلا تشاطرنى الرأى . تعالى هنا يا كارلا .. تعالى حتى أراك (وجذبتها فى حنان مفاجىء ، وأجلستها فوق مسند مقعدها ، وربتت بيدها على خدها وأردفت) يخيل لى انك شاحبة قليلاً يا ابنتى ... هل نمت جيدا ؟
ـ نعم .
ـ ولكنك شاحبة جدا يا كارلا . لعلك أرهقت نفسك أكثر من اللازم فى لعب التنس .
ـ أبدا يا أمى .
وهبطوا ثلاثتهم الى غرفة الطعام . وقالت الأم وهى تجلس : فلنتحدث الآن فى شىء آخر .. من الذى وجه اليك الدعوة يا كارلا ؟ .. أهو بيبو أم الآخرون .
ـ بل هو بيبو .
ـ آه . كان فى ملعب التنس اذن ؟ .. هل بقيتما معا مدة طويلة ؟
ـ نصف ساعة .
ـ نصف ساعة فقط ؟ .. وفيم تحدثتما .
أجابت كارلا : لا شىء على وجه الخصوص . كنا نشاهد اللاعبين .
ـ وما رأيك فيه ؟
قالت كارلا فى غموض : هكذا .
ـ وأنت يا ميشيل ؟ .. ما رأيك فيه ؟
ـ انه دميم ولكن دمامته مقبولة .
وكانت هذه العبارة الاخيرة هى نفس العبارة التي استخدمتها مارى جريس ، فراحت تلتمس البصر حولها غير راضية كما لو كانت تلتمس آراء أخرى ، وقالت :
ـ انه شاب ذكى ومثقف . وقد سافر كثيرا ، ويعرف أناسا كثيرين ، ويميل اليك يا كارلا .
ـ حقا ؟
ـ ولا ريب أنه ثرى ، فان لدى أبويه خمس سيارات وأبوه رجل أعمال ناجح ... رجل عصامى بدأ من لا شىء .
ولزمت الصمت لحظة ثم عادت تقول : كنت أراقبك فى ذلك اليوم ، وأنت ترقصين مع بيبو .. وبدا لى أنك باردة ، متصلبة ...

وكنت ترقصين كما لو كنت دمية آلية .. ومهما يكن فانه لم يدعوك الى الرقص بعد ذلك .

أجابت كارلا فى حدة : لم أكن باردة . أما هو فكان ملتهبا . وكان يلقى على سمعى كلمات بذيئة ، فرجوته ان يسكت وختمنا الرقصة صامتين .

هزت الأم رأسها غير مصدقة ، وقالت وهى تبتسم ابتسامة كبيرة : كلمات بذيئة ؟ .. انما هى نفس الحماقات التى اعتاد الشباب القاءها على آذان الفتيات ، وأولى بك أن تعترفى يا كارلا بأنك لا تميلين اليه .

ـ انه امتدح جمالك أنت فى بادىء الأمر .

قاطعتها الأم وقد ملأها الغرور : صحيح ؟

ـ نعم . ثم طلب منى بعد ذلك ان أرافقه لزيارة مرسمه .. وسألته عندئذ عما يفعل فيه فأجابنى بأنه يهتم بالنساء العرايا .

قالت الأم : حسنا .. وما الضير فى ذلك ؟ .. أليس فنانا ؟

ـ انتظرى ... سألته عندئذ ، وبكل سذاجة ، هل يرسم بالقلم أو بالفرشاة فضحك وأجابنى بصوته المتكلف : « بل اننى لا أعرف كيف أمسك بالقلم يا آنسة ولا كيف أستخدم الفرشاة ، فسألته ماذا يفعل اذن فاستغرق فى الضحك وقال : « ما عليك الا أن تأتى معى وسوف تعرفين » وقرن عبارته هذه بغمزة من عينه لها معناها ، ولما قلت له « لا » بلهجة جافة صاح مشدوها : « لا أخالك تقولين ان هذه أول مرة ؟ هل تفهمين ؟ .. كان يظن اننى اعتدت الاختلاف الى استوديوهات الفنانين ، ولم أرد عليه بشىء طبعا . وانتهى الأمر بيننا عند هذا الحد .

صعقت مارى جريس ، وتقلص فمها لفرط الاشمئزاز وقالت فى حد : يا له من وغد !

قالت : كارلا من غير ان ترفع رأسها : الواقع يا أمى انهم يتكلمون عنى بكل سوء .

كانت هادئة تماما . كانت واثقة ان السنة السوء لن تلبث ان تنتصر وانه اما أن تهرب مع ليو واما ان أمرها سوف ينكشف . واستسلمت لمصيرها . وبدا أن ايمانها بحياتها الجديدة قد ضاع الى الأبد ، وأردفت تقول فى حزن : والا فلماذا يتكلمون عنى هكذا .

نظر ميشيل الى أخته مليا . بدت له حزينة وسالمة ، ولكنه

لم يدر كيف يواجه الامر وراح يقـــول لنفسه : « هل يجب أن أغضب ؟ » أحس بأنه بارد وبأنه يميل الى التفكير . وراح يفحص كارلا . رآها فاتنة ، وتخيل شهوة بيبو ، وقال يحدث نفسه « انها فتاة جميلة ، وبيبو يتمتع بذوق سليم ، وهى قد راقت له ، وله الحق على كل حال فى أن يتصور انها ليست المرة الاولى » وصور له خياله أخته بين ذراعى رجل وقد القت بنفسها فوق صدره .. هذا ممكن تماما فهى امرأة هى الاخرى .. ولها غرائزها .. وميولها . ثم انها ناضجة تماما . وتذكر انه رآها عرضا ذات يوم وهى خارجة من الحمام ، وما زال يحتفظ حتى اليوم بذكرى صدرها العارى .

وادرك ان من واجبه ان يقول كلمته وان هذه الظروف الشاقة تقتضيه أن يعبر عن سخطه التام امام هذه الاهانة والا وقع مرة اخرى فى استخفافه القاتل الذى يمنعه من التصرف ومن العيش كغيره من الرجال .. انه لعب مع أشباحه بما فيه الكفاية ، وعليه الآن أن يدخل بقدم ثابتة فى المأساة ، الآن والا ضاعت الفرصة ، فصاح يقول مرددا عبارة أمه : يا له من وغد ! .. اننى ما زلت جديرا بأن اذهب اليه واصفعه صفعتين .

ورفع عينيه ورأى صورته فى المرآة .. هل هذه صورته هو أم صورة رجل آخر ، تلك التى تنظـر اليه بهاتين العينين الخبيثتين وكأنها تقول له : انك لست جديرا بأن تفعل ذلك .

تحولت كارلا اليه وقالت : اشكرك كثيرا . ولكننى أوقفته عنـد حده ، ومن الأوفق أن تدعنى اتصرف .

صاح وهو يرى فى ارتياح انه بدأ ينفعـــل ويحتد : أتركك تتصرفين ؟ .. الا تظنين اننى اذا قلت له كلمتين فقد يدرى مدى الخطأ الذى اقدم عليه .

عادت تقول وهى تنظر اليه فى اهتمـــام : أرجوك . دعنى انا اتصرف .

كانت هذه أول مرة ترى فيها ميشيل فى هذه الهيئة ، وفى دور الأخ المنتقم . على انها وجدت لعبته ثقيلة ومغالى فيها ، كما لو كان ممثلا لا يتقن دوره ، وفكرت فى انزعاج : « ماذا يفعل لو عرف اننى بذلت نفسى لليو ؟ .. » وكانوا قد فرغوا من الطعـام فسألت فى انزعاج : « وماذا تنوين أن تفعلى اليوم يا أمى ؟ » .

وانتظرت الرد فى قلق كبير وهى تقول لنفسها : « عسى أن لا تطلب منى مرافقتها » فقد كانت تريد قضاء الاسبوع مع عشيقها . وأدركت أنها لن تستطيع الاستغناء عنه ، فقد بدات العادة تحل محل الرغبة فى حياة جديدة ، واحست بلهفة كبيرة ومؤلمة تدفعها الى العودة الى تلك الغرفة والى أحضان ذلك الرجل .

وقالت الأم فى غير اكتراث ظاهر : أنا ؟ .. لا أدرى .. أظن اننى سأذهب لشراء بعض الاشياء . وانت ؟

وراح قلبها الناضج والمملوء بالاوهام يدق بشدة ، فان هذا اليوم هو يومها هى ، سيعود فيه عشيقها اليها ... الى حبيبته القديمة بعد اخطاء عابرة . وأجابتها كارلا وهى تتظاهر بعدم الاكتراث هى الأخرى .

ـ أنا ؟ .. ان كليريت دعتنى لتناول الشاى معها .

وسكتت الأم والابنة ، واطرقت كل منهما بعينيها الى الارض وهى تشعر بالانتصار والرضا . وارتسمت على وجه كل منهما دلائل الارتياح ، وحملت كل منهما فى قلبها صورة عشيقها المشترك ، وانحنت كل منهما فى هذه اللحظة كما لو لكى تقول له : أنظر أيها الحبيب .. لقد نجحت اللعبة .. ولن يزعجنا أحد .

ونهضت المرأتان وغادرتا غرفة الطعام . وكانت مارى جريس أول من دخل غرفة الصالون وهى ترتعش وتفرك يديها . وما كادت تفعل حتى صاحت مشدوهة : أهذا انت يا ميروميس ؟

وأسرعت للقائه وشدت على يديه قائلة : هل تنتظرنا منذ وقت طويل ؟

ودخلت كارلا بدورها ، وصاحت هى الاخرى فى مرح : ليو ! .. وكان ميشيل آخر من دخل فحيا ليو باشارة من يده ووقف بالباب لكى يشعل سيجارة ثم خرج .

وقالت الام وهى تجلس وتفرك يديها فى قوة تدل على سرورها : حسنا .. وأى ريح أتت بك ؟

أجاب ليو متندرا : لم تأت بى الريح وانما اتت بى سيارتى جاءتنى رسالتك وقد أردت أن أتحدث معك فى التليفون ولكننى عرفت المشكلة ...

ـ فأتيت بنفسك .. هذه مكرمة منك . اسمعى يا كارلا . اذهبى وقولى للخادمة ان تعد القهوة الأربعة .

نهضت كارلا وخرجت مطرقة الراس ، وقالت الأم وهى تبتسم ابتسامة فاتنة : والآن ، قل لى .. هل فكرت فى الرد الذى طلبته منك ؟

اجاب ليو وهو يتأمل رماد سيجارته فى اهتمام : نعم .

ـ سألته الأم عندئذ فى تلميح وقلق : حسنا يا لولو .

ونهضت فجأة ، فى رفق ورقة ، كما لو كانت تريد أن تنتزع سرا وتقدمت نحوه وقد بدا الاعزاز والحب فى عينيها ، ومرت خلفه والقت بذراعيها حول عنقه ومالت براسها حتى لامست بخدها خد عشيقها وقالت : وما هو ردك اذن .

ابعد ليو رأسه وأجاب وهو يحدق فى سيجارته : لا شيء .

اخذت المرأة يده الأخرى ومرت على وجهها ودعكت بها أنفهـا البارد كالكلب الوفى وقالت : هل تحبنى ؟

ثم اردفت تقول كما لو كانت قد أدركت خطر هذه الفورة من العواطف .. سوف آتى .. ولكنك ستكون عاقلا طبعا .. عاقلا جدا .

واعادت بذلك ، دون وعى منها ، نفس الكلمة التى سبق أن نطقت بها فى أول لقاء مع ليو عندما دعاها الى بيته ، فقد دخلت مسكنه منذ خمسة عشر عاما وهى تطلب منه أن يكون عاقلا جدا .

وأردفت تقول وهى تطبع قبلة كبيرة على يده البـاردة وتستمتع مسبقا بما تحويه كلماتها من تلميح واشارة :

ـ سوف تكون ظريفا معى ، وسنكون طفلين صغيرين رفيقين .

وكانت تنطق بهذه الكلمات وهى ترتجف لفرط سرورها ، وتصاحبها بحركة صغيرة متوعدة من اصبعها . وبطريقة خبيثة ، ثم تستلقى على الفراش وتدعو عشيقها بجوارها وتقول له فى مرح وهى تأتى بنفس الحركة المخدرة : وسنكون طفلين صغيرين رفيقين » ثم يبدأ بعد ذلك حبهما المعقد الفاجر .

ولكن ليو هز راسه هذه المرة وقال دون اى ضيق : اننى مضطر أن أخبرك يا مارى جريس بأن من المستحيل أن نلتقى اليوم .. فاننى مرتبط بموعد هام يتعلق بالعمل .

قالت مترددة : اتعنى اننى لن اراك اليوم ؟ ولكنك سترى ليزا .. نعم ، ستراها ، فلا مستحيل مع امراة مثلها ... اهذا هو الموعد الهام الذى تتعلل به . حسنا .. على رسلك يا لولو .

وانحنت فوقه ، وبطرف أصابعها قرصته فى ذراعه بكل قوتها وهى تجز على أسنانها . وهز ليو كتفيه فى غضب ، ودعك الجزء الذى يؤلمه من ذراعه ولكنه لم ينطق بشىء . وعادت المرأة تقول وهى تحدق فيه بعينيها :

ــ ولكن ، هل تفهم ما أقول ؟ انك على حق . انك على حق مائة الف مرة . وأنا الغبية الحمقاء التى لا تصلح لشىء ... ولكنك سوف ترى غدا .

وارتدت خطوة الى الوراء لكى ترى تأثير تهديدها . ولكنها الفته غير حافل بها . ودخلت كارلا فى هذه اللحظة ومعها فناجين القهوة ، وقالت :

ــ ان ميشيل خارج ، وسيشرب ليو فنجانه .

وقالت الأم وهى تضع فنجانها الفارغ : ان لدى خبرا سارا لك يا ليو ، فقد التقيت صباح اليوم بحبيبتك ليزا .

قال ليو ضاحكا : حبيبتى ليزا ! ولماذا هى حبيبتى ؟ .. ومنذ متى ؟

قالت الأم فى رقة وغباء : ان اللبيب بالاشارة يفهم .. وقد كلفتنى ان انقل اليك أرق تحياتها .

اجاب ليو من غير ان يضحك هذه المرة : اننى أشكرها جيدا ، ولكننى لا أفهم معنى هذا يا سيدتى العزيزة .

ــ بل انك تفهمنى تماما . وبحق السماء لا تنس موعدك معها .. والا فأنت الخاسر حقا .

وارتجفت شفتاها وهى تتكلم ، وهز ليو كتفيه ولم ينطق ، فقالت كارلا وهى تنحنى الى الامام : ما الخبر ؟

وراح قلبها يدق بشدة لفرط القلق ، وكادت تختنق . وودت لو ان تنهض وتفر من امام هذين الشخصين ، وتهرب من هـذا الجو الخانق .

وقالت الأم وهى تحاول أن تتظاهر بالهدوء وعدم الاكتراث : الخبر ان صديقنا ليو كغيره من رجال الاعمال .. فهو رجل كثير المشاغل .. رجل أعمال .. قليل أمثاله .

وانفجرت فى ضحكة عصبية ، وفجأة قطعت عقـدها وانفرطت حباته فوق ركبتيها وانحدرت من عينيها دمعتان نجستان . ثم ، وكما لو ان شيئا انقطع فيها هى الاخرى ، راحت تبكى ، وانسابت

الدموع فوق وجنتيها فى حين تدحرجت حبات العقـــد من فوق ركبتيها الى الارض دون أن تحاول منعهـــا . وقال ليو فى سره : « اللعنة على هذه المرأة ! .. فلتذهب هى ودموعها الى الشيطان » وراح يحدق فى طرف حذائه ، فى حين نهضت كارلا وقالت : ولكن .. ما الخبر ؟

كان صوتها باردا ، وارتسمت فى عينيها امارات الضيق . وفتح ميشيل الباب فى هذه اللحظة ، وكان قد فرغ من استبدال ثيابه تأهبا للخروج وقال :

ــ بالباب امرأة تسأل عنك ومعها صندوق .

ولكنه ما ان رأى أمه تبكى حتى أمسك عن الكلام على الفــور وقال : ما الخبر .

واجابت الأم : لا شيء .. لا شيء .

ونهضت على عجل ، غير آبهة بحبات العقد التى تدحرجت فــوق الارض ، وتمخطت ثم قالت : اننى ذاهبة .

وخرجت وهى تنحنى قليلا ، كما لو لكى تخفى شـــيئا ، وعاد مشيل يقول وهو ينظر الى ليو فى فضول : ماذا حدث ثانية ؟

هز ليو كتفيه وأجاب : لا شيء .. انها قطعت عقدها ثم راحت تبكى .

وساد صمت . ونظر ليو الى الارض وهو واقف فى منتصف الغرفة لا يتحرك . ونظر ميشيل اليه فى تردد وضيق . لم يشعر بأية شفقة نحو أمه ولا بأى حقد نحو ليو ، وانما أحس بأنه لا لزوم له ولا فائدة منه . وأحس لمدة لحظة برغبة شديدة فى أن يتصرف وأن يحتج وأن يلقى الاسئلة ويبدأ العراك . ولكنه لم يلبث أن قال لنفسه فى شيء من المهانة والضجر ان هذه الأمور لا تعنيه فى شيء فى النهاية فقال فجأة : افعلوا ما تشاءون . أما انا فاننى خارج .

وخرج . وقال ليو يخاطب كارلا قبل أن ينقفل الباب تماما : تعالى هنا ، بجوارى .

كانت وقاحته المتصنعة تخفى خلفها رغبة جعلته يبدو مضحكا . وسألته كارلا وهى تقترب منه : هل نمت جيدا ؟

ــ نعم .

ومد ذراعه وأمسكها من خصرها ، وجذبها اليه وقال : سوف تأتين معى . تذرعى بأى شيء .. صديقة .. أو زيارة .. ستأتين ؟

وضمها اليه في قوة وقال : وهذا الصباح ؟ .. هل سار كل شيء على ما يرام ؟

ــ تماما .. لم يلحظ احد شيئا .

قال : لقد كان الوقت مبكرا جدا .

ثم هز رأسه ورفع عينيه . واجلس كارلا على ركبتيه وقال وهو ينظر اليها فى غباء : الا تخشين الآن أن يأتى احد ويراك ؟

هزت كارلا كتفيها واجابت فى صوت واضح : سيان عندى هذا .

اطرب هذا الرد ليو ، ولكنه عاد يقول فى اصرار : ولكن ماذا تفعلين لو دخلت أمك فى هذه اللحظة ؟

ــ سأقول لها كل شيء ثم أمضي واعيش معك . ولكن لماذا يكته امى ؟

ــ لاننى قلت لها اننى لن أستطيع استقبالها اليوم .

سألته فى رفق : وهل ستقول لى نفس الشيء ذات يوم ؟

ــ لماذا ؟

كان الشيء الذى اثار ليو فى هذه اللحظة وطرب له هو التباين فى استجابة كارلا لملامساته ومداعباته بدليل ارتعاش اطرافها واختلاجاتها وعدم الاكتراث والهدوء البادين على وجهها حتى انه فكر « لكأن جسدها ليس ملكا لها » .

وبعد لحظة صمت رفع عينيه اليها وقال : فيم تفكرين ؟

ــ فى اليوم الذى ستقول لى فيه انك لن تستطيع استقبالى .

اجاب ليو : ما هذا الهذر .. ليس هناك اية علاقة .

ــ انك تقول هذا الآن .. ولكن فيما بعد ؟

قال ليو يحدث نفسه : « انها تغار من مارى جريس .. تغار من أمها » وملأه الغرور وقال فى صوت مسموع : لا تخافى . لا تفكرى فى هذا الأمر . لقد انتهى ما بينى وبين امك ... انتهى .

ــ لم اقصد هذا .

وكانت تحاول ان تعبر عن احساسها الغامض وان تسأله اذا كان يحبها عندما انفتح الباب فتمتمت وهى تتخلص منه : دعنى .. ها هى امى .

وبحركة سريعة افلتت منه وانزلقت الى الارض . ودخلت مارى

جويس وقد استردت هدوءها ، وفي يدها صندوق صغير من الورق المقوى وقالت :

ــ ماذا تفعلين .

ــ انني اجمع حبات العقد .

ورفعت الأم غطاء الصندوق وقالت : لم تكن الخياطة كما ظننت ، وانما امراة اخرى تبيع بعض القماش والوسائد ، وقد اشتريت منها وسادة .. اليست جميلة .

قالت كارلا : نعم . ولكنني لا ارى لها اية فائدة ، فالبيت مملوء بالوسائد .

ونهضت ، وافرغت حبات العقد التي جمعتها في اناء فوق المنضدة ثم قالت تخاطب ليو : سأذهب لاستبدال ثيابي فانتظرني .

صاحت الأم وهي تنظر الى الساعة : ولكن ما زال الوقت مبكرا .

ــ ولو !

ــ ولكن يا ابنتي ...

وخرجت المرأتان وهما تتكلمان وتتجادلان ، وبقي ليو وحده فالقى بسيجارة في المنفضة ، واخرج من جديد مبردا صغيرا وبدأ يقلم به أظافره . واخذت منه هذه المهمة عشر دقائق ظهرت كارلا بعدها وقالت وهي ترتدي قفازيها :

ــ حسنا يا ليو .. هل ننصرف ؟

نهض وتبعها الى الخـــارج . وفي الردهة أتى ببعض الاعمال الجنونية المضحكة اذ قال وهو ينحني : هل اطمع في أن يكون لي شرف مرافقتك يا آنسة .

أجابت كارلا وقد اصطبغ وجهها وابتسمت رغما عنها : انني أسمح لك بذلك .

وخرجا وهما يضحكان ويتدافعان .

الفصل الثانى عشر

خرج ميشيل لكى يزور ليزا . وكان الوقت لا يزال مبكرا فلم يشأ أن ينتظر الترام وآثر أن يمضى اليها سيرا على الأقدام . وكانت هذه الزيارة بالنسبة له على جانب كبير من الأهمية ... كانت تجربة أخيرة لصدقه وسلامة طويته . وراح يتساءل وهو يمشى ان كانت هذه التجربة ستفلح . كان يواجه احتمالين . وكان كل شيء واضحا فى الاحتمال الاول ، فما عليه الا أن يعتزل مع نفسه وأفكاره وأحاسيسه ومع الاشخاص الذين يحبهم ، ان امكن ، وان يبدأ على هذا الاساس ، حياة قوية ، مطابقة لمبادئه فى الصدق والاخلاص . أما الاحتمال الثانى فمعناه هزيمة روحية ، ولكن فيما عدا هذا فلن يتغير شيء ، وعليه أن يكيف نفسه ، بقدر ما يستطيع على حياته الجديدة ، وبمعنى أصح ، أن يعيش فى بيت خرب تمتد اليه يد الترميم والاصلاح بين وقت وآخر ما دام لا يستطيع أن يبنى بيتا جديدا ، وأن يدع أسرته تسير الى الدمار . أو ان يرضى بأن ينفق ليو عليهم ، وفى هذه الحالة لابد له من تقبل وضعه المهين فيودع حياة الطهارة والنقاء ، ويغدو عشيقا لليزا .

والفيللا ؟ .. والرهنية ؟ .. سوف يتدبر هذه النقطة مع ليو . سيقول له « ستقدم لى المال يا ليو ، وسأعطيك نظير ذلك ؟ .. » ولكن ما الذى تبقى له لكى يعطيه اياه ؟ .. آه .. هناك ليزا .. « ستقدم لى المال وسأقنع ليزا بأن تعود اليك فى نظير ذلك » . ولكن ما العمل اذا لم يشأ أن يعرف شيئا عن ليزا ؟ .. أو اذا رفضت ليزا العودة الى ليو ؟ .. اذن .. لم يبق هناك غير كارلا لكى تنقذ الموقف .. نعم ، ان كارلا هى ملجأه الاخير .. وما دام لابد له من أن يأكل من هذا الخبز ، فأولى به أن يفرغ من هذا العمل على خير وجه ، وعليه ان يعرض على ليو الزواج بكارلا .. سيكون زواج مصلحة ، كما يقال ، وسيأتى الحب فيما بعد ... وحتى اذا لم يأت فلن يكون هناك شر كبير .. فسوف تجد كارلا

وسائل كثيرة لكى ترفه عن نفسها .. فهناك رجال كثيرون غير ليو . ولكن ماذا يفعل لو ان ليو أراد أن يتخذها عشيقة ؟ وأن لا يقدم له المال الا بهذا الثمن ؟

قال ميشيل يحدث نفسه وهو يسير قدما فى طريقه الى بيت ليزا : « انه جدير بأن يفعل هذا ... جدير جدا . وأرهقه التعب والتقزز وهو يقول : الى الأمام .. حتى النهاية .. اذا لم يقبل ليو الزواج بكارلا .. وهذا احتمال متوقع فمن الممكن عقد اتفاق بين الطرفين .. فيقدم ليو المال ، وسيقدم طبعا مبلغا اكبر نظير شباب كارلا الذى لم يلمسه أحد ونظير جمالها ... سيطلب منه ضعف المبلغ الذى كان ينوى ان يطلبه من أجل ليزا ... بل ثلاثة اضعافه ... فان ليزا امرأة ناضجة ولها تجارب كثيرة ، أما كارلا فلا ... ولكل شىء ثمنه . أما هو فان دوره مرسوم .. ما عليه الا اقناع كارلا ، وأمامه طريقتان لمعالجة ذلك الأمر .. الأولى : ان يعترف لها بكل شىء على الفور وأن يتذرع بمختلف الحجج ، بشرف العائلة ، وفقرهم وما ينتظرهم من بؤس أو الايحاء اليها بما يريد بتهيئة الجو شيئا فشيئا ، واغرائها . وكارلا ضعيفة الارادة ، وسينتهى بها الأمر الى الرضوخ والاستسلام .. ثم ان هذا الأمر يقع لكثيرات غيرها ، فلماذا لا يقع لها هى بالذات .

فتحت ليزا له الباب وبين شفتيها سيجارة . وكان واضحا انها فرغت من تناول الطعام لتوها . وكان يبدو عليها الانفعال والشرود كما لو كانت قد أفرطت فى الشراب .

وجلسا فوق الأريكة ، جنبا الى جنب ، وقالت وهى تناوله علبة السجائر : حسنا . كيف حالك ؟

واخذ سيجارة من غير أن يرفع عينيه ، وهو بادى الانشغال . وحدث نفسه يقول ان من الخير ان يبدأ على الفور . ونظر الى ليزا من طرف عينيه . كانت قد صبغت وجهها بالمساحيق ، وترتدى قميصا أبيض وجونلة رمادية ، وتتدلى من عنقها ربطة عنق فاقعة اللون . ولكن كان هناك تناقض غريب بين هذا الزى الرجالى الذى ترتديه وبين صدرها العريض المكتنز الذى يكاد يشق القميص . وقال اخيرا : الأحوال سيئة .

صاحت : سيئة ؟ .. ولماذا ؟

ونظرت اليه وهى ترجو ان يتذكر تلك القبلة التى طبعها على يدها بالأمس فى ظلام الصالون ، واجاب :

ــ لا أدرى . وقد فكرت فى أشياء كثيرة . فهل اذكرها لك ؟

ورأى المرأة تأتى باشارة معناها « طبعا ، تكلم » وتتأهب للاستماع ففكر : ما عساها تظن اننى سأقول لها .. لعلها تحسب اننى سأقول لها اننى احبها ، فهى لا تنتظر الا هذا . وقال فى صوت مسموع :

ــ حسنا . اليك الأمر ... اننى أجد نفسى فى موقف غريب ازاءكم جميعا ... انت وليو وأمى واختى .

نظرت اليه مليا وسألته وهى تمسك يده فى حركة طبيعية : ازائى انا ايضا ؟

ــ نعم . ازاءك انت أيضا (وضغط على أصابع المرأة فى حركة آلية واستطرد) كان يجب أن اشعر بشعور خاص .. أقول كان يجب لاننى أدركت ان الظروف تحتم وجود شعور خاص دائما ... فعندما يشيع المرء جنازة أو يشترك فى حفل زواج ، فلابد من مظاهر معينة من الفرح أو الحزن ، فلا يمكنه أن يضحك وهو يسير خلف الميت ، ولا أن يبكى عندما يتبادل العروسان خاتمى الزواج ، فان هذا سيكون سلوكا فاضحا وغير انسانى . واذا لم يحس المرء بشئ فعليه أن يتظاهر ، وهذا ما أفعله معكم فاننى اتظاهر باننى اكره ليو واحب امى .

سألته ليزا فى لهفة وهى تراه يتردد ثم يتوقف عن الكلام : وبعد ؟

أجاب وهو يحس بالضجر والأسى : الواقع اننى لا أحسن التظاهر ، فمن فرط الاحساسات الكاذبة والتصرفات والكلمات والأفكار الكاذبة غدت حياتى مهزلة فاشلة . لم أعد استطيع التفاخر ؟ » . وسكت لحظة فى حين راحت ليزا تتأمله فى خيبة أمل ، ثم استطردت : « ولكن هذا لا يهمك طبعا ، فانت لا تفهمين فيه شيئا .. أستطيع أن أتحدث اليك يوما كاملا من غير أن أتحدث اليك يوما كاملا من غير أن تفهمنى .

وأطرق برأسه ، وعندئذ سمعها تهمس فى أذنه قائلة : بل انني افهم ايها الحبيب المسكين ميشيل .

والقت بيدها على شعره وراحت تداعبه . واجتاحه شعور

بشفقة يشوبها شيء من التقزز وقال فى نفسه « يا لك من مسكينة ! .. اتريدين أن تعلميني انا كيف يكون التظاهر ؟ .. ولكنه عندما رفع عينيه ورأى وجه المراة وما ارتسم عليه من احساس صادق وحب عميق تملكه الرعب وقال لنفسه « هل جاءت اللحظة هكذا حالا ؟ .. ونظر الى وجه المراة والى شفتيها المفتوحتين المتوسلتين وعينيها المضطرمتين ووجنتيها المشتعلتين ، وخضع لهذا الرجاء الصامت وادرك الموقف المصطنع الذى تفرضه عليه الحياة مرة أخرى، واحس بأصابع المراة تضغط على أصابعه فى رفق كما لو لكى تحثه على التصرف فانحنى وقبلها فى فمها .

وكانت قبلة طويلة راح كل منهما ينهل من الآخر فى شراهة متجددة ، وافترقا أخيرا وتبادلا النظر . وقال ميشيل يحدث نفسه من غير أن يفارق بعينيه وجه المراة المضطرب المضطرم : « والآن ؟ » . ورأى وجنتى ليزا الملتهبتين تزدادان احمرارا من الامتنان والشكران وتفتحت شفتاها الرطبتان فى اعجاب وتوسل . وامتلأت عيناها هياما وشغفا ، ومدت ذراعها ومرت بيدها على شعره وهى تنطق بكلمة « حبيبى » فى صوت متهدج كاذب .

وخفض عينيه . كانت ليزا جالسة على ساقيها الملتويتين ، فى توازن صعب وراحت تقترب منه وهى تداعبه فى رأسه . وكان زحفا شاقا ، ولكن كان من أثره ان الجونلة أخذت تنحسر فوق ركبتيها شيئا فشيئا كاشفة عما فوق ركبتيها . واحس ميشيل بضيق وسخط كبيرين لم يدر ان كان مصدرهما لأنه انقاد لهذا العناق أو للتناقض الخادع بين هذه المداعبات وبين كلمة الحب والعرى الفاجر الذى تكشفه هذه الحركة الماكرة . وفكر متقززا « من تظنين ؟ » وتلاشت الرغة الشهوانية البسيطة التى ولدتها فيه تلك القبلة ، وارتد الى الوراء فى حركة خرقاء وهب واقفا على قدميه وقال وهو يهز رأسه : كلا .. كلا .. هذا لا يمكن أن يكون .

وفى غباء وغضب تقريبا نظرت ليزا اليه ، من غير ان تغطى ساقها العارية ، وقالت : ماذا تعنى ؟

— أعنى اننى اشعر من نحوك كما اشعر تماما نحو الآخرين ، وحيث اننى لا استطيع أن أكره ليو ...

— حتى بعد الذى اخبرتك به عنه ؟

اجاب ميشيل فى شيء من الضيق : يجب ان اعترف لك بأن

ما ذكرت لى عن أمى .. تظاهرت بأننى لا علم لى به ، مع أننى كنت أعرف تماما ...

ـ كنت تعرف ماذا ؟

ـ منذ عشر سنوات على الأقل .

وانحنى لكى يلتقط قاطعة ورق كانت قد وقعت من فوق الطاولة، وأعادها مكانها . وفيما هو يفعل اجتاحته رغبة جنونية من الحقيقة فقال :

ـ وكما أننى لا أستطيع ان اكره ليو على الرغم من أننى أعرف قصته مع أمى من اولها الى آخرها فاننى لا أستطيع أن أحبك .. انه عدم الاكتراث ... عدم الاكتراث دائما .

وختم حديثه فى غضب : وحيث اننى لا أستطيع ان ارتمى بين ذراعيك ، وأن أبوح لك بحبك وأتظاهر بأننى أموت حبا وهياما .. وحيث اننى لا أستطيع القيام بهذه المهزلة .. فاننى أفضل أن ألزم الهدوء .

تمتمت ليزا فى اصرار وفى شيء من الوقاحة اثارت دهشة ميشيل : ولكن الحب يأتى دائما فيما بعد ... عندما يزداد كل منا معرفة بالآخر .

ـ ولكننا نعرف بعضنا كل المعرفة .

امتقع لون ليزا ، فلم يحدث أبدا أن صدها رجل بمثل هذه القسوة ، وأشفقت أن يهرب منها حبيبها المراهق للأبد ، وخطر لها أن ترتمى عند قدميه ، وأن تستعطفه ، ولكنها عادت تقول فى اصرار : يقينا انك لست جادا فى هذا القول . دعك من هذه الغلظة . ألا تشعر بشيء نحو حبيبتك ليزا ؟

وأردفت تقول وهى تطوق عنقه بذارعيها : قل انك ستمنحنى هذه الفرفة . أليس كذلك يا ميشيل ؟ .. الا تحبنى قليلا ؟

واضطرم وجهها وتغيرت سحنتها وغدا صوتها عاطفيا .. ملمحا .. وتوتر جسدها كله ومست ساقه بركبتها . وساءته هذه الرغبة العنيدة وقال : افهمينى جيدا . هذا الحب الذى تشعرين به ، أين ينتهى اذا أنا تصرفت معك كما أتصرف مع امرأة ضائعة دون أن اهتمام بمشاعرى ؟ .. اذا انا اخذتك الآن ، واذا ألقيتك فوق الأريكة بلا تكليف ؟ .. انت تفهمين ما أعنيه طبعا .

ضحكت فى غباء وغرور وقالت : تلقينى فوق الأريكة ؟ ..

ولكننا لم نصل الى هذهالنقطة بعد .
وترددت لحظة ثم القت بذراعيهـا حول عنقـه فى حركة لينة مضحكة وهى ترتمى الى الخلف . ونجحت فى هذه الحركة الاولى فقد بوغت ميشيل ووقع هو الآخر ، ولكن الى الأمام . بيد أنه عندما رأى وجه ليزا المضطرم والمنفعل وحاجبها المعقـودين بصورة آمرة ، وعينيها المشبوبتين ، وعندما أحس بثقلها عليه ، اجتاحه اشمئزاز لا حدود له . ورفع رأسه غاضـبا ، وبكف يده على وجهها دفعها عنه ونهض ، وقال وهو يعدل ربطة عنقه :
ــ اذا كنت تشتهين ذلك الى هذا الحد فلم لا تعودين الى ليو ؟
بقيت ليزا مكانها فوق الاريكة ، ورأسها بين يديها ، وصدرها يعلو وينخفض ، وتظاهرت بألم وخزى لا وجود لهما حقا ، ولكنها ما أن سمعت اسم عشيقها القديم حتى هبت واقفة وقد ارتسم الجنون فى عينيها ، ورفعت اصبعها فى حركة متوعدة وقالت :
ــ ليو ؟ .. هل قلت ليو ؟ .. أتعنى أن أعود الى ليو ؟ .. انك قلت انك لا تستطيع أن تـكره ليـو ، حتى بعـد أن عرفت ما عرفت . ولكن اصغ الى الآن جيدا . ان لدى سببا وجيها لكى لا اعود اليه .
قال ليو وقد تملكه الانزعاج امام هذا الاصبع المتوعد : أتعنين أمى ؟
ولكنها قاطعته بضحكة حافلة بالازدراء وقالت : أمك ؟ .. ولكن امك أصبحت خارج المعركة منذ وقت طويل أيهـــا الحبيب المسكين ميشيل .. ان هناك امرأة أخرى .. ولكن كلا .. من الخير ان لا انطق بشىء ، فأنا لا أحب أبدا أن أتسبب فى وقوع أمور خطيرة .
وأشعلت سيجارة كما لو أنها عزمت على أن لا تزيد ، واطرقت براسها الى الارض . ولكنه اقترب منها وقال : اسمعى يا ليزا . أذكرى لى ما تريدين ما دمت تتحرقين شوقا لذكره .
ــ هل تريد أن تعرف كل شىء حقا ؟
ــ نعم ... وعجلى بالحديث .
بدأت تقول فى تردد : انك قلت انك تريد أن تكره ليو ولكنك لا تستطيع .
ــ نعم . وقلت أيضا اننى أود لو أن أحبك ولكننى لا استطيع .
قالت فى برود وهى تأتى باشارة من يدها : لا تحفل بى .

وسكتت لحظة كما لو لكى تجمع شتات افكارها قبل ان تتكلم ، وتكلمت اخيرا فقالت فى صوت خافت وهى تنظر الى أصابعها :

ـ ان قصتى قصيرة ... هل تتذكر اسمى ؟ .. عندما عادت امك وأختك وليو من المرقص تعطل النور الكهربى فذهبنا لنبحث عن بعض الشموع ، ثم اصطحبتنى امك الى غرفتها لكى ترينى فستانها الجديد .. واردت أن أخرج بعد ذلك ففتحت الباب وتقدمت خطوة فى غرفة الانتظار ... فمن رايت فى الغرفة عندئذ ؟

نظر ميشيل اليها . كانت قد سردت كل هذه القصة بصوتها البارد دون أن تكف لحظة واحدة عن تأمل يديها . وقد أصغى اليها فى شرود ، كما لو كانت قصة عادية ، ولكنه تذكر فجأة أن كل هذه المقدمة الطويلة لابد أن تتعلق بليو وتنتهى بليو ، وتحصر هذا الاسم فى حلقات متراكزة ، وتملكه قلق غريب بحيث كادت انفاسه تختنق ، وقال فى صوت واه : ليو !

اجابت ليزا وهى تهز رماد سيجارتها فى هدوء مصطنع : نعم ، ليو .. ليو وكارلا .. وكانا متعانقين .

وتبادلا النظر . وقف ميشيل جامدا دون أن تعتريه اية دهشة ، ولكن نظرته كانت ثابتة بلهاء ، تجعله يرى الاشياء مزدوجة . اما نظرة ليزا فكان يشوبها الفضول والخوف المقرون بنوع من الكبرياء المضحك ... كبرياء المرأة الواثقة انها وجهت ضربة اصابت فى الصميم .

وساد الصمت ولم يتحرك ميشيل ، واطرق برأسه الى الارض .. كانا متعانقين ! .. هذا غريب . ود لو ان يصرخ ويعبر عن استهجانه . ولكن الأمر اطربه واثار فضوله . لم يشعر بأى سخط ولا بأى اشمئزاز . لم تثر قبلة ليو وكارلا اى شىء فى نفسه ، فلم تكن كارلا وليو غير رجل وامرأة بين غيرهما من الرجال والنساء المعروفين والمجهولين ، لم تمسه شخصيتهما فى شىء ، وحاول أن يغضب وأن يقول « ولكن الأمر يتعلق بكارلا .. اختى ... رأت ليزا عشيق امى وهو يعانقها . اليس هذا فظيعا .. منفرا .. اليس هذا نوعا من الزنا وارتكاب المحارم ؟ .. غير ان كارلا وليو وعناقهما وفجورهما لم يكن مهم عليه اى تأثير . وسألته المرأة قائلة :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

نظر إليها وهو يحـــاول ان يتغلب على هدوئه وان يبدو منفعلا واجاب : مـاذا أنـوي أن أفعل ؟ .. ان الأمر بسيط . سأذهب الى هذا الوغد وامسك بتلابيبه .

ـ متى ؟

ـ متى ؟ .. غدا طبعا .. او بالاحرى ، كلا . سأمضى اليه اليوم ... والآن توا .

واخذ سيجارة واشعلها . ونظرت ليزا اليه من اعلا راســه الى اخمص قدميه نظرة فاحصة حائرة ثم قالت :

ـ اعتقد انك تهزل ، وانك لن تذهب اليه .

ـ واذا قدم لك الدليل ؟

ـ اى دليل ؟

تردد وقال فى نفسه « هذا صحيح ... اى دليل ... » ونظر الى ليزا وقد غمره شيء من الخوف وهو يبحث عن نوع الدليل الذى يثبت به لليزا صدق عواطفه . وفجأة اهتدى اليه ، فقد راى ان خير دليل هو ان يقتل ليو . وراقت له الفكرة لان اثرها سيكون لهفاعليته عند ليزا ، وقال :

ـ هل تصدقيننى اذا انا قتلت ليو مثلا ؟

اجتاح ليزا شعور بالرعب فى بادىء الأمر ، وابتسم ميشيل عندئذ وقد استراح لما احدثه من تاثير عليها ، ولكنها لم تلبث أن اطمأنت حين رات جبينه الهادىء وعينيه الخاليتين من أى غضب ، وقالت وهى تبتسم فى سخرية : نعم . سوف أصدقك عندئذ ، ولكن من يراك وأنت تتكلم هكذا لا يصدق ابدا أنك ستفعل ما تقول .

ـ اذن فأنت تعتقدين اننى غير جدير بأن أقتل ليو ؟

انفجرت المراة ضاحكة وقالت : نعم يا حبيبى المسكين ميشيل . هذه أشياء تقال ، ولكن شتان بين القول والفعل .. ثم يكفى أن يراك المرء لكى يفهم انه ليس لديك أية نية .

واردفت تقول لكى تتغلب على شكوكها الأخيرة : ومهما يكن من أمر فاننى ما كنت لأدعك تنصرف لو انك كنت جادا فيما تقول .

وفتحت الباب وبسطت له يدها قائلة : اذهب الآن وقل له ما تشاء.

توقف ميشيل فى البسطة وقال وهو يبتسم ابتسامة مريبة : واذا انا قتلته ؟

اجابت وهى تضحك : سأصدقك عندئذ .

وأغلقت الباب .

الفصل الثالث عشر

خرج ميشيل وراح يمشي تتناوبه الأفكار ، ويفكر في خير طريقه يقتل بها ليو . وهداه فكره الى ان خير طريقة هى المسدس . وكان يعرف محلا لبيع الاسلحة طالما مر به وهو فى طريقه الى البيت فمضى اليه واشترى مسدسا صغيرا ومعه بعض الطلقات ، ثم قطع الطريق الى بيت ليو وهو يتخيل فى ذهنه ما سوف يحدث . سوف يطلق رصاصة من مسدسه على ليو فيرديه قتيلا ثم يمضى فيسلم نفسه للبوليس . وسوف تكون محاكمته حديث الناس جميعا فيقولون انه انتقم لشرفه وقتل رجلا أباح لنفسه انتهاك عرض أمه وأخته ، ولا ريب ان القضاء لن يدينه عندئذ .

وبلغ الشارع الذى يقيم ليو فيه ، واحس عندئذ بضيق بارد قاتل يجمد الدم فى عروقه وقال : « ها نحن قد وصلنا . سأقتل الآن رجلا ودس يده فى جيبه ولمس المسدس . ان قتل ليو معناه أن يقتله حقا وأن يشطبه من عداد الأحياء ، وأن يسفك دمه . « لابد من قتله ... هكذا ... من غير جلبة أو ضوضاء ... نعم .. سأصوب نحو الصدر ، فيقع ، ثم انحنى فوقه وأجهز عليه .

كانت السماء ملبدة بالغيوم ، والشارع مقفر تقريبا . وتوقف لحظة لكى يرى رقم البيت . كان رقم ٨٧ لا يزال بعيدا فاستأنف سيره وهو يقول « فلأراجع الآن الاسباب التى تجعلنى أكره ليو .. أمى وأختى التى كانت لا تزال طاهرة حتى ايام قلائل .. وهى الآن كما لو كانت فتاة من فتيات الشوارع .. نعم ، عارية بين ذراعيه .. هذا الشىء فظيع ، يكاد قلبى يتوقف عن الحركة حين أفكر فيه .. أختى تبذل نفسها لفجور هذا الرجل .. وأحس بالجفاف فى حلقه وعاد يقول : فلتذهب أختى الى الجحيم ، وليذهب الجميع الى الجحيم .. أسباب ؟ ولكن ليس لدى أى سبب . اننى قررت أن اقتله وسأقتله ، وهذا كل شىء » . وراح ينظر الى أرقام البيوت : ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، وفجأة أخذ يجرى والمسدس يرتطم بفخذه .

وصعد السلم الى الطابق الثاني حيث يقيم ليو وهو يقول « انه ليكون أمرا جميلا اذا لم أجده في البيت » .

ولم يقرع الجرس ، وانما وقف ينتظر لحظة ريثما يسترد أنفاسه . وعندما رأى انه تغلب على انفعاله وأصبح هادئا دق الجرس . ومضت مدة طويلة والصمت يخيم حوله ، وفكر في سرور وارتياح كبيرين : « انه ليس بالبيت . سأقرع الجرس مرة أخرى تبرئة لضميرى » ورفع يده لكي يقرن القول بالعمل عندما انفتح الباب وظهر ليو .

كان يرتدى ثوب النوم ، وكان شعره شعثا . ونظر الى الشاب من قمة راسه الى اخمص قدميه وقال في صوت ناعس ومن غير أن يدعوه للدخول : انت هنا ؟ .. ماذا تريد ؟

وتبادلا النظر . وميشيل يقول في نفسه « انك تعرف ما أريد أيها الوغد » ولكنه اكتفى بأن رد عليه قائلا : لا شيء ... أريد أن أتحدث اليك فحسب .

رفع ليو عينيه ونظر الى الشاب في وقاحة وغباء وقال وهو يتصنع الدهشة : آه ! ما اجمل هذا ؟ .. تريد أن تتحدث الى ؟ .. وفي مثل هذه الساعة ؟ .. وماذا تريد أن تقول ؟

وأردف وهو يحاول اغلاق الباب : اسمع يا عزيزى ... من الأوفق أن تأتي في يوم آخر ، فانني كنت نائما . ولست في حالة تسمح لي بالاصغاء اليك . تعال غدا .

دفع ميشيل الباب في عنف ودخل وهو يقول : كلا .. يجب أن أتحدث اليك اليوم بالذات ... والآن .

وقال يحدث نفسه في انفعال غريب : أن كارلا هنا .

وعاد يقول وهو يلقى يده على كتف ليو : قل الحقيقة . انني قطعت عليك خلوتك ... ان معك هنا شخصا ... أليس كذلك ؟ آه .. آه .. فتاة جميلة ؟

تحول الرجل اليه وقال في غير اقناع : كلا . لا يوجد أحد اطلاقا .

أدرك ميشيل انه أصاب الهدف ، فوضع يده وأمسك المسدس . وعاد ليو يقول وهو يتقدمه الى غرفة الانتظار : كنت نائما ... نوما عميقا .. وكنت احلم أحلاما جميلة وقد أيقظتني انت .

وقال ميشيل يحدث نفسه : هل أطلق عليه النار في ظهره ؟ .. كلا .. كلا .

واخرج المسدس من جيبه ، وصوبه نحو ليو وهو يقول : سوف

اطلق عليه النار بمجرد ان يلتفت الى .

وتقدمه ليو داخل الغرفة ، واقترب من المنضدة وأشعل سيجارة واستدار اليه أخيرا ، وعندئذ رفع ميشيل يده وأطلق عليه النار وهو يغلى حقدا وغضبا .

ولكن لم يصدر أى دوى ولا أى دخان . اما ليو فقد تملكه الذعر عندما رأى المسدس وارتمى خلف مقعد . وضغط ميشيل على الزناد للمرة الثانية ، ولكن لم يصدر المسدس غير صوت تكة جافة فقال فى سره « انه تعطل » ورأى ليو يصرخ قائلا : « انت مجنون ! » ثم يمسك بمقعد ويرفعه فى الهواء كاشفا بذلك عن كل جسده ، فمد يده الى الأم وضغط على الزناد مرة أخرى . ولكن لم يصدر منه أى صوت آخر غير تلك التكة الجافة ، وفكر ميشيل مرعوبا : ان المسدس غير محشو ، والرصاصات فى جيبى » ووثب جانبا لكى يتحاشى المقعد الذى يهدده به ليو ، وأسرع الى الركن المقابل وراسه تدور ، ولكن ليو قذفه بالمقعد فأصابه فى يده وفى ركبته فى عنف بحيث أفلت المسدس منه . وكان الألم شديد فأطبق عينيه ثم ارتمى على ليو فى ثورة من الغضب العنيف وحاول أن يخنقه . غير ان ليو أمسك به وراح يهزه ذات اليمين وذات اليسار بقوة بحيث وقع على الاريكة . وهجم عليه الآخر على الفور وأمسكه من معصميه .

وتبادلا النظر فى صمت . وبذل ميشيل جهده لكى يحرر نفسه وهو يلهث وقد اضطرم وجهه . ولكن ليو رد على محاولته بأن لوى معصميه . وخضع ميشيل اخيرا للألم والغضب وأحس فى غموض بأن الحياة لم تقس فى حياته كما قست عليه فى هذه اللحظة ، واغرورقت عيناه بالدموع . وتأمله الرجل لحظة ثم قال وهو يهز راسه : انت مجنون !

واخلى سبيله ، ونهض ميشيل وهو يدعك معصميه لفرط ألمه . ورأى ليو واقفا فى وسط الغرفة ، جامدا لا يتحرك ، والمقعد مقلوبا ، ومسدسه فى ركن منها .. انتهى كل شىء ، ولكنه لم يستطع ان يفهم ... لم يدر هل يجب أن يتظاهر بالسخط أم بالخوف ، وراح ينظر الى ليو وهو لا يكف عن دعك يديه فى حركة الية .

وقال الرجل اخيرا وهو يتحول الى الباب : هل لك ان تنصرفه

الآن ؟ .. اما عن هذا الحادث الأخير فسوف أتناقش فيه مع أمك .

ولكن ميشيل لم يتحرك ، وراح يفكر ... لا عتاب ولا غضب . يبدو انه يتعجل انصرافى . انه يخشى ان أكتشف وجود كارلا ... ان كارلا هنا .. فى الغرفة المجاورة . وقال فى صوت واضح : أين كارلا ؟

كشف الرجل عن ذهوله بتغير بسيط جدا ووقح بدا على وجهه . ولكنه لم يلبث أن تغلب على نفسه وقال فى لهجة طبيعية :

ــ كارلا ؟ .. وأنى لى ان أعلم ؟ .. لا ريب انها فى بيتها او فى الشارع (ودنا منه وأمسكه من ذراعه وأردف) : هل ستنصرف . نعم أم لا ؟

اصفر وجه الشاب ولم يبذل أى جهد لكى يتخلص ، وقال : لا تظن أنك تخيفنى . سأتصرف عندما يحلو لى ذلك .

عاد ليو يقول فى صوت قوى : هل تنصرف الآن ؟ .. نعم أم لا ؟

وأتى بحركة لكى يجذب ميشيل نحو الباب ، ولكن الآخر قاومه وأسرع يقول : أظن ان كارلا موجـودة هنا .. فى بيتـك .. فى غرفتك ... دعنى .

ولكن ليو لم يخل سبيله ، وعاد يقول فى شىء من الفرح : بل ستنصرف . اننى هنا فى بيتى ، وأنا حر أفعل فيه ما يحلو لى .

ودفعه من كتفيه نحو الباب دفعا . وفجأة أحس ميشيل بأنه يرتفع عن الأرض فصاح : أيها الوغد .. أيها الوغد .

ــ لا بأس .. انا وغد .. ولكنك ستنصرف على كل حال

وفى هذه اللحظة فتح الباب وظهرت كارلا .

كانت ترتدى جونلة قصيرة وبلوزة من الصوف البنى اللون . ولا ريب انها ارتدت ثيابها على عجل لأن شعرها كان منكوشا ووجهها شاحبا ، مما يدل على أنها لم تحاول أن تتجمل أو تتزين . وأغلقت الباب خلفها ، وتقدمت الى منتصف الغرفة ، معتدلة القامة ، ثابتة النظرات وقالت :

ــ سمعت جلبة فأتيت .

اما ليو فقد تخلى عن ميشيل بعد أن مرت أول لحظة من الدهشة

واسرع اليها واخذ يهزها من ذراعها وهو يقول : كيف هذا ؟ .. قلت لك ؟ .. قلت لك أن لا تتحركى ، وأتيت على الرغم من ذلك ؟.. فهل تسخرين منى ؟ .. آه .. أنكما لمجنونين أنتما الاثنان ! .. حسنا . ما دمت قد أتيت فها هو اخوك .. أخوك الذى يطلق النار على الناس .. تحدثى وافعلى ما تشائين فاننى اغسل يدى من كل شىء .

واولاها ظهره كالرجل الذى لا يريد أن يزعجه شىء ، ومضى فجلس أمام النافذة . ونظر ميشيل الى كارلا .. ماذا بقى من سخطه الشديد الذى تصور انه لابد أن يشعر به فى مثل هذه الظروف ؟ .. وأين نسيه ؟ .. ان مجرد اخطـاء ليو ومسـاوئه ما كانت لتواتيه لو لم يمسك الرجل بذراع أخته بتلك القسوة ولو لم تظهر كارلا بهذا المظهر الذى يدل على أنها ارتدت ثيابها على عجل وفكر : « ان الله وحده يعلم كيف كانت عندما اتيت » . وراح يبحث فى أسى شديد عن آثار الخطيئة .. هذا الوجه الشاحب وهاتان العينان الذابلتان وتلك الهيئة التى تدل على الارتباك والشبع .. كل هذا كان يؤكد شكوكه . وقال أخيرا وهو يبذل جهدا كبيرا .

ـ لك كل تهانئى يا كارلا . كان فى مقدورك أن تأتى كما فعل ليو .. فى ثوب النوم .

وأشار الى الرجل ، وغطى هذا الأخير صدره محنقا . وساد صمت ثم قالت كارلا فى توسل قلق : ميشيل .. لا تتكلم هكذا .. دعنى أفسر لك .

اقترب ميشيل من المنضدة واعتمد عليها وقال : ليس هناك ما تفسرينه . لا أعرف هل تحبينه ، ولكن مهما يكن فقد أخطأت خطأ كبيرا ، فأنت تعرفين مكانته عند أمك ، كما تعرفين أى نوع من الرجال هو ... وعلى الرغم من ذلك بذلت نفسك له . ثم واثق انك لا تحبينه فوق ذلك .

اعترفت دون أن ترفع عينيها : اننى لا احبه . ولكن هنـاك سببا آخر .

أرادت أن تقول له انها انما فعلت ذلك لكى تبدأ حياة جديدة ولكن الشجاعة لم تواتها ، فقد رأت ان هذا السبب البعيد لم يفير

شيئا فيما عدا ضياع بكارتها ، وانه أصبح سببا مضحكا وسخيفا سكتت ولم تتكلم ، وعندئذ صاح ميشيل فى انتصار وان كان قد احنقه الدور الذى يجب أن يقوم به .

ـ حسنا . سأقول لك أنا ذلك . لقد مرت بك فترة ضعف وملل ، ولم تحاول البحث أبعد عن ليو وقبلته على الفور ، تماما كما يقبل المرء أول شخص يلتقى به . استسلمت له من غير أن تعرفى لماذا .. لا شىء الا لكى تفعلى شيئا ما .

أجابت : نعم . لكى أفعل شيئا ما .

ـ ثم تحققت انك لم تفعلى أى شىء وانك خرجت من موقف مستحيل لكى تقعى فى موقف آخر مستحيل .

وسكت ، ونظر الى أخته ، وعندما رآها واقفة أمامه ، معتدلة القامة ، صامتة ، لا كما تقف المرأة المذنبة وانما كشخص يستمع الى ملاحظة فى احترام وفى خضوع وفى غير اكتراث ، أحس بقلق أسود وبمهانة كبيرة ، وأردف يقول فى لهجة خطيرة تفتقر الى الاقناع :

ـ علينا الآن أن نبدأ من جديد . ان الملل والضجر هما اللذان دفعانا الى أخطائنا . انك لا تحبين هذا الرجل ، وأنا لا أكرهه .. ومع ذلك فقد جعلنا منه محور أفعالنا المتعارضة .

وشعر بالضيق لعجزه وعدم قدرته على شىء بحيث ود لو أن نبدأ من جديد .

قالت أخته فى صوت واضح من غير أن تلتفت اليه : كلا . لا أظن ان حياة جديدة ممكنة الوقوع ، واذا كنت قد ذهبت معه (وأشارت الى ليو) واذا كنت قد فعلت هذا ، فقد فعلته على أمل حياة جديدة ... ومن الخير اذن ان لا نقوم بمحاولات أخرى . ولنقف عند هذا الحد .

أجاب ميشيل فى غير اكتراث : أبدا .. أبدا .. اذا لم يكن قد تغير شىء فذلك لأنك لا تحبين ليو .. كانت هذه غلطة لا فائدة منها .. ولكى يعيش المرء ويغير حياته حقا لابد له من التصرف بصدق واخلاص . واليك ما أعتقده على الأقل . أظن انه يجب ان تنفصلى عن هذا الرجل الذى لا تحبينه .. سنبيع الفيللا ، ونسدد

له دينه ، واذا تبقى لنا شيء فان هذا يكون أفضل .. سوف ندير ظهورنا الى كل هذه الحفلات والى هؤلاء الناس والى هذا الوسط الذى لا يقدم لنا الا الملل .. سننتقل للاقامة فى مسكن صغير ... وستكون هذه حياة جديدة .

قالت كارلا كما لو كانت تحدث نفسها : هذا مستحيل .

وساد صمت . وكان حديث ميشيل قد جمد الدم فى أطراف ليو ، فان بيع الفيللا ، اذا بيعت سوف تكون وبالا عليه ، فانهم اذا ما عرضوها للبيع فسوف تظهر قيمتها الحقيقية ، خاصة وانها تقع فى وسط البلد ، وتشغل مساحة كبيرة من الارض وتحيط بهـا حديقة فسيحة ، وسيجنون منها مبالغ باهظة اذا ما قسمت وبيعت مجزأة لاقامة عمارات سكنية جديدة .. ويمكنه عندئذ أن يودع هذه العملية الرابحة . ونظر الى كارلا ثم الى ميشيل . وفجأة خطرت بباله فكرة رأى أن ينفذها على الفور فقال :

ـ مهلا .. أنا هنا ، أنا أيضا . ونهض وأبعـد ميشيل بحركة من يده ، وأرغم عشيقته على الجلوس قائلا : أجلسى هنا .

وأطاعته الفتاة على الفور . وجلس ليو هو الآخر وقال : من المؤكد اننا لم نحسن التصرف ، واننا ارتكبنا أخطاء .. وقد فكرت فى الأمر وأنتما تتحدثان .. فكرت فى ذلك يا كارلا ... ما قولك اذا عرضت عليك ترضية ؟ .. اذا عرضت عليك أن أتزوجك ؟ .. وارتسمت على شفتيه المكتنزتين ابتسامة مقنعة تنم عن الانتصار ، فقد كان واثقا من نفسه ، ما رأيك ؟

وأخذ يدها من فوق المنضدة . وحاولت كارلا أن تسحبها عبثا وقالت وهى تبتسم ابتسامة حزينة : نتزوج ؟ .. أتعنى أنا وأنت ؟

وهزت رأسها نافرة من فكرة الزواج .. فان أمها ستعيش معها فى البيت ، وستغار منها الى الابد لانها العشيقة السابقة لزوجها . ثم ان هذا العرض جاء بعد فوات الأوات ، وان كانت لم تدر لماذا فات الأوان لكى تتزوج . فانهما متعارفان بما فيه الكفاية لـكى يصبحا زوجين .. ومن الاوفق ان ينفصلا ، أو لعل من الاوفق أن يبقيا هكذا .. عشيقين ! بدا لها ان أشد المواقف صعوبة وأكثرها نذالة أفضل بكثير من فكرة الزواج .. هكذا فكرت ولكنها لم تجد

الكلمات التي [illegible] بها عما يدور فى راسها ، فقد فتنتها ابتسامة عشيقها ونظراته ، ثم أحست بيد ميشيل على كتفها ، وتمتم يقول فى صوت منخفض :

ـ كلا ... قولى له كلا .

وعندئذ أطلق ليو يد كارلا ونهض قائلا فى ثورة من الغضب : هلا تكرمت وتركت أختك لشأنها ولو مرة واحدة . انها هى التى سأتزوجها وليس أنت ، فدعها ترد طبقا لمصلحتها . اسمع . من الأوفق أن تمضى الى الغرفة المجاورة وتتركنا وحدنا لحظة . سندعوك عندما نصل الى اتفاق .

قال ميشيل متحديا : هدىء من نفسك ... اننى باق .

اتى ليو بحركة تدل على القلق ، ولكنه لم ينطق بشىء . وجلس . واخذ بيد كارلا وقال :

ـ فكرى جيدا فيما عرضته عليك . اننى رجل له مركزه ، ولدى راسمال ووظيفة محترمة متينة ، وما أظنك تجدين زوجا آخر وأنت فى مثل ظروفك هذه .

سألته : اية ظروف ؟

كشر ليون وقال : انت لا تملكين موقفا ، ثم ان وضعك أصبح مشينا .

ـ كيف هذا ؟

ـ مشينا . لن يعاملك أصدقاؤك كفتاة محترمة .. سوف يهتكون عرضك ، ولن يفكر أى منهم فى الزواج بك .

وسكتت . وودت لو أن تقول له : « انها غلطتك أنت .. انت وأمى » ولكنها اكتفت بأن أطرقت برأسها الى الارض ، فى حين استطرد وهو يقول :

ـ اما أنا فاننى أصلح الامور واعيدها الى وضعها الاول ، ليس فيما يتعلق بك وحدك ، وانما فيما يتعلق بالاسرة كلها . سنأخذ أمك للاقامة معنا .. وسوف أجد وظيفة لميشيل .

اجتاح الغرفة ظل رطب ، وراح ميشيل يذرع أرضيتها جيئة وذهابا وهو يفكر : وظيفة لى .. لا ريب ان ليو مجد فى قوله هذا وانه لا يهزل ، وسوف ينفذ ما يقول ويساعده على كسب المال ..

سده هي الفائدة التي سيجنيها مقابل زواج كارلا .. لم يكن معنى هذا أنه يبيع كارلا ، فانه لم يكن يؤمن بهذه الكلمات الجوفاء ... انه لا يؤمن لا بالشرف ولا بالواجب ... أحس بأنه كما هو دائما .. رجل مقامر لا يكترث بأى شيء . وفكر : « لن أقول لها شيئا . سأدعها تقرر مصيرها هي بنفسها . اذا قبلت فهذا حسن . واذا رفضت حسن أيضا .. » ولكن ضيقا خفيفا أنذره بأن في هذه السلبية شيئا خسيسا ، وسمع ليو يقول :

ـ اذا كنت ترددين بسبب أمك فاطمئني ، فقد انتهى ما بيني وبينها منذ وقت طويل .

هزت كارلا رأسها وقالت : ليس بسبب أمي .

وهنا صاح ميشيل يقول : بالله يا كارلا .. قولي له لا .

نهض ليو واقفا وهوى بقبضة يده على المنضدة وصاح :

هل لك أن تسكت وأن لا تهتم الا بما يعنيك أنت ؟

تقدم ميشيل خطوة الى الأمام وقال : انها أختي .

ـ هي أختك كما تقول ، ولكن أليس لها مطلق الحرية في اختيار الزوج الذي تريد . صدقيني يا كارلا . لا تستمعي اليه فانه لا يدرى ما يقول .

ولكنها اشارت له بيدها ان يسكت وتحولت الى أخيها وسألته : لماذا تريد أن أقول له لا ؟

رأته يتردد ويجيب أخيرا : انك لا تحبينه .

ـ ليس هذا بسبب كاف ، ففي الامكان الاستغناء عن الحب .

ـ وهناك أمنا .

ـ أوه ... انها لا تضايقنا .

ثم تحولت الى ليو وخاطبته قائلة : اتريد حقا أن تتزوجني يا ليو ؟ الا تخشى أن يفشل هذا الزواج .. فأنا مثلا على يقين من انك سوف تخونني ...

فكر ليو وهو يحدق فيها مليا : بل انت التي ستخونينني أيتها الفاجرة .

وقال في صوت مسموع : أقسم لك انني سأكون وفيا لك دائما .

لم تنطق كارلا ، وراحت تنظر الى المائدة ، وكانت السماء

تمطر ، و لفتهم ظلمة البيت ، ولم يعد الواحد منهم يميز الآخر إلا فى شيء مـن الغموض . وقالت :

ـ حان الوقت لكى ننصرف .

سألها ليو : وما هو ردك ؟

ونهض هو الآخر ، وسار متحسسا طريقه ، وأدار مفتاح النور . وتبادل الجميع النظر وقد بهرهم النور الذى سطع فجأة وقالت كارلا :

ـ ردى ؟ .. غدا يا ليو .. يجب أن أتحدث الى أمى .. انتظرنى لحظة يا ميشيل ، ريثما آتى بقبعتى .

الفصل الرابع عشر

وعندما هما بالخروج من البيت كانت السماء لا تزال تمطر . ولم يكن المطر عنيفا وانما كان غزيرا ، فراح الماء يغلى ويفور على الأرض ، وتكومت البرك والمستنقعات فى الشوارع وبهتت أنوار المصابيح وغرقت الافاريز حتى بدت كأرصفة الموانىء التى يفوص نصفها فى مياه البحر .

وتسللا بجوار الجدران وهما منحنيان تحت سيل المطر لا يحميهما شىء غير مظلتهما الوحيدة . فى آخر الشارع توقفت لهما سيارة أجرة ولم تلبث ان انطلقت بهما .

وجلس كل منهما بجوار الآخر فى الظلام ، دون أن ينطق بكلمة ، وراحت هزات السيارة تأرجحهما وتجعلهما يصطدمان بعضهما ببعض كدميتين لا حياة فيهما ، واسترخى ميشيل فى ركن من العربة وبدا عليه أنه مستغرق فى التفكير . أما كارلا فجلست محنية قليلا ، وحاولت أن تعرف طريقها ولكن من غير أن تفلح ، فقد كانت النوافذ مبتلة ، وتكوم فوقها دخان بارد ولم تستطع أن تتعرف على الطريق . خيل لها انها استبعدت عن الأرض هى واخوها ، وانها سجنت معه فى هذا الصندوق المظلم الذى ينقلهما الى عالم مجهول بكل هذه السرعة . أين ؟ أينتهى بها هذا اليوم ومعه حياتها القديمة الى سؤال لا جواب له ؟ أين يذهب المرء نهارا أو ليلا تحت سيل المطر ، أو فى وضح النور ؟ وتملكها الخوف ، وأحست بالرغبة تدفعها الى تقريب غايتها ، وتصغير عالمها وفى أن ترى عالمها كله كما لو كان غرفة ضيقة . وفكرت « سوف أتزوج ليو » وحدقت على زجاج النافذة مشهدا غريبا من الأنوار .. زجاج البيت فى الليالى المطرة ونوافذ مفتوحة على حقول الاحلام السوداء ، واذا بها

ترى نفسها فى وضح الشمس فوق درج الكنيسة وهى ترتدى ثوب العرس الأبيض وتتعلق بذراع رفيقها ، ويخرج خلفهما من داخل الكنيسة أعضاء موكب الزفاف : امها ، ويبدو انها كانت تبكى ، وفي يدها باقة من الورد ، وميشيل ، ينظر الى الأرض كما لو كان يبحث عن مواضع قدميه ومدعوون كثـــــيرون لم تستطع تمييز ملامحهم .

واخرجها من حلمها صوت أخيها ، وكان يتكلم ، فنظرت اليه وسألته قائلة : حسنا يا ميشيل .. ماذا تقول ؟

قال : اذا لم أكن مخطئا فاننى لم اذكر لك لماذا يجب أن ترفضى الزواج بليو .

ـ هذا صحيح .

ـ اليك السبب اذن . اليوم ، قبل ان اذهب الى ليزا ، وبهذه المناسبة فان ليزا هى التى أخبرتنى بكل شيء عنك وعن ليو ، فيبدو انها رأتكما امس وانتما متعانقان . ولكن ما علينا .. قبل ان اذهب الى ليزا اذ أمعنت فى التفكير فى وضعنا وقلت لنفسى : « اننـا افلسنا واصبحنا فى موقف لا علاج له ، واننا اذا استمررنا على ذلك فسوف نعانى من البؤس والفاقة قبل أن ينتهى بنـا العام ، ورأيت ان الشخص الوحيد الذى نستطيع أن نعتمد عليه هو ليو ، وليو ، كما تعرفين ، زير نساء وسوف يمنح المرأة التى تروق له كل ما لديه ، وخطر لى أن أقـدم له أختى .. نعم ، أقدمك له أنت يا كارلا ، مقابل نقوده » .

تحولت اليه فجأة وسألته : هل خطر لك ذلك ؟

ولمدة لحظة خاطفة أضاء نور المصباح وجه ميشيل فرأت كارلا عينين مفتوحتين متسعتين ووجها ممتقعا ، فأطرقت براسها وقد اجتاحها القلق ، واستطرد ميشيل :

ـ نعم . خطر لى ذلك . وظننت اننى ارى المنظر ، فقد مضينا ، أنا وأنت الى بيت ليو ، وعندما انفعل أرى الأشياء التى افكر فيها

ب وصول .. تم .. تناولنا الشاى فى الصالون ، ، وفى تكتم شديد انصرفت طبقا لاتفاقنا وتركتك وحدك معه ..

تمتمت مذعورة : هذا فظيع .

ولكن ميشيل لم يسمعها ، واستأنف قصته فقال : وعندما رأيتكما جالسين امام النافذة ، فى الصالون ، وعندما سمعت ليو يعرض عليك الزواج ، خيل لى اننى أرى المشهد الذى تخيلته ، وقلت لنفسى « حدث كل شيء كما توقعت ، كما لو اننى قلت لليو حقا : اسمع .. ان أختى فتاة جميلة .. ناضجة .. لا تفصنى .. تخيلت هذا الحديث ...

تمتمت دون أن تلتفت اليه : لست غاضبة . استمر .

ــ ان أختى جميلة .. حسنا . سوف تقدم لنا المال . والمال الوفير وتنفق على أسرتى ، ومقابل ذلك سأتخلى لك عن كارلا ، فافعل بها ما تشاء .

صاحت فى غضب وأسى : وماذا حسبت اننى صانعة .. أتحسبنى جمادا او حيوانا ؟

اجاب ميشيل وهو يبتسم فى شبه انتصار : كلا . ولكننى كنت اعرف انك ضجرة ، وانك تواجهين ظروفا مرجوة ، وانك سوف تقبلين بسهولة ، واذا انت تزوجته الآن فسوف أشعر دائما بأننى سلمتك له ، وسوف احس دائما بأننى أجرمت فى حقك ، واننى بعتك له حقا ، فهل تفهمين الآن ؟

وأردف يقول فى قلق : ولكنك سترفضين الزواج به طبعا أليس كذلك ؟

وساد صمت قصير ثم أجابت تقول : بل سأتزوجه .

وبدا انها تفكر . ثم استطردت تقول فى صوت حزين قاس : ماذا يكون مصيرى اذا أنا لم أتزوجه ؟ .. فكر .. فى الظروف التى أعيش فيها الآن .. (وأتت باشارة لكى تريه نفسها كما هى فتاة فقيرة ، عارية ، ضائعة .. هل ارفض ؟ .. ان ذلك ليكون جنونا ... لم يعد أمامى غير شيء واحد وهو أن أتزوجه

واقتربا من نهاية رحلتهما ، وراحت كارلا تفكر .. نعم ، سوف تتزوج ليو ، وسوف تعيش معه في بيت واحد وفي فراش واحد وسوف يتناولان طعامهما معا ويخرجان معا ويشتركان معا في افراحهما واتراحهما . وسوف يكون اسمها مدام ميروميس .. ها هي ترى نفسها الآن وقد تقدم بها السن قليلا وازدادت سمنة والمجوهرات في يديها وفي جيدها وعلى صدرها ، وقد زادتها الايام قسوة وبرودا . وها هي تدخل بهو فندق كبير ، يتبعها زوجها وقد ازداد صلعة شيئا ما وازداد سمنة هو الآخر . وها هي يجلسان ويتناولان الشاى ويرقصان والناس ينظرون اليها ويقول : انها امراة جميلة ولكنها خبيثة ، لا تبتسم ابدا .. لها نظرة قاسية كالتمثال . واننا لنتساءل فيم تفكر . وآخرون يتهامسون ويقولون : انها تزوجت عشيق امها .. ورجل يكبرها سنا بكثير . انهـا لا تحبه ولا ريب ان لها عشيقا هي الاخرى . وسينظر اليها الرجال في اشتهاء ، وستنظر اليهم في غير اكتراث .. والآن ، غرفة لمدام ميروميس ... هي الآن ذاهبة الى موعد ... وهي ترتمي في احضان عشيقها .. وقد تخلصت من جمودها واصبحت شعلة من نار ، وعادت طفلة تبكي وتغمغم كما لو كانت سجينة أطلق سراحها وترى النور من جديد .. ثم بعد ان تفرغ من عشيقها تعود الى بيت الزوجية ، سعيدة ، وتستعيد برودها وجمودها . ستكون هذه حياتها طوال سنوات ، وسيحسدها الجميع ، فهي غنية ، وهي تلهو وتمرح ، ولهـــا عشيق ، فماذا تريد أكثر من هذا ... ان لديها كل ما تشتهيه المراة .

وتوقفت سيارة الأجرة ، وهبطا منها . وكان المطر قد انقطع . ووقفت بجوار عامود للنور تنتظر حتى ينقد أخوها السائق اجره . ولاحظت عندئذ سيارة أخرى واقفة بجوار الرصيف وقد غلب النوم سائقها ، وعرفت فيها سيارة آل بيراردى . ونظرت اليهـــا مشدوهة ، ولكنها لم تلبث ان تذكرت تلك الدعوة لحضور الحفلة الراقصة .

وقالت لأخيها ، وكان يتقدم منها فى حذر بين برك الماء : ميشيل .. هى سيارة آل بيراردى .

والقى الشاب نظرة سريعة الى السيارة ثم قال : هذا صحيح . انهم اقبلوا لكى يصطحبونا الى الحفلة الراقصة .

وفى بهو البيت الدافىء المنير ، خلع ميشيل معطفه وقبعته

ـ كارلا .. متى تحدثين أمك عن هذا الزواج ؟

اجابت فى هدوء : غدا .

وتقدما الى الدهليز ، وتناهت اليهمـــا من الصالون أصوات وضحكات . واقتربت كارلا من الستارة التى تغطى الباب الزجاجى ورفعتها فى هدوء ثم قالت :

ـ انهم جميعا هنا .. الثلاثة معا ... بيبو ومارى وفانى .

وصعدا السلم . واستقبلتهما أمهما ومعهـــا ليزا فى غـرفة الانتظار ، وكانت الأم على أتم الاستعداد ، فقد ارتدت ثوبها الاسبانى وتجملت وأفرطت فى الاصباغ . وكانت تمسك فى يدها مروحة من ريش النعام ، ووقفت ليزا بجوارها ، فبدت كأنها النهار بجانب الليل .

وصاحت مارى جريس بولديها قبل أن يبلغا نهاية الدرج : ان الوقت متأخر ، وآل بيراردى ينتظرون منذ ربع ساعة .

كانت راضية مسرورة ، فقد قضت ليزا معها طوال فترة بعـد الظهر ، وادركت من هذا ان ليو لم يكذبها القـــول . وفى غمرة سرورها ترفقت مع صديقتها وأطلعتها على أسرارها ، فكرت لحظة فى دعوتها لحضور حفل الليلة ، لكنها عدلت عن ذلك أو خشيت أن يستهجن آل بيراردى الأمر لأن معرفتهم بليزا سطحية تقريبا .

ـ أسرعى يا كارلا . عجلى بارتداء ثيابك التنكرية .

ولكن كارلا وقفت جامدة لا تتحرك ، تتأملها ، وقالت أخيرا : هل يجب أن اتنكر ؟

انفجرت مارى جريس ضاحكة واجابت : طبعا . فما أخالك

تذهبين الى حفلة راقصة مقنعة بثوب بعد الظهر . كلا ؟ (اخذتها من ذراعها وأردفت) هيا يا ابنتى ، فقد تأخرنا كثيرا .

رفعت كارلا قبعتها فى حركة آلية . وتبعت أمها . واذ رأتها سعيدة هادئة قالت تحدث نفسها : ومع ذلك فلابد من أن أخبرها بهذا الزواج .

وبقى ميشيل وليزا وحدهما . وراحت هذه الاخيرة تنظر الى الشاب فى فضول ولهفة . واذ رأته عازفا عن الكلام اقتربت منه وسألته فى فضول لم تستطع اخفاءه :

ـ حسنا . قل لى ، ماذا حدث بالضبط ؟

تحدث اليها وقال فى بطء : ماذا حدث ؟ .. آه ، نعم . اننى أطلقت عليه الرصاص .

صاحت ليزا فى رعب مبالغ فيه : يا الهى ! .. وهل جرحته ؟

ـ بل اننى لم أصبه .

جذبته الى الاريكة فى انفعال كبير وقالت : تعال هنا . اجلس بجوارى ، وأخبرنى بما حدث .

ولكن ميشيل أتى بحركة تدل على التعب ونفاد الصبر وقال : ليس الآن ... فيما بعد .

ونظر الى هذه الكتلة من اللحم ، والى ذلك الصدر المكتنز . واجتاحته رغبة فى نسيان بؤسه وشقائه ولو للحظة واحدة . وقال يسألها بعد ان كف عن فحصه لها :

ـ هل تذهبين الى الحفلة الراقصة ؟

ـ كلا .

ـ اذن (وتردد) بما أنى لست ذاهبا اليها أنا الآخر فاننى أدعو نفسى لتناول طعام العشاء فى بيتك .. وهناك سأخبرك بكل شىء .

هزت رأسها على الفور وقالت موافقة : حسنا ... هذا جميل .

ابتسم ميشيل فى مرارة . وقال لنفسه ؟ هذه المرة فى غضب وارتياح فى نفس الوقت : لا داعى لأن تخافى . فلن أصدك هذه المرة . وغمره نفور كبير . لم تكن أفكاره الا صحراء جرداء ...

لا ايمان ولا أمل ولا ظل واحد يتفيأ به ، ولا نبع واحد ينهل منه . الكذب والسفالة التى تمتلىء بها روحه كان يراهما عند الآخرين دون أن يستطع لحظة واحدة أن ينتزع من أمام عينيه هذا القناع النجس الذى يعترض حياته . وتشبث بفكرته الثابتة بقليل من الصدق وقليل من الايمان .. « كنت أستطيع قتل ليو ... ولكننى سأكون الآن صافيا كالماء » .

واختنق . اما ليزا فقد بدا عليها الرضا والسرور . وود لو أن يصرخ فيها « كيف تعيشين ؟ ... أبصدق ؟ .. والا فكيف تفلحين فى الحياة ؟ » . كانت أفكاره مشوشة ومتعارضة ، وقال لنفسه : « لعل أعصابى المزعزعة هى سبب كل شىء ، ولعله ليس هناك مشاكل مال ولا وقت ولا ظروف » . ولكنه كلما حاول تقليل المشكلة وتبسيطها كلمـا بدت له المصائب أكبر وأفزع ... « ومن المستحيل الاستمرار هكذا » .. وود لو أن يبكى ، فان الحياة تحيط به من كل جانب كغابة كثيفة لا يتخللها اى ضوء .

وظهرت كارلا ومن خلفها أمها . وكانت كارلا متنكرة فى ثياب بييرو المهرج ، وفوق عينيها قناع أسود صغير . وقالت الأم :

— ما رأيكما ؟

اجابت ليزا : رائع جدا .. أتمنى لكما سهرة ممتعة .

قالت كارلا ضاحكة : شكرا لك .

ثم نظرت الى أخيها وربتت على كتفه بطرف مروحتها وقالت فى صوت منخفض :

— سوف نتحدث فى هذا غدا . وفكرت « الواقع ان كل شىء جد بسيط ، والدليل على هذا اننى ارتديت ثيابا تنكرية » . وراحت تفكر فى ذهنها عن عمل مناسب له .. وظيفة ما بمجرد أن تتزوج من ليو ، ولكن أمها جذبتها من ذراعها قائلة :

— هيا .. هيا .. ان آل بيرادى ينتظروننا .

وهبطتا السلم جنبا الى جنب . وعند الطابق الأول توقفت الام وهمست فى أذن ابنتها قائلة :

— لا تنسى .. ماذا اريد أن اقول ؟ .. آه ، كونى ظريفة مع

بيبو .. اننى فـكرت فى الامر .. ولعـله يحبـــك .. انه زوج لا بأس به .

قالت كارلا فى لهجة الجد : لا تقلقى .

وهبطتا الدرجات الاخيرة .. كانت مارى جريس تبتسم الآن .. كانت راضية . وكانت تفـــكر فى أن عشـيقها سيحضر الحفـلة الراقصة ، ومنت نفسها بليلة ممتعة .

((تمت))

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٣٦٦٤/٨١

الترقيم الدولى ٣ ـ ٩٦ ـ ٧٠٣١ ـ ٩٧٧ ISBN

هذه الرواية

ميشيل بطل هذه الرواية شاب يتدفق حياة وحبا ولكنه يشكو اللامبالاة ، وهي احساس غريب يتيح له ان يغير آراءه وعاداته كما يغير الآخرون ثيابهم كل يوم ، ويريد أن يحب وأن يكره الأشخاص المتحمسين الذين يحيطون به وهم امه وعشيقها ليو واخته كارلا وليزا التي تلاحقه وتحاول الاستئثار به ، ويود لو أن يشعر نحو امه بالحنان أو بالتقزز ، وهما عاطفتان لا يعرفهما ، والا فلابد له أن يرحل وأن يبحث في مكان آخر ، وربما في الموت ، عن الفردوس التي يتحرر فيها من عدم مبالاته .